رواية

ألعاب الموت

كيرلس عاطف

نون للنشر والتوزيع

سابر للكتب

الكتاب : **ألعاب الموت**
المؤلف : **كيرلس عاطف**
تصميم الغلاف : **أحمد مسعد**
تدقيق لغوي: **دعاء مصطفى**
تنسيق: أحمد مسعد
رقم الإيداع :34129/ 2024
الترقيم الدولى : 978-977-778-415-3

---

30 عمارات العبور – طريق صلاح سالم – القاهرة
ت : 01096539633
info@noonpublishing.com

جميع حقوق الطبع و النشر و التوزيع محفوظة
للناشر

إهداء

إلى تلك الآمال التي تصيبني يوميًا بالكوابيس خشية أن أخسرها، عسى أن نلتقي حتى أتخلص من تلك الهواجس

إلى تفكيري المُفرط الذي لا يتوقع إلا كل ما هو سيء. لازالت الحياة تصدمني يوميًا بما هو أبشع

إلي كل المعارك التي خسرتها.. لم تكونوا إلا تمهيدًا لجائزتي الكبرى

***

إلى أعضاء الفريق السابع الأعزاء

الكاتب المتميز الذي يرفض أن نكتب سويًا رواية مشتركة:

أحمد مسعد

المترجمة التي تبكي كلما مازحتها: سلمى الشرقاوي

***

إلى صناعة الألعاب في العالم أجمع، التي ساعدتني بشكل قوي في تخطي الكثير من المِحن والخسائر التي قد تقودني للاكتئاب في ظروف أخرى.. أشكركم على صناعة تلك السعادة

إلى كل هؤلاء الذين لم يجربوا سحر ألعاب الفيديو بعد.. أبشركم إن مازال لديكم الفرصة لخوض أعماق تحف فنية، أتمنى أن تُمحى من ذهني لأجربها من جديد.

إنه عالم مُبهر..

لا أتحدث عن عالمنا الواقعي الذي تشوبه الأوبئة والحروب والمجاعات، كما لا أقصد عالم الأحلام الذي ينعدم فيه المنطق ويتكدس بالآمال التي لن تتحقق يومًا، وبالطبع لا أعني أي عالم خيالي من التي نشاهدها في الأفلام أو نقرأ عنها في المسلسلات.. فهذه العوالم إما نتهرب منها، أو سئمنا من كثرة اللجوء إليها

لا أنكر أنني كنت أفر من الواقع إلى خيال الروايات والمسلسلات، ولكنني سئمت من عدة نقاط لا أتذكرها من فرطها، فمع القراءة والعديد من المشاهدات، بدأت أؤمن أنني رأيت ك واطلعت على مختلف الأحداث الممكنة. لدرجة إنني كنت إن الأعمال السنيمائية أو الروايات الخيالية هي الشهوة ال لمُختلف الأعمار والاجناس من البشر.. لكنني متعتي ذاك يحول بنهاية المطاف لسبب انطفاء

الكثير من
افة الأفكار
أقول يومًا
كثر إمتاعًا
لم اظن إن مصدر
شغفي وخيبة رجائي
انتباهي. أو رواية
حساس المتعة في
ستحالت إلى محض
المال مع بذل أقل
الأعمال هي بضائع
عليها تقديم الشيء
نلت في هذا بشكل

باستطاعتها أن تفاجئني في نهايتها. فقدت أي عمل فني، وأيقنت أن تلك الأعمال الفنية ا سلع، تحاول الجهات المنتجة جمع أكبر قدر مر جهد في الإبداع. ليس لدي مشكلة أن تكون تلك غرضها الأساسي هو الربح، ولكن في المقابل الذي سأبتاعه من أجلها، وهو المتعة.. ولكنها ف مخزي

ي القبهر من وجهة

حتى عثرت على عالم ألعاب الفيديو.. عالم

نظري

إن الألعاب هي إحدى صور عرض القصص أو الحبكات، ولكن بدلًا من أن تشاهد الممثلين وهم يؤدون أدوارهم على الشاشات، أو تقرأ حبرًا مطبوعًا على ورق لشخصيات وعوالم خرافية. أنت الآن تتقمص أدوار هؤلاء الأبطال.. تارة تكون لصًا ينبش المقابر ويسرق الآثار، وتارة أخرى تكون جنديًا في الجيش يحاول حماية المدنيين من بطش الجماعات الإرهابية.. حينًا تكون فارسًا تتجول في عالم مليئ بالغيلان والكيانات المفزعة، وحينًا آخر تكون ضابطًا متسلحًا بمسدس صغير في مواجهة عشرات من مسوخ الزومبي.. أوقاتًا ترتدي خُلة البطل الخارق الذي يدافع عن المدنيين، وأوقات أخرى تفكر مثل أخبث العقول الشريرة للسرقة أو القتل أو البطش بمختلف ألوانه. تعيش مغامرات في أفق الفضاء أو بأعماق المحيط، بعصور الظلام الأوروبية التي يغزوها الطاعون ومحاكم التفتيش أو بالمستقبل البعيد حيث يكون جسدك نصف آلي

عالم مبهر لن تعيش فيها حياة أبطالها فحسب، بل ستعاصر أدق تفاصيل حياتهم، وكافة المواقف التي يمرون بها، سواء التي يتطاير فيها الدمع من عينيك من فرط السعادة، أو التي يتهشم فيها فؤادك على خسارة عزيز

في القِدم كانت الألعاب مجرد خط مرسوم، لا يمكنك الحياد عنه، إما تفعل كما تأمرك اللعبة، أو تخسر حياتك وتعيد المرحلة من البداية، ملتزمًا بالقواعد التي فرضها عليك المبرمجين. ولكن الآن باتت الحرية أكبر في الألعاب، فهنالك ذلك التصنيف الملقب ب(rpg)

أي (role player games) والتي تعني ألعاب تقمص الأدوار. حيث لا تلعب بشخصية البطل فحسب، بل تكون أنت البطل، تختار الجمل الحوارية كيفما تشاء مع شخصيات العالم الأخرى، تفاضل بين تأدية المهمات أو تركها. وعلى كل فعل يأتي مكافأته أو عواقبه، فأي تصرف مهما كان بسيطًا سيؤثر بشكل حتمى فى عالم اللعبة، وقد تختلف الأحداث القادمة بُناءًا على اختياراتك. فأنت من تقرر إذا كنت تفضل أن يكون شخصيتك رجلًا صالحًا أم فاسدًا، نبيلًا أم يفضل مصلحته الشخصية فوق أي شيء.. الألعاب تعطيني الحرية لإظهار معدني الأصلي في المواقف الصعبة، أو حتى تقمص شخصية بعيدة كل الاختلاف عني، لكنني أجربها بدافع من فضول معرفة النتائج لا أكثر

مهما كانت ثقافتك أو مستواك الاقتصادي، فلابد أنك لعبت ولو لعبة واحدة في حياتك، وهنا حتمًا أقصد لعبة الكترونية، وليس ألعاب المقاهي مثل الطاولة أو الدومينو، أو الألعاب الورقية كالكوتشينة أو الأونو، أو الألعاب الطفولية على غرار بنك الحظ أو السلم والثعبان، وحتمًا لا أعني الألعاب الرياضية مثل كرة القدم أو مختلف الرياضات القتالية

فمن منا لم يقض ساعات على لعبة farmville أو المزرعة السعيدة كما كنا نطلق عليها، حتمًا كلًا منا جرب ولو مرة على الأقل ألعاب المحمول مثل subway أو candy crush، ربما لا ولكنك جربت ودون شك لعبة الثعبان الأيقونية لهواتف القرن الماضي

كل ما ذكرته للتو ولم أتطرق إلى ألعاب ال(online) بعد.. والتي

تملك متعتها الخاصة في التعاون مع أصدقائك لتحقيق النصر سواء بالقضاء على الأعداء أو بحل الألغاز، أو تتنافس معهم في معارك زوجية أو حتى جماعية مع أشخاص آخرين حول العالم.. هذه الأوقات تكون مدججة بالبهجة والحماسة وأحيانًا الغضب

كم أتمنى أن أنهال بقائمة بأسماء الألعاب التي قد تُقرب الصورة أكثر وتوضح كم المشاعر الشغوفة التي أعنيها حين أتحدث عن الألعاب، أو تاريخ نشأة وتطور الألعاب وتصنيفاتها التي لا تُعد ولا تُحصى وشركاتها المنتجة المؤثرة على الصناعة، إنها تلك الملكة الساحرة التي تهيمن على الفرد حين يطلق العنان للسانه مُعبرًا عن هوايته المفضلة أو ربما رياضته التي يحقق فيها انتصارات متتالية. ولكن مع الأسف ليس لدي رفاهية الوقت لذلك، فنداء العمل يناديني

أكاد أجزم أنني من الأقلاء في هذه البلاد وربما بهذا العالم بأسره، الذي يعمل في وظيفة أحلامه، في الواقع أنا لا أحب عملي فحسب بل أعشقه وأتمزج بكل دقيقة به، بل أحيان أخرى أنام ساعات أقل في اليوم لأستيقظ وأباشر عملي دون كسل أو تهرب.. أعتقد أنه بات بديهيًا أنني أعمل في شيء يخص الألعاب، وإلا ما فائدة تلك الديباجة الطويلة إن لم يكن لها علاقة بمجرى الأحداث وحياتي بشكل عام

لا أنا لست أحد هؤلاء ال(GAMERS) الذين يلعبون ألعاب الرعب ويصرخون عليها بطريقة مفتعلة من أجل كسب المشاهدات، وليس

أعتقد أن ما من أحد قد سمع عن تلك الوظيفة من قبل، الغالبية العظمى سمعوا عن الناقد السنيمائي أو الفني أو الأدبي، ورغم أنني شخصيًا لا أعلم ما هو دور أيًا من هؤلاء الثلاثة في المجتمع، فلولا أنني كثيرًا ما سمعت عن استضافة شخص يحمل لقب أحد تلك المهن في قنوات التلفاز أو محطات الراديو، لاعتقدت أنها من دروب الخيال، ولكن بالنظر إلى الأعمال السنيمائية الهابطة التي تنزل في قاعات السنيما، والأدب المُبتذل الذي يُطبع على كتب، فيمكنني الزعم أن ما من أحد يقوم بدوره على أكمل وجه. وإلا ما أصابني هذا الفتور من القراءة والمشاهدة ولما اتجهت للألعاب

ولا يهدر أمواله عليها، أم أبشرهم أنها لعبة ممتازة وتستحق الوقت والمال دون شك. ومع مرور الوقت وكثرة الآراء النقدية التي ألحقها بمختلف الألعاب على هيئة مقالات، أصبح لدي شعبية مهولة على هذا الموقع

راحت الإعجابات والتعليقات الإيجابية تنهال على مقالاتي، لدرجة أن بعض اللاعبين أصبحوا ينتظرون مقالاتي بشكل منتظم حتى يشتروا الألعاب بناءًا على ترشيحي، حصدت العديد من المتابعين وظفرت بشهرة لا يُستهان بها في إطار هذا الموقع المحدود. كان لمقالاتي تأثيرًا ملحوظًا في مجتمع الألعاب، دون أي مجهود يذكر مني، لدرجة أنه كان لي تأثير في زيادة أرباح ألعاب مر عليها عشر أو ربما خمسة عشر عامًا، بعد أن فقد منتجيها ذاتهم أن هناك أي أمل في الربح منها مرة أخرى. فحتى يومنا هذا لا أرى أنني فعلت شيئًا مميزًا أو إنجازًا يستحق التخليد كيف تختلف مقالاتي النقدية عن غيري، ربما عامل الاختلاف الوحيد هو أنني أكتب آرائي تلك بكل شغف وحب للأمر

حتى أتى اليوم الذي تواصلت فيه إحدى منصات نقد الألعاب معي، وعرضوا علي وظيفة ثابتة بمرتب يفوق أحلامي، في مقابل ألا أنشر مقالاتي تلك إلا وهي مُذيلة باسم شركتهم كنوع من الدعاية. وكأي شاب يسعى خلف العملة الصعبة والوظيفة المريحة، وافقت دون تفكير. وبتلك الطريقة أصبحت أمارس هوايتي المفضلة وهي الألعاب دون انقطاع، مع الحصول على مرتب ثابت.

وبالفعل تم تغيير حسابي في موقع METACRITIC من لاعب

إلى ناقد، وباتت تتواصل معي كافة شركات انتاج الألعاب الكبرى لتقدم لي ألعابهم لأجرب جزءًا منها وربما اللعبة بأكملها، قبل طرحها في الأسواق. وحينها إما أن أزعم أن اللعبة جيدة ولا بأس أن يتم نشرها على تلك الحالة، أو أقدم بعض الآراء النقدية مثل تحسين أسلوب اللعب أو تعديل بعض مجريات أحداث القصة أو الاهتمام بالإخراج الصوتي للممثليين أكثر من هذا.. وحينها إما أن تنفذ الشركة اقتراحاتي النقدية ويعيدوا تطوير اللعبة قبل طرحها للجمهور، أو تنزل كما هي لضيق الوقت وعدم القدرة على تأجيل موعد إصدار اللعبة لأسباب مالية، مع الحرص على إضافة ملحوظاتي في تحديثات اللعبة أو بالأجزاء القادمة منها

ومن فرط قوة تأثيري على اللاعبين، بلغ الأمر أن إحدى شركات الألعاب عرضوا علي مبلغًا ضخمًا من المال مقابل أن أمدح في لعبتهم لأنهم تعرضوا إلى العديد من الخسائر في الآونة الأخيرة. هذه الشركة عرضت علي رشوة بشكل مباشر وصريح، وهنالك شركات أخرى تعرض رشاوي بطرق غير مباشرة مثل تحمل نفقات رحلة لزيارة مقر الشركة لمدة أسبوع والحجز في أكبر الفنادق بالمنطقة، أو إضافة بعض الأجهزة الالكترونية الذكية مع طرودهم، مثل أحدث إصدارات الهواتف المحمولة أو الحواسيب الشخصية

إن تلك هي وظيفة الأحلام التي لم أسع لها يومًا لاعتقادي أنها صعبة المنال أو (لا تأكل عيش) كما يُقال.

والآن أنا أختار من بين عدة ألعاب لأبدأ هذا اليوم بها، ولكن لقد أصابني الملل! ليس من الألعاب بالطبع، فالألعاب هي حياتي التي

إذا سأمت منها، لن أكون بارعًا في أي شيء يذكر. بل أقصد نوعية ألعاب الحركة أو ألعاب ال(triple a games). وتلك الكلمة تعني الألعاب ذات الانتاج الضخم وشركات التوزيع العملاقة. أحيانًا أشعر إن مطوري ألعاب تلك الشركات هم نفس الأشخاص، أو على الأقل يقتبسون الأفكار من بعضهم البعض دون أي إبداع. لهذا أفضل أن أفصل عقلي بين الحين والآخر بلعبة indie أي لعبة بسيطة تابعة لشركة انتاج ألعاب صغيرة أو جديدة على أقل تقدير

ظللت أفتش بين أسطوانات الألعاب التي تم إرسالها لي وأنا ف حيرة من أمري، في الأغلب تكون الألعاب عبارة عن طرود كاملة وليست أسطوانة اللعبة فحسب. في الغالب يكون في مثل تلك الطرود -بجانب اللعبة بالطبع- رسالة موجهة لي بالاسم تحمل أجواء اللعبة، على غرار استعد لمغامرة في الفضاء، أو جهز أسلحتك لمواجهة الزومبي، أو كن حريصًا في اختياراتك لأن سيترتب عليها العديد من العواقب

بالإضافة إلى كتيب صغير فيه رسومات اللعبة والنماذج الأولية للبيئة وتصميم مراحل اللعبة، ويحمل أسماء كل من عمل على إنتاج تلك اللعبة سواء عمليًا أو فكريًا. ناهيك عن مجسم صغير أو تذكار من عالم اللعبة أو لشخصية البطل بها

رغم أن تلك الأمور ليس لها قيمة في نقدي للعبة، لكن شكلها الخارجي يكون جذابًا بعض الشيء، وبالفعل سيكون من اللطيف أن أحتفظ بتذكار ملموس من اللعبة حين تثير إعجابي. ولكن آثار انتباهي تلك اللعبة! لم تكن اللعبة موضوعة في طرد، بل مجرد

أسطوانة محفوظة في غلافها كي لا تُخدش أو تتلف، دون أي إضافات أو حتى رسالة

عجيب أمر تلك اللعبة، أذكر أنها وصلتني بالبريد منذ شهر، لم يأتني بعدها أي اتصال من الشركة المنتجة لتؤكد على استلام اللعبة، بل الأغرب إنه لم يبلغني أي بريد الكتروني من شركة الانتاج تعجلني من إبداء نقدي للعبة حتى يسرعوا بطرحها في الأسواق، على نقيض باقي شركات الألعاب التي يصلني رسائل منهم بشكل يومي حتى أبدأ بلعبتهم أولاً وأنتهي منها في أقرب فرصة. وبالطبع كنت أحقق لهم غايتهم حتى يرحموني من هذا الإزعاج المستمر وفي المقابل أهملت تلك اللعبة مادام لا أحد يسأل على مستجداتها

للحق أقول، إن فترة شهر كامل وربما أكثر دون تعليق واحد من الشركة المنتجة، ليس لديه إلا تفسيرين اثنين، إما إن الاستوديو المطور للعبة قد أعلن إفلاسه مبكرًا وتم إغلاقه وهذا كثيرًا ما يحدث، أو إنهم أرسلوا اللعبة للعديد من النقاد لدرجة أنهم نسوا

جهزت كل شيء ليوم عمل جديد، تربعت على مقعدي المريح وزودت نفسي بمؤن التسالي التي ترافقني أثناء اللعب مثل المقرمشات والعصائر، جلبت دفتري الشخصي الذي أدون به ملحوظاتي النقدية عن اللعبة، ضبطت ساعتي الخاصة لتحسب عدد ساعات اللعبة، ثم بدأت

ط

طوارئ

لن تفيدك حالات الطوارئ القسوة، فقد وقعت في قبضة طبيب الموت

تُسَلِّمُ جسدكَ، وأنتَ مُغمضُ العينينِ، ثقةً عمياءً، لِمَنْ يرتدي بزةَ الطبيبِ البيضاءِ. تُؤمِنُ بِكُلِّ كلمةٍ ينطقُها، وتُنفِّذُ كُلَّ وصفةٍ يكتبُها. لا تُشَكِّكُ، لا تُفكِّرُ، بل تَستسلمُ في خضوع تام.

ولكنْ هل تساءلتَ يومًا عنْ الظلمةِ التي قد تُخفيها هذهِ الابتسامةُ المُشرقةُ؟ هل خطرَ ببالِكَ أنّه يَكمنُ وراءَ هذا المَعطفِ الأبيضِ قلبُ قاسٍ ونفسٌ مُجرِمةٌ؟

إنّ حكاياتِ الأطباءِ القتلةِ ليست من نسجِ الخيالِ، بل هي حقائقُ مُروّعةٌ هزّتْ أركانَ المجتمعِ الإنسانيّ. فكم منْ ضحيةٍ سقطت ضحيةً لِجشعِ الطبيبِ وساديّتهِ، دونَ أن تُدرِكَ خطورةَ ما يَحدُثُ لها؟

تَصوّرْ طبيبًا يبتسمُ في وجهِ مريضِهِ وهو يُعطيهُ جرعةً زائدةً من الدواءِ لِيتخلّصَ منهُ. أوْ يُشخّص مريضًا بشكلٍ خاطئٍ لِيُجرّبَ عليهِ علاجًا جديدًا. أوْ يُجرِي عمليةً جراحيةً دونَ داعٍ لِلحصولِ على المالِ فقط.

إنّ هذهِ الجرائمِ لا تُغتَفرُ، ولا يمكنُ تبريرُها. فالمُفترضُ في الطبيبِ أنْ يكونَ حارسَ صحةِ الإنسانِ، لا قاتلهُ. ولكن ما العملُ إذا واجهتَ قاتلًا حرف ال(طاء)؟ كيف تُنقذُ نفسَكَ منْ براثِنهِ؟

***

في مدينة نوتنغهام الإنجليزية، وُلد «هاورد شيبمان» في الرابع عشر من يناير بعام ١٩٤٦. نشأ هاورد في كنف عائلة بسيطة مكونة من أب وأم وثلاثة أبناء، وكان هو الابن الأوسط. عاشوا حياة ميسورة بعيدة عن الفقر المدقع أو الثراء الفاحش.

تختلف قصص القتلة المتسلسلين عادةً، حيث نجد في طفولتهم مآسٍ دفينة تدفعهم نحو الشر. فمنهم من نشأ في بيئة مضطربة، أو تعرض للتنمر، أو عانى من أمراض نفسية. لكن هاورد كان استثناءًا. تميزت عائلته بالحب والتفاهم، كما حظي بشعبية بين زملائه في المدرسة. فما الذي حوّل هاورد العادي إلى «طبيب الموت» المُروع؟

تكمن الإجابة في وفاة والدته، التي أُصيبت بسرطان الرئة عندما كان هاورد في السابعة عشر. ازداد تعلقه بها خلال مرضها، حيث كان يلازمها ويرعاها. وحين وصلت حالتها إلى المراحل المتأخرة، لم يجد الطبيب سوى حقن المورفين لتسكين آلامها.

توفيت والدة هاورد بعد فترة قصيرة، تاركةً في نفسه حزنًا عميقًا وتساؤلات كثيرة. ما هو هذا المورفين الذي يخفف الألم هكذا؟ لماذا لا يُباع بسهولة في الصيدليات؟ هل يُعتبر المورفين رحمةً أم عذابًا لوالدته التي عانت في آخر أيامها؟

قادته هذه التساؤلات إلى مهنة الطب ودراسة كتاب القانون، حيث التحق بكلية الطب عام ١٩٦٥. هناك، اكتشف أسرار المورفين، وعرف قدرته على تحويله من مسكن للألم إلى مخدر يُسبب الإدمان.

في كلية الطب أيضًا، التقى بـ «بريميروز ماي» التي تزوجها بعد عام واحد. وأنجبا معًا أربعة أبناء.

تخرج هاورد من كلية الطب عام ١٩٧٠، وبدأ العمل كطبيب مبتدىء في مستشفى «ويست يوركشاير». استمرت حياته المهنية بشكل طبيعي حتى عام ١٩٧٥، عندما تم القبض عليه. لكن لم يكن سبب اعتقاله هو جريمة قتل كما قد تتوقع، بل كان إدمان هاورد للمورفين.

بعد تخرجه من الكلية، أصبح من السهل على هاورد الحصول على المورفين. فأجرى تجارب على هذا «العقار السحري» لمعرفة تأثيره على الألم، والجرعات التي تُسبب الإدمان، وحتى تلك التي تُفضي إلى الموت.

ولكن لم يجد هاورد متطوعين لتجاربه، فقرر تجربتها على نفسه. كان يحقن نفسه بالمورفين ويراقب تأثيرها. لاحظ زملاؤه تغيرات عليه، مثل النسيان الدائم، وتشتت ذهنه، وعلامات الإرهاق الواضحة. حاولوا نصحه مرارًا بالتوقف عن ذلك خوفًا من تأثيره على عمله وحياته، لكنه تجاهلهم. حتى كتب لواحد من مرضاه دواءً خاطئًا كان سيودي بحياته. اضطر زملاؤه حينها إلى إبلاغ إدارة المستشفى، وعند التحقيق معه، تم اكتشاف إدمانه للمورفين. زج بهاورد إلى مستشفى علاج الإدمان لمدة عام كامل. وعند خروجه عام ١٩٧٦، أكد للجميع أنه تعافى من الإدمان ولن يعود إليه مجددًا.

لكن هاورد لم يكن مدمنًا في الأصل، بل كان يُجري تجارب على نفسه. خرج من تجربته بمعلومتين مهمين:

•لا توجد أي علامات مميزة للوفاة بالمورفين.

•قبل الموت، يمر الإنسان بحالة من اللاوعي تجعله قادرًا على فعل أي شيء دون وعي.

وهنا، تنتهي المرحلة الأولى من قصة هاورد، وتبدأ رحلته نحو الظلام وتحوله إلى «طبيب الموت».

خرج «هاورد» من مصحة علاج الإدمان عاقد العزم على طيّ صفحة الماضي، وتلميع صورته الباهتة. بادر باحترامٍ مبالغٍ فيه وودٍّ ظاهرٍ مع كل من صادفه، من مرضى إلى زملاء، حتى بات مضربًا للمثل في الأخلاق الحميدة. لم ينكر «هاورد» أنّ سجنه في المصحة كان وصمة عارٍ في تاريخه، لكن ذكاءه الفذّ جعله يمحو ذلك من ذاكرة الجميع، حتى أنّ نقابة الأطباء نفسها اكتفت بغرامةٍ ماليةٍ قدرها ستمائة جنيه إسترليني دون إيقافه عن العمل.

وفي عام ١٩٩٢، قرر «هاورد» التخلّص من عبء الوظيفة كطبيبٍ عاديّ، مُقدّمًا على فتح مستشفاه الخاص. لكن ثمة فجوة زمنية غامضة تُخفي وراءها أحداثًا جسيمة.

فجأة، تحوّل «هاورد» من طبيبٍ مُخلّصٍ إلى قاتلٍ مُحترفٍ، يختار ضحاياه بعنايةٍ فائقةٍ والذين كانوا: نساءً ورجالًا مُسنّون، لا سندَ لهم سوى حفيدٍ أو حفيدةٍ في أحسن الأحوال، أو مرضى مُصابون بأمراضٍ مزمنةٍ قاتلةٍ كالقلب والضغط والسكر.

كانت أدواته سلاحًا مُزدوجًا: أدويةً وهميةً في البداية، لا تُقدم أيّ شفاءٍ، بل تُسرّع من وتيرة تدهور الحالة الصحية للمرضى، ليضمن

«هاورد» استمرار عودتهم له، مُقدّمًا لهم جرعاتٍ هائلةٍ من المورفين مع كلّ زيارةٍ، حتى يلفظوا أنفاسهم الأخيرة.

وبفضل مهاراته الطبية، يُخفي «هاورد» جريمته ببراعةٍ، مُدّعيًا أنّ الوفاة ناتجة عن أمراضٍ طبيعيةٍ كالأزمات القلبية أو ارتفاع ضغط الدم. بل يذهب إلى أبعد من ذلك، مُوصيًا بحرق جثث ضحاياه لمنع تشريحها وكشف حقيقة موتهم.

ولكن، لم يمتثل بعضُ الناس لوصاياه... إنّ حرق الجثث ليس تقليدًا شائعًا في كلّ الديانات والثقافات، فما الذي يدفعهم إلى طاعته؟

استغل «هاورد» سمعته الطيبة كطبيبٍ مُحترم لفرض سطوته على من حوله، مُقنعًا إياهم بأي شيء، ممّا جعلهم طوع يده لتنفيذ جرائمه المروّعة.

لِمَ كان هاورد يفعل ذلك؟ في بعض الأحيان، كان يواجه حالات ميؤسًا منها، حيث يرى الموت رحمةً للمرضى بدلاً من عيشهم في ألم كأمه. هكذا ، يقرر التخفيف من معاناتهم بيده. أما في حالات أخرى، كانت ضحاياه من الأثرياء.

أتذكر عندما أخبرتك أن المورفين بجرعات عالية يُفقد الضحية إحساسها ويجعلها تُطيع الأوامر دون نقاش؟ استغل هاورد هذا التأثير بطريقة خبيثة. فكان يُعطيه للضحايا الأثرياء بجرعات زائدة، ثم يُملي عليهم كتابة وصية يُورثونه فيها نصف ثرواتهم.

وبعد وفاة الضحية، كان هاورد يدعي الحزن، مدعيًا وجود علاقة

روحية قوية بينه وبين المرحومة رغم معرفتها القصيرة به. ويُكمل روايته بأنها كشفت له كل أسرارها، لدرجة أنها اعتبرته كابنها أو فرد من العائلة، ومن حقه أن يرثها.

وبفضل طيبته المُتظاهرة، كان الناس يُصدقونه. فالعديد من الأشخاص تُسيطر عليهم العاطفة في لحظات الموت، ما يدفعهم لتصرفات غريبة. هكذا، مرّت جرائمه دون أن يثير الشك.

لكن لم ينج هاورد من الشكوك تمامًا. فقد لاحظ العديد من الأشخاص غرائب تدور حوله. فإدارة المستشفى، على سبيل المثال، رصدت ازديادًا ملحوظًا في عدد الوفيات. كما لاحظ زملاؤه أن معظم مرضى هاورد يلقون حتفهم. حتى حانوتي المنطقة لاحظ تكرار حالات الوفاة بنفس العمر وظروف المرض على المدى الطويل.

كان هاورد حريصًا في اختيار ضحاياه. فلم يقتل شابًا أو طفلًا قط، بل اقتصر جرائمه على كبار السن. قد تبدو هذه حقيقة غريبة، لكنّ موت العديد من العجائز على يد طبيب واحد لم يُثر قلقًا، لأنه أمر وارد الحدوث مهما بلغ من غرابة. أما ممرضات المستشفى لاحظن اختفاء كميات كبيرة من المورفين. وعندما سألن هاورد عن ذلك، أنكر أي علم له بالموضوع.

استمرت جرائم هاورد دون رادع حتى عام ١٩٩٨، عندما وقعت «كاثلين جروندي» عمدة بلدة «هايد» ضحيةً لمخططاته. شعرت كاثلين ببعض التعب، فذهبت لفحصها عند هاورد. لكنّها لم تُكمل أسبوعًا بعد ذلك، حيث وافتها المنية عن عمر يناهز ٨١ عامًا.

لو ادعى هاورد أن وفاتها ناتجة عن الشيخوخة، لما اعترض

أحد. لكنّ تذكر أن كاثلين كانت عمدة، أي أنها ثرية. هنا، سقط قناع هاورد، وظهر جشعه. فلم يكتفِ بنصف ثروتها كما فعل مع ضحاياه السابقين، بل استولى على أكثر من الثلثين، أي ما يعادل ٤٠٠ ألف جنيه إسترليني!

وهنا بدأت الشكوك تهيمن على عقل ابنة العمدة وكان اسمها «أنجيلا وولف». لم تقبل «أنجيلا» بوصية والدتها التي تُخصّص ثلثي ثروتها لشخص غريب لم تعرفه من قبل. دفعتها غريزتها كمحامية وكابنة مُخلصة إلى التّحقيق في الأمر، فرفعت دعوى قضائية مُطالبةً بتشريح الجثة.

كشفت نتائج التشريح عن وجود جرعة زائدة من المورفين في دم «كاثلين». اتجهت أصابع الاتهام نحو «هاورد»، آخر طبيب فحص «كاثلين». واجه «هاورد» الاتهامات بالإنكار، مُدّعياً أن «كاثلين» كانت مدمنة على المورفين قبل أن يقابلها وأنها هي من اعترفت له بذلك.

لم تُصدّق «أنجيلا» رواية «هاورد». كانت تعرف أمها جيدًا، وتيقنت من كذبه. بذكاءٍ وإصرار، حصلت على إذنٍ نبش قبور ضحايا «هاورد» خلال عشر سنوات سابقة وإعادة تشريحها، أو من تبقى منهم ولم يتم حرق جثثهم كما كان يوصي

أثبتت عمليات التشريح الجديدة وجود جرعات مُميتة من المورفين في أجساد جميع الضحايا. تحولت القضية من شكوك حول وفاة واحدة إلى شبكة من جرائم القتل المُبرمجة.

استمرت التحقيقات عامين كاملين، نتج عنها إدانة «هاورد» بقتل

١٥ ضحية على الأقل، مع الاشتباه في مقتل ٢٦٠ ضحية أخرى.

رفض «هاورد» الاعتراف بجرائمه حتى اللحظة الأخيرة. حاول مُحققّون كسره بكل الطرق، لكنه ظل مُتمسكًا ببراءته، حتى وفاته منتحرًا في زنزانته عام ٢٠٠٤.

كان دافع «هاورد» من جرائمه مُختلًا. لم يكتفِ بقتل مريضاتٍ مُسنّاتٍ يُعانين من أمراضٍ مُزمنة، بل امتدت جرائمه لتشمل نساءً لا يُعانين من أيّ أمراضٍ خطيرة من أجل أموالهن

زعم بعض المُتعاطفين مع «هاورد» أنه كان يُخفّف من معاناة ضحاياه المُقبلات على الموت، لكنّ تحقيقات «أنجيلا» كشفت زيف هذا الادّعاء، حين قتل أمها التي لا تعاني إلا من شيء بسيط كنزلة برد، كان ممكن مداواة الأمر بسهولة، لكن غريزة القتل سيطرت عليه

ظ

ظاهرة

نحن لن نتحدث عن القتلة تلك المرة، بل هي أعجوبة حيرت العلم..
أنها ظاهرة طاهر بك

لا شك أنك سمعت حكايات عن راسبوتين، ذلك الساحر الروسيّ ذو القدرات المريبة، أو ألستر كراولي، الساحر الإنجليزيّ صاحب الأفكار الشيطانية. كلّ هؤلاء السحرة اشتهروا بقدرتهم على إنجاز أمورٍ خارقة للعادة، من خداع الموت مرّاتٍ عديدة إلى تحويل المعادن إلى ذهب.

ولكن ماذا لو قلتُ لك أنّنا سنتحدث اليوم عن ساحرٍ يفوقهم جميعًا؟ ساحرٌ لم يخدع الموت فحسب، بل عاد من رحلةٍ مظلمةٍ بين ثناياه ليحكي حكايته للعالم؟

إن صاحب حرف ال(ظاء) يحمل أسرارًا تفوق الخيال

***

في العام ألف وثمانمائة وسبعة وتسعين، وبين أزقة مدينة طنطا المصرية، وُلد طاهر، حاملاً معه قدرًا استثنائيًا يخبئه الزمن. لم يهنأ طاهر بحنان الأم، فقد فارقت الحياة تاركةً إياه رضيعًا بين يديّ والده. دفعت الظروف السياسية الأب إلى الهجرة بطفله تاركًا مصر وراءه، ليكبر طاهر في رحاب تركيا.

مع مرور السنين، نهل طاهر من معارف الطبّ ما أهله لولوج

عالمٍ غامض، عالم «العلوم الخفية». علوم الروح والنفس، والشعور الإنساني، والطاقة الروحية، تلك المعارف التي لم يجد لها مكانًا بين طيات الكتب المألوفة، سكنت وجدان طاهر وفتحت له أبوابًا لم يخطر ببال أحدٍ عبورها.

عاد طاهر إلى مصر حاملًا معه ادعاءً مذهلاً: قدرته على التحكم الكامل في جسده. زعم طاهر أنه يملك زمام جهازه العصبي والحسي، بل وصل به الأمر إلى إيقاف نبض قلبه وعقله ليعود بهما إلى الحياة من جديد. بمعنى آخر، ادّعى طاهر أنه يملك مفتاح الموت والحياة!

لم يجد طاهر آذانًا صاغية لادعاءاته، بل واجه سخرية ورفضًا قاطعين. لم يثنيه ذلك عن تحقيق حلمه، فطلب من الحكومة المصرية السماح له بإجراء تجربة على نفسه لإثبات صحة ادعاءاته.

تمثلت التجربة في حبس طاهر داخل تابوت مُحكم الإغلاق لمدة ٢٨ يومًا. ثارت ثائرة رجال الدين، معتبرين ما يفعله طاهر انتحارًا محرّمًا. وبفضل خبرته الطبية وبعض الرشاوي، تمكن من إقناع السلطات بسلامة التجربة، ليحصل على الموافقة المنشودة.

اجتمع حشدٌ غفير من العلماء والأطباء يشوبهم الشك والريبة، راغبين في دحض ادعاءات طاهر وإثبات كذبه. حضر التجربة أيضًا شخصيات سياسية وفنية مرموقة، ساعيةً إلى إثارة الجدل حول الحدث الاستثنائي.

قبل بدء التجربة، خضع التابوت للتدقيق من قبل الحاضرين للتأكد من خلوه من أيّ خدعة أو ثغرة كالتي يستخدمها لاعبي الخفة في

السيرك. ثم دخل طاهر التابوت المُحكم، تاركًا وراءه عالم الأحياء ليغوص في أعماق الموت

أطبق طاهر كفيه على جبهته ورأسه، ضغطًا هائلاً كاد يُسحق عظامه. تنفسهُ تعثّر، كأنّ خيوطًا خفية تُخنق روحه. وفجأة، سقط جثة هامدة على الأرض، لا حركة تدلّ على حياة. هُرع العلماء والأطباء، يفحصون جسده كأنّهم يبحثون عن سرّ ضائع. قاسوا ضغطه، وضعوا السماعات على صدره، لكنّ الصمت كان سيد الموقف. لا نبض، لا ضغط، لا أثر للحياة. طاهر قد مات.

لم يعترض رجال الدين على ما حدث، فالموتُ حقٌّ لا مفرّ منه. بادر المساعدون بوضع قطع من القطن في فم طاهر وأنفه، سادّين أيّ منفذ للهواء. ثمّ حملوا جسده برفق، ليضعوه في تابوتٍ خشبيّ، قبل أن يُدفنوه في عمق ثلاثة أمتار تحت سطح الأرض. ردموا القبر، تاركين طاهر وحيدًا في ظلمته.

مرّت الأيام ثقيلة كالأحجار، حامِلةً معها ترقّبًا يمزجه الخوف. وعندما حان موعد العودة، لم يكن المشهد كما توقعه البعض. غاب نصف الحاضرين من الزيارة الأولى، ربما فقدوا الأمل، أو ربما آمنوا بالموت حتمًا. لم يُحرّكهم فضولٌ لمعرفة مصير طاهر، فقد اعتقدوا أنّه فارق الحياة قبل دفنِه، صريعًا للصدمة أو الخوف.

لكنّ بعض القلة القليلة، بدافع الفضول أو ربما الملل، حضروا ليشهدوا «فشل» التجربة. حفر المساعدون القبر، واستخرجوا التابوت. وفُتِحَ الغطاء، ليكشف عن جثة طاهر شاحبة كالموت، نحيفةً كأنّها ذابَتْ من شدّة الهزال. ساد الصمت، فقد ظنّ الجميع أنّ

النهاية حتمية. لكنّ المفاجأة كانت أدهى مما تخيّلوا.

تحرّكت أصابع طاهرٍ ببطء، كأنّ قوة خفية تُحييها من جديد. ثمّ انفتح جفنهُ بِثقل، ليكشف عن عينين غارقتين في الدهشة. دون أيّ مساعدة، تحرّك طاهرُ ببطء، كأنّه يُعيد اكتشاف جسده. قدّم له المساعدون الماء والطعام، وبتناولِهما، عاد جسدهُ ليتمتّع بحيويةٍ تدريجية.

في غضون دقائق قليلة، عاد طاهرُ كالسابق، وكأنّ ٢٨ يومًا لم تمرّ عليه في ظلمة القبر. أيّ عجبٍ هذا؟! 28 يومًا بلا طعامٍ أو هواءٍ أو شمسٍ، في حين يذوق البشر العاديين الأمريين أثناء الصيام من الجوع والعطش بعد ساعاتٍ قليلة. ثلاث دقائق هي أقصى مدةٍ لتحمّل انقطاع الأكسجين، بينما صمد طاهرُ ٢٨ يومًا!

سُئل طاهر عما رأى حين دُفن حيّاً، فأجاب: «لا شيء! في لمح البصر، عدتُ إليكم وكأنني لم أغادر. وفجأة، وجدتُ المساعدين يُسعفونني ويُقدمون لي الماء. لقد مرّت بي ٢٨ يوماً وكأنها ثانية واحدة، دون أن أحلم حتى وأنا ميتٌ!"

ذاع صيت طاهر، وتصدرت صورته الصحف المصرية والعالمية، ونال لقب «الدرويش المصري العائد من الموت». لم يكتفِ طاهر بذلك، بل قرّر تجربة دفنه حيّاً في بلدانٍ مختلفة، إيماناً منه بقدراته الخارقة.

في فرنسا، واجه طاهر طلباً غريباً: دفنه تحت الماء بدلاً من الأرض. وافق طاهر دون تردد، بل رحب بالتحدّي الجديد.

أجرى طاهر التجربة مرتين، الأولى نصف ساعة والثانية يوماً كاملاً، يحدد مدة الدفن عشوائياً. حتى لو طلب منه أحدٌ دفنه بوقتٍ محددٍ، لا يتردد طاهر في الموافقة.

جسم طاهر بمثابة منبهٍ دقيق، يُحدد وقت استيقاظه بمنتهى الدّقة. وصل صيته إلى الملك فاروق، الذي استدعاه لمشاهدة تجربته المُذهلة. أُعجب الملك بقدرات طاهر، ومنحه لقب «بك".

اشتهر طاهر بك عالمياً، وجذبت شخصيته الكاتب البريطاني «بول بريتون» الذي كان يُؤلّف كتاباً عن السحر في مصر. طلب «بول» من طاهر بك أن يُجرى تجاربه أمامه، بحضور نخبةٍ من العلماء، ليُضفي على الكتاب طابعاً علمياً.

وافق طاهر بك، وبدأ عرض مهاراته الاستثنائية، بينما دوّن «بول» كلّ تفصيلٍ بدقة. وقد حان الوقت لسرد بعض تلك التجارب على سبيل المثال وليس الحصر:

١- التجربة الأولى

وضع طاهر بك كفّيه على جبهته وصدره، وبدأ يتنفس بصعوبةٍ قصوى، وكأنّه يغرق في بحرٍ من الهواء. مشهدٌ مألوفٌ للوهلة الأولى، لولا ما حدث بعد ذلك، فبدلاً من أن يسقط جثةً هامدةً على الأرض كما جرت العادة، تجمد جسده كتمثالٍ صُنِع من المعدن الصلب.

فقد طاهر بك الوعي وهو في وضعية التمثال المتخشب، فهرع مساعدوه لإجراء تجربةٍ لا مثيل لها. جلبوا سريرًا مرصّعًا بمسامير حادةٍ يبلغ طول كلّ منها عشرة سنتيمترات، ووضعوا عليه جسد

طاهر بك المتصلب. لم يتوقف الأمر عند هذا الحدّ، بل زادوا من وطأة التجربة بوضع صخرةٍ ضخمةٍ من الجرانيت فوق صدره.

تخيل حجم الألم الذي كان يُفترض أن يشعر به أيّ إنسانٍ عاديٍّ في هذه الوضعية. صراخٌ مدوٍّ كان مُنتظرًا، أو على الأقلّ نزيفٌ غزيرٌ من الظهر المُثقوب بالمِسامير. لكنّ شيئًا من ذلك لم يحدث!

ازدادت حدة المشهد غموضًا عندما أحضر أحد المساعدين مطرقةً ضخمةً تُستخدم في هدم المباني، وانهال بها بكلّ قوّته على صخرة الجرانيت. توقع الجميع أن تنشق الصخرة إلى نصفين تحت وطأة الضربات المُتلاحقة، لكنّها صمدت ببساطةٍ مُذهلة.

لم يقتصر الأمر على صمود الصخرة، بل ظلّ جسد طاهر بك سليمًا تمامًا، دون أيّ أثرٍ لعلاماتٍ تُشير إلى وجود مساميرٍ تخترقه أو انحناءٍ في الجلد ناتجٍ عن الضغط الهائل.

غُرض جسد طاهر بك على مجموعةٍ من العلماء والأطباء، الذين فحصوه بدقّةٍ متناهية. لم يجدوا أيّ أثرٍ للمسامير في ظهره، ناهيك عن عدم شعوره بأيّ ألمٍ. بل إنّ معدل ضربات قلبه كان طبيعيًا تمامًا، ممّا أثار حيرة الجميع وعمّق من غموض هذه الظاهرة الفريدة.

يُذكر أنّ الجزء العلوي من جسد طاهر بك كان عاريًا تمامًا خلال التجربة، وذلك للتأكد من عدم ارتدائه أيّ نوعٍ من السترات الواقية.

٢- التجربة الثانية

بعد أن أتمّ المساعدون تهيئة طاهر بك، وضعوه على مسندين، أحدهما عند رقبته والآخر عند قدميه، دون أيّ رابط بينهما. هكذا

أصبح جسده ممسوكًا من هاتين النقطتين فقط، مع وجود فراغ تحته. ورغم ذلك، بقي جسمه ثابتًا كطاولةٍ مُستقرة.

لم يكتفِ الأمر بذلك، بل قام أحد المساعدين بالوقوف على صدر طاهر بك. فمن المنطقي أن ينهار الجسد تحت هذا الوزن، لولا وجود سندٍ تحته. لكنّ جسد طاهر بك ظلّ صامدًا كقطعة خشبٍ صلبة. بل زاد الأمر تعجبًا عندما وقف مساعدٌ آخر على بطنه، دون أن يطرأ أيّ تغيير.

٣- التجربة الثالثة

استيقظ طاهر بك ليُذهل الحاضرين بتجربةٍ أخرى لا تقلّ غرابةً عن سابقتيها. فقد أحضر دجاجةً وقطةً، وهما من الحيوانات الأكثر حركةً ونشاطًا. فمن النادر أن ترى دجاجةً واقفةً ثابتةً دون حركة، أو قطةً ساكنةً لا تتحرّك.

لكنّ طاهر بك فعل المستحيل. فقد ادّعى قدرته على التحكم في المناطق الحسية والسيطرة عليها، سواءً لنفسه أو لأيّ كائنٍ حيٍّ آخر.

وإثباتًا لِما قاله، أمسك طاهر بك بالدجاجة والقطة، وضغط بإبهامه على نقاطٍ محددةٍ في جسديهما. حاول الحيوانان المقاومة والتفلت من قبضته، لكن دون جدوى. وفجأةً، حدث ما لم يُتوقعه أحدٌ: جمُدا الحيوانان في مكانهما، دون حركةٍ أو صوتٍ، وكأنّهما قد أُصيبا بالشلل.

بدا للكاتب «بول» أنّ طاهر بك قد قتل الحيوانين أو على الأقلّ أضرّ بجهازهما العصبيّ بشكلٍ خطير. لكنّ المفاجأة كانت أكبر عندما

قام طاهر بك بالضغط على نقاطٍ أخرى في جسديهما، فعادا إلى التحرك بشكلٍ طبيعيّ، وكأنّ شيئًا لم يكن قد حدث. وكأنّ الحياة قد عادت إليهما من جديد.

لم يقتل طاهر بك الحيوانين، بل تسبّب لهما بشللٍ مؤقتٍ فقط، أذهل الحاضرين وأثبت قدراته الاستثنائية في التحكم في الأحاسيس.

٤- التجربة الرابعة

جاء طاهر بك حاملاً بعضًا من الجمر المتوهج وفحمٍ أسود محترق، ألقى بها على الأرض دون تردد، ثم وطأ عليها بقدميه العاريتين. لم يكن المشهد مألوفًا، فقد سار طاهر بك على الجمر الملتهب بكل سلاسة، وكأنّه يتنزه في حديقة وردية، دون أن يشعر بأي ألم أو حتى انزعاج.

إنّ المشي على الرمال حافي القدمين قد يُسبب الشعور بعدم الراحة، ناهيك عن وطء الجمر المتوهج. لكن طاهر بك بدا وكأنّه لا يبالي بنار الجحيم، بل سار عليها بثباتٍ وعزيمة.

ولم يزدد الأمر غرابةً فحسب، بل زاد عندما لاحظ الجميع أنّ قدميه لم تتأثر بالنار، ولم تظهر عليهما أي علامات حروق أو حتى احمرار.

٥- التجربة الخامسة

أثار سلوك طاهر بك شكوك الكاتب «بول»، الذي ظنّ أنّ طاهر بك قد يكون مصابًا بمتلازمة نادرة تُعرف باسم «متلازمة عدم الشعور

بالألم». تُصيب هذه المتلازمة شخصًا واحدًا من بين كلّ عشرة ملايين شخص، لكنّها حالةٌ مثبتةٌ علميًا.

للتأكد من صحة شكوكه، قرر «بول» اختبار طاهر بك بطريقةٍ أخرى. غطّى عينيه، ثم وخزه بدبوسٍ في أماكن مختلفة من جسمه. وبشكلٍ مُذهل، تمكن طاهر بك من تحديد أماكن الوخز بدقةٍ شديدة.

أثبت ذلك أنّ طاهر بك يُحسّ بالألم بشكلٍ طبيعيّ، تمامًا كأيّ إنسانٍ آخر. فما الذي حدث إذًا خلال التجربة السابقة مع الجمر؟

٦- التجربة السادسة

لإشباع فضوله، قرر «بول» إجراء تجربةٍ أخرى أكثر غرابةً. طلب من طاهر بك أن يثقب فمه بدبوس، وهو ما فعله طاهر بك دون تردد.

كان من المُتوقع أن ينزف الدم من الجرح، كما يحدث مع أيّ إنسانٍ عاديّ. لكنّ المفاجأة كانت أنّ الدم لم ينزف على الإطلاق!

سأل «بول» طاهر بك إن كان بإمكانه التحكم في نزيف الدم. أجاب طاهر بك بكلّ ثقةٍ أنّه قادرٌ على ذلك. وفجأةً، بدأ الدم ينزف من فمه، ثم توقف تدريجيًا حتى جفّ تمامًا.

ولم يكتفِ الأمر بوقف النزيف، بل التئم الجرح بشكلٍ كاملٍ في غضون دقائق معدودة، دون أن يترك أيّ أثرٍ يدلّ على ما حدث!

كانت تلك آخر تجربة عمل جمعت بين طاهر بك والكاتب الإنجليزي، لتنقش في ذاكرة الأخير صورة مختلفة تمامًا عن تلك التي توقعها. فلم يكن طاهر بك ساحرًا يمتلك قوى خارقة للطبيعة،

كما اتهمه البعض، بل كان إنسانًا موهوبًا صقل مهاراته عبر التدريب والممارسة الدؤوبة ودراسته لكتاب القانون. مهارات مكنته من التحكم في جسده وألمه، لدرجة جعلت البعض يعتقد بقدرات خارقة تتجاوز حدود البشر.

ولم يقتصر ذكر طاهر بك على تلك التجربة، بل تناقلته الكتب والروايات، خلدت اسمه ومهاراته الاستثنائية. ففي كتاب «أغرب حكايات السحر» للكاتب جون كاننج، خصص الكاتب صفحات لوصف قدرات طاهر بك وتأثيرها على من حوله.

ولكن، الغريب حقًا لم يكن في مهارات طاهر بك بحد ذاتها، بل في غموض مصيره. فمَن ذا الذي يملك القدرة على التحكم بالموت، إلا ويكون موته استثنائيًا لا مثيل له؟

لو افترضنا أن لطاهر بك نهاية، فكيف ستكون؟ أليس من المنطقي أن يتحكم هو بموته، مُختارًا توقيته وكيفيته؟ ألم يكن يملك القدرة على ذلك بفضل تحكمه الدقيق في كل ذرة بجسده؟

للأسف، لم نجد إجابة قاطعة على هذا السؤال. فالمصادر والمراجع، سواء كانت مادية أو رقمية، تخلو من أي معلومات تتعلق بموت طاهر بك النهائي. فهل مات حقًا، أم أنه لا يزال حيًا يُرزق، يمارس مهاراته الاستثنائية في مكانٍ ما من العالم؟

ع

عجب

العجب العجاب هو كل ما ستنطق به حين تدري أصل حكاية عائلة فكوس

لا نأتي اليوم لنغوص في أحاديث بيوت مسكونة عادية، بل سنُبحِر إلى رحلةٍ غامضةٍ تقشعر لها الأبدان، رحلةٍ إلى أحد أشهر البيوت المسكونة في نيويورك، ذلك المأوى الذي أخرج من بين جدرانه أهم الوسطاء الروحانيين في أمريكا، تاركاً وراءه حكاياتٍ تُروى عن أرواحٍ ضالةٍ وأصواتٍ مرعبةٍ وظلالٍ غامضةٍ تُخيم على المكان. سنبصر العجب مع حرف العين

***

في مطلع عام ألف وثمانمائة وثمانية وأربعين، اتخذت عائلة فوكس قرارًا يغيّر مجرى حياتهم إلى الأبد. قررت العائلة الرحيل عن مقرّها القديم، والانتقال إلى منزل جديد في قرية هادئة تُدعى «هيدسفيل» ببلدة «أركاديا» الواقعة في مقاطعة «واين» بولاية نيويورك الأمريكية.

كانت عائلة فوكس عائلة بسيطة مكونة من أربعة أفراد: الأب جون، والأم مارجريتا، وابنتيهما كيت ذات الأحد عشر عامًا، وماجي ذات الأربعة عشر عامًا. وكانت لهم ابنة ثالثة تدعى ليا، متزوجة وتعيش مع زوجها في منزل آخر.

بدا منزل العائلة الجديد فخمًا وكبيرًا، يتربع في منطقة مميزة من

القرية، مطلًا على مساحات خضراء يهب عليها نسيم عليل. العجيب هنا إن رغمًا عن كافة تلك المزايا التي من المفترض أن تحيل ثمن المنزل لرقم خرافي، لكن ثمنه كان زهيدًا لدرجة أثارت الشكوك. فما سرّ هذا السخاء من المالك السابق للمنزل؟

لا شك أن أفلام الرعب قد زرعت في أذهاننا فكرة البيوت المسكونة، مما دفعنا للتخمين بأنّ منزل عائلة فوكس قد ينطوي على أسرار غامضة.

لكنّ الحقيقة كانت أبعد ما يكون عن تلك التوقعات. فجميع أهالي القرية كانوا على دراية بسمعة هذا المنزل المشؤومة، وأنّه مسكون بالأرواح الشريرة. بل حذّرهم المالك السابق، الذي سعى لبيعه بأيّ ثمن، من الأهوال التي واجهها بين جدرانه، مُؤكّداً على كونه مسكونًا.

وعلى الرغم من كلّ هذه التحذيرات، أصرت عائلة فوكس على موقفها، رافضةً الإيمان بالخرافات والأشباح. اعتقدوا أنّ ما واجهه المالك السابق يمكن تفسيره بأسباب علمية، نسيانًا منهم أنّنا نتحدث عن عام ألف وثمانمائة وثمانية وأربعين، حيث كانت نسبة التعليم منخفضة في القرى الأمريكية، ممّا أدّى إلى انتشار الخرافات والأوهام.

استقرّت العائلة في مسكنها الجديد، وسرعان ما خيّم على أجوائها جوٌّ من الغموض يشبه أفلام الرعب البالية. في البداية.. واجهت العائلة ظواهر غامضة تُميّز البيوت المسكونة، كالتغيرات المفاجئة في درجات الحرارة، وأصوات الهمس الغريبة، وطرقات غامضة على

الجدران والأبواب، وتحركات غريبة للأشياء، واهتزازات مفاجئة في الأرض، وانطفاءٍ مفاجئٍ للأنوار.

بدا الأمرُ عاديًا للوهلة الأولى عند سماعه، لكنّ تجربة العيش في هذا المنزل المُرعب كانت مختلفة تمامًا عن مجرد سماع حكاياتٍ عن البيوت المسكونة. تحولت حياة عائلة فوكس إلى جحيمٍ حقيقيٍّ بسبب الأحداث الغامضة التي تُهدد سلامتهم. ففي بعض الليالي، كانوا يستيقظون من النوم وهم يشعرون بحركة مفاجئة للسرير، وفي أحيانٍ أخرى، يجدون باب الغرفة مفتوحًا ويسمعون أصوات دقاتٍ أو خبطاتٍ غامضة.

دفع الخوفُ الأمّ مارجريت إلى اتخاذ قرارٍ صعبٍ، وهو أن تنام العائلة بأكملها في غرفةٍ واحدةٍ كبيرة. فقد كانت هي وزوجها ينامان في غرفةٍ، بينما كانت ابنتاها تنامان في غرفةٍ أخرى. فعملت على وضع سريرين في الغرفة الرئيسية ليتسنى لهم البقاء معًا في حال حدوث أيّ أمرٍ مُخيف.

استمرّ الوضع على هذا المنوال حتى ليلة ٣١ مارس من نفس العام. في تلك الليلة، قرابة منتصف الليل، اجتمعت العائلة في الغرفة الرئيسية كما هي عادتهم كلّ ليلة. كانت ابنتاها تلعبان معًا، ولم تبديا أيّ خوفٍ من الأحداث الغريبة التي كانت تحدث في المنزل. فالأطفال بطبيعتهم لا يدركون حجم المخاطر التي تُحيط بهم.

فجأة، قالت إحدى البنات بصوتٍ عالٍ وهي تلعب: "سأصفقُ الآن بيديّ، وأريد من ذلك الشيء الموجود في المنزل أن يصفق معي". وبالفعل، بعد أن صفقت الفتاة مرتين، سمعت العائلة صوتَ تصفيقٍ

غريبٍ قادمٍ من الجدار!

أصاب الرعب قلوب عائلة فوكس بأكملها إثر حادثة غريبة هزت أركان منزلهم الجديد. ففي لحظة من الترقب والارتباك، طلبت الأم مارجريت من ابنتها أن تصفق، وفجأة، انبعث صوت غامض من إحدى جدران المنزل. أدركت مارجريت على الفور أن كيانًا غامضًا يحاول التواصل معهم.

وبنبرة حازمة، حددت مارجريت قواعد الحوار مع هذا الكيان. ستطرح أسئلة بسيطة، والإجابة ستكون إما «نعم» أو «لا» من خلال دقات على الجدران. دقة واحدة تعني «لا»، ودقتان تعنيان «نعم".

بدأت مارجريت رحلة الاستكشاف، مُطلقةً سؤالها الأول: «هل أنت إنسان؟». ساد الصمت، ولم يأتِ أي رد. ثم سألت: «هل أنت روح؟». اهتزّ المنزل بدقتين قويتين، وكأنّ الكيان يؤكد وجوده.

ازداد فضول مارجريت، فسألت: «هل أنت روح معذبة؟». دوّى صوت ثلاث دقات قوية هزّت أرجاء المنزل، ممزوجةً بمشاعر الخوف والرهبة.

لم تقتصر أسئلة مارجريت على طبيعة الكيان، بل شملت أسئلة شخصية عن أفراد العائلة. سألت: «كم عدد سنين بناتي؟». وفجأة، انطلقت دقات على الجدران تعكس أعمار بناتها بدقة متناهية: ١٤ دقة لماجي، ١١ دقة لكيت، و ٣٤ دقة لليا، الأخت الكبرى التي لم تكن موجودة معهم في ذلك الوقت. ازدادت حيرة العائلة، فكيف عرف الكيان أعمار بناتها، خاصةً ليا التي لم تزر منزلهم الجديد قط؟

ثم كشفت دقة جديدة سرًا مروعًا. فثلاث دقات خافتة أجاب بها الكيان على سؤال عدد بنات مارجريت، والدقة الرابعة كانت تخص ابنتها الأخيرة التي فقدتها قبل سنوات بسبب مرض قاتل. ازدادت الشكوك حول هوية الكيان، هل هو حقًا روح غامضة أم شخص ما يلعب لعبة قاسية؟

لم تستسلم مارجريت، بل واصلت رحلة الاستكشاف، مُستجلبةً المزيد من المعلومات المذهلة. فكشف الكيان عن مقتله طعنًا بسكين قبل خمس سنوات ودفنه تحت الأرض في قبو المنزل.

ازدادت حدة التوتر، وقرر جون، زوج مارجريت، الاستعانة بجارتهم العجوز ريدفيلد. على الرغم من شعورها بالارتباك في البداية، إلا أن علامات الرعب على وجوه أفراد العائلة أقنعتها بجدية الموقف.

وبحضور ريدفيلد، أطلعتها مارجريت بكل شيء يخص الكيان، وسمحت لها بسؤاله عن أي شيء كما ترغب، بشرط أن تكون الأسئلة يتم أجابتها بنعم أو لا. وبالفعل راح الكيان يجيب بكل دقة عن أسرار لا تعلمها إلا المرأة العجوز وزوجها. ازدادت قناعة الحاضرين بوجود روح غامضة تسكن المنزل، وبدأت سمعة «المنزل المسكون» تنتشر في أرجاء المنطقة.

ذاع صيتُ الخبرِ في أرجاء القرية، فملأتْ ضجةُ الناس كلّ مكان. اجتمعَ أهلُ القرية حول ذلك المنزل العتيق، مُنصتينَ لصوتِ الدقّات المتوتر، ينتظرون بفارغ الصبرِ كلماتِ الروح المُرسلة. مع كلّ طلوعِ شمس، كان صوتُ الدقّات يتلاشى، وتُسدلُ الستارةُ على حوارِ الليلِ

المُعمر.

لم ييأس أهلُ القرية، بل ازدادَ إصرارُهم على كشفِ أسرارِ تلك الروحِ المُتحدثة. فابتكروا شفرةً للتواصلِ معها، مستخدمينَ لوحَ ويجا كوسيلةٍ لفهمِ لغةِ الدقّات.

ليالٍ طويلةٌ قضوها سهرًا، مُنتظرينَ كلمةً من ذلك العالمِ الآخر. وبمرورِ الوقتِ، بدأت تتكشفُ تفاصيلُ الحكايةِ شيئًا فشيئًا. فاتضحَ أنّ اسمَ الروحِ هو «تشارلز بي روزنا»، وأنّه كان بائعًا متجولًا، تزوّجَ وأنجبَ ثلاثَ بنات.

لكنّ سعادتهُ لم تُعمّر، فقد فارقت زوجتُه الحياةَ، تاركةً إيّاه وحيدًا مع بناتِهِ. وبينما كان يحملُ مبلغًا كبيرًا من المال (خمسمائة دولار)، تعرّضَ لاعتداءٍ قاتلٍ على يدِ لصٍّ طمعًا في ثروتِهِ.

دُفنَ «تشارلز» تحتَ منزلِ عائلةِ فوكس، ليظلّ روحهُ هائمةً تبحثُ عن العدالة. وبفضلِ صبرِ أهلِ القريةِ وإصرارِهم، تمكّنوا من معرفةِ تفاصيلِ مقتلِهِ، واسمِ قاتلِهِ، ومكانِ دفنِهِ.

على الرغم من عدمِ العثورِ على جثّتِهِ كاملةً، إلّا أنّ الاكتشافاتِ التي تمّت في بدرومِ المنزلِ أكّدت صحةَ روايةِ الروحِ.

انتشرت حكايةُ منزلِ عائلةِ فوكس كالنارِ في الهشيم، وجذبت سياحًا وصحفيّين من كافّةِ أنحاءِ الولاية. وتحوّلَ ذلك المنزلُ إلى أيقونةٍ من أيقوناتِ المنازلِ المسكونةِ في «نيويورك»، شاهداً على حكايةٍ غامضةٍ تتحدى حدودَ المنطقِ وتُثيرُ تساؤلاتٍ لا تنتهي.

لم تعد الأسرة تحتمل ضجيج المهرجان الصاخب، فقررت الأم

مارجريت إرسال بناتها الثلاث، ماجي وكيت، للإقامة مع خالاتهن في مناطق بعيدة عن ذلك الضجيج. لم يمضِ سوى بضعة أيام حتى سمعت كل من ماجي وكيت طرقات غامضة على جدران بيتهما الجديد، ظنّتا في البداية أن تلك الأرواح التي واجهتاها في بيت هيدسفيل قد لحقتا بهما، لكن سرعان ما اكتشفتا أن تلك أرواح مختلفة، لكل منها قصة مأساوية ترويها.

في تلك اللحظة، أدرك الجميع أن ماجي وكيت تمتلكان قدرة روحانية فائقة تمكنهما من التواصل مع الأرواح، وهي قدرة موروثة منذ الصغر لكنها لم تُظهر نفسها إلا بعد زيارتهما لبيت هيدسفيل النشط روحياً.

لم تقتصر تلك القدرة على ماجي وكيت فحسب، بل تمتعت ليا أيضاً بنفس القدرة الروحانية المذهلة، واكتشف ذلك عندما تم استدعاؤها لزيارة بيت هيدسفيل، حيث سمعت طرقات الأرواح هناك، وعندما خرجت من المنزل، سمعت تلك الطرقات في أماكن أخرى أيضاً.

مع ازدياد شهرة الأخوات فوكس، نسيت الناس قصة بيت هيدسفيل تماماً، وتركزت الأضواء على تلك الفتيات اللواتي أصبحن أشهر الوسائط الروحانيين في نيويورك.

في الرابع عشر من نوفمبر عام ١٨٤٩، قدّمت الأخوات فوكس عرضاً مباشراً للتواصل مع الأرواح أمام جمهور من ٥٠٠ شخص من أشهر الشخصيات في المجتمع الأمريكي آنذاك، في قاعة كورينثيان بمدينة روتشستر بولاية نيويورك. دفع الحضور مبالغ ضخمة

لحضور هذا العرض، ولم يخيب ظنّهم، فقد خرجوا منه مذهولين بما شاهدوه من قدرات خارقة للفتيات، مؤمنين تماماً بأن ماجي وكيت ولليا لسن عاديّات.

استمرّت الأخوات فوكس في استخدام نفس الطريقة للتواصل مع الأرواح، وهي طرقات الأرواح الغامضة، ليكتسبن شهرة واسعة ويصبحن رمزاً للظواهر الخارقة للطبيعة في ذلك العصر.

وشهد حفل الأخوات فوكس حضوراً مميزاً من كبار الشخصيات العامة الذين حرصوا على تأكيد إيمانهم بموهبة الأخوات الفريدة.

فقد زين الحفل حضور:

•ويليام كولين برايانت: عميد الصحافة الأمريكية، وكاتب افتتاحيات جريدة «نيويورك بوست» المرموقة.

•جورج بانكرونت: السياسي والمؤرخ الشهير، وصاحب مساهمات جليلة في تطوير التعليم.

•جيمس فينيمور كوبر: رائد الرواية الأمريكية، وأحد أشهر أدباء عصره.

•ناثانيال باركر ويليس: شاعر وكاتب أمريكي لامع، اشتهر بأسلوبه الساخر وقصصه القصيرة.

•هوراس جريلي: رئيس تحرير جريدة «نيويورك تريبون» الشهيرة، وعضو في الكونغرس الأمريكي.

•سوجورنر تروث: المناضلة البارزة في سبيل حقوق المرأة، ورمز

للكفاح ضد العبودية.

•ويليام لويد جاريسون: زعيم حركة إلغاء العبودية في الولايات المتحدة، وناشط سياسي بارز.

تخيل عظمة هذه الثلة من كبار شخصيات المجتمع الأمريكي، وهم يجتمعون لدعم موهبة الأخوات فوكس! فقد كان إيمانهم راسخاً بقدراتهن الخارقة، لدرجة أن «هوراس جريلي» -الذي لا يزال اسمه محفوراً في ذاكرة التاريخ- لم يتردد في إعلان دعمه المطلق لهن، مؤكداً على استعداده للدفاع عنهن ضد أي تشكيك أو قدح.

ولكن، كما هو الحال مع أي موهبة استثنائية، واجهت الأخوات فوكس موجة من التشكيك والرفض. فقد اتهمهن البعض بالنصب والشعوذة، مدعين أن «ظاهرة التواصل مع الأرواح» التي قدمنها ما هي إلا خدعة

برز من بين هؤلاء المعارضين الصحفي «جون دبليو هيرن» الذي زعم أن الأخوات فوكس هن السبب وراء انتشار ظاهرة الاحتيال والدجل في المجتمع.

فقد ادعى أن نجاح الأخوات فوكس شجع العديد من المحتالين على انتحال صفة «الوسطاء الروحيين» واستغلال الناس بأساليب وطرق مختلفة.

ولكن، وبينما رأى البعض في قدرات الأخوات فوكس خارقة للطبيعة، اعتبرها آخرون مجرد حيل شعوذة لا أساس لها من الصحة.

ففي زمن كثرت فيه حوادث السرقة، على سبيل المثال، لجأ

البعض إلى «الوسطاء الروحيين» بدلاً من اللجوء إلى الشرطة، معتقدين أنهم يملكون القدرة على كشف اللصوص وتحديد أماكنهم.

ومع ذلك، سرعان ما اتضح أن معظم هؤلاء «الوسطاء» كانوا مجرد محتالين يستغلون جهل الناس وخوفهم. وهكذا، واجهت الأخوات فوكس، إلى جانب تأييد كبار الشخصيات، موجة من التشكيك والاتهامات.

في عام ألف وثمانمائة وخمسين، هبط طبيب متخصص في علم الجنايات يدعى «لونغوورثي» ضيفًا على إحدى جلسات التواصل مع الأرواح التي كانت تعقدها الأخوات «فوكس". ظنّ «لونغوورثي» في البداية أنّ تلك الجلسة هي استثناء، لكنه سرعان ما اكتشف أنّها باتت تُقام أسبوعيًا، يجذب إليها كبار الساسة والصحفيين من مختلف أنحاء العالم، ممن أرادوا تسجيل تلك الظاهرة الغريبة ودفعوا مقابل ذلك مبالغ طائلة.

أثناء حضوره إحدى تلك الجلسات، لفت انتباه «لونغوورثي» صوت طرقعة غريب يشبه نقر الأصابع، سواءً كانت أصابع اليد أو القدم. بدا له أنّ مصدر ذلك الصوت هو الأخوات «فوكس» أنفسهن!

في عام ألف وثمانمائة وواحد وخمسين، وفد على المكان ثلاثة محققين في الظواهر الخارقة هم «أوستن فلينت» و«تشارلز لي» و«سي كوفنتري". أكّد هؤلاء المحققون ادعاء «لونغوورثي» وبيّنوا أنّ صوت الطرقعة يتلاشى في حالات معينة، مثل أن تكون أقدام الأخوات «فوكس» مكشوفة، أو يرتدين فساتين قصيرة - إذ كنّ يحرصن على ارتداء فساتين طويلة تُخفي أقدامهنّ - أو أن تكون

أقدامهنّ موضوعة على وسائد ناعمة، أو يجلسن على الأرض. أثبتت تلك التجارب أنّ مصدر صوت الطرقعة هو نقر أقدامهنّ دون شك.

وفي عام ألف وثمانمائة وثلاث وخمسين، زعم العالم الأمريكي «تشارلز جرافتون بيدج» أنّ صوت الطرقعة يشبه أكثر صوت اصطدام قطعتين من الخشب أو الرخام، ممّا أثار احتمال قيام الأخوات «فوكس» بإخفاء قطع من الخشب تحت ركبهنّ، ونقرها ببعضها البعض لإنتاج ذلك الصوت الغامض.

أما في عام ألف وثمانمائة وخمسة وخمسين، فقد نظّمت صحيفة «بوسطن كوريير» مسابقة لمن يثبت امتلاكه قدرات خارقة للطبيعة أمام لجنة مكونة من ثلاثة أساتذة من جامعة «هارفارد»، وذلك مقابل جائزة قدرها خمسمائة دولار. شاركت الأخوات «فوكس» في تلك المسابقة، لكنّهنّ فشلن في إقناع اللجنة بقدراتهنّ، ممّا شكّل ضربة قوية لسمعتهنّ وتأثيرهنّ.

وفي عام ألف وثمانمائة وثمانية وخمسين، اهتمّ الكاتب الإنجليزي الشهير «آرثر كونان دويل» - مبتكر شخصية المحقق «شيرلوك هولمز» - بقضية الأخوات «فوكس". ونظرًا لمعتقداته الراسخة بعدم وجود ظواهر خارقة، سعى «كونان دويل» لكشف حقيقة تلك الظاهرة. عاد إلى جذور حكاية الأخوات «فوكس» التي ارتبطت بمنزل «هيدسفيل» وبدأ البحث عن بائع متجول مفقود يدعى «تشارلز بي روزنا»، وهو الشخص الذي أشارت إليه الروح في بداية القصة. لكنّ المفاجأة كانت أنّ «كونان دويل» لم يعثر على أي أثر لشخص يحمل ذلك الاسم!

في عام ١٨٨٨، هزّت مذكرات السيدة «مارجريت فوكس» تحت عنوان «الاعتداء الغامض» أرجاء مدينة نيويورك، كاشفةً النقاب عن حقيقة مثيرة أذهلت الرأي العام. فما ظنّه البعض حوارًا مع الأشباح وتواصلًا غامضًا عبر طرقات غريبة على الجدران، لم يكن سوى مسرحية محبوكة بخيوط الخداع من قبل ابنتيها «كاثرين» و«إليانور".

فقد اتّضح أنّ العقل المدبر وراء هذه الخدعة هو الأخت الكبرى «ليا» التي سعت وراء الثراء الفاحش من خلال استغلال إيمان الناس وخوفهم من المجهول. اتّفقت «ليا» مع قريبتها «نورمان كولفر» على الاختباء بين جدران المنزل، وإصدار أصوات طرقات وهمية تُوحي بوجود كيان غامض.

ولم تقتصر الخدعة على الأصوات فحسب، بل زعمت «مارجريت» قدرتها على طقطقة أصابعها بشكل متواصل، وهي حالة خاصة ورثتها بناتها. وقد استغلت هذه الادعاءات لتعزيز مصداقية عروضها الروحية وجذب المزيد من الزبائن.

ولكن، لماذا كشفت الأم سرّ بناتها بعد كلّ هذه السنوات؟

تعود جذور ذلك إلى معاناة «مارجريت» من إدمان الكحول وفقدانها الإيمان، ممّا دفعها إلى إعادة تقييم حياتها بعد وفاة زوجها. شعرت «مارجريت» بالندم على تشجيعها لبناتها على النصب، وسعت للتكفير عن ذنبها بالعودة إلى الدين وكشف الحقيقة للعالم.

وبالفعل، حققت مذكراتها نجاحًا هائلًا، ففضحت أكاذيب عائلة فوكس أمام الجميع. واجهت الأخوات اتّهامات الكذب والنصب، ممّا

أدّى إلى تراجع شعبيتهم بشكل كبير، وصولًا إلى اعتزالهنّ إقامة جلسات تحضير الأرواح نهائيًا.

ومع ذلك، تبقى حكاية مالك المنزل في بداية القصة غامضة. فقد زعم أنه رأى أشباحًا وسمع أصواتًا غريبة، ممّا دفعه إلى الهروب من منزله خوفًا. هل كانت هذه ادعاءات كاذبة من جانبه لزيادة الإثارة؟ أم أنّ هناك حقيقة خارقة للطبيعة لم يتمّ الكشف عنها بعد؟

تظلّ حكاية عائلة فوكس شاهدةً على قدرة الخداع على التضليل، حتى وإن كان مُحكمًا. فمع مرور الوقت، تكشفت الحقيقة، وانهارت أسطورة تحضير الأرواح، تاركةً وراءها أسئلةً تُثير الفضول وتُحفّز العقل على البحث عن أجوبة قد تظلّ غامضة إلى الأبد. وقد هدم ذلك المنزل عام ١٩٠٤ بنفس العام الذي نشر فيه كتاب القانون للمرة الأولى

***

أنهيت لتوي أول ثلاث فصول من اللعبة، إنها تسير بنهج الأبجدية العربية بعد أن غيرت إعدادات اللغة بالطبع. وكأي شخص عاقل، هرعت على شبكة الإنترنت للبحث حول تلك الحوادث الثلاثة التي لعبتها، وبالفعل هي أحداث حقيقية، تم سرد الأحداث بشفافية كاملة باللعبة دون أي تحوير في الأحداث أو مزايدة عليها

ذكرني هذا الأمر بلعبة battlefield 1 التي تناولت خمس قصص متفرقة عن الحرب العالمية الأولى، ليس هنالك رابط واحد بين تلك القصص إلا وقوعها في ذات الحقبة الزمنية. مثل القصص التي لعبتها للتو وكان الرابط بينها هو كتاب القانون ! الذي تم ذكره بشكل صريح في القصص الثلاثة لسبب أجهله

ليس لدي فكرة عن أي كتاب قانون يتحدثون عنه، لماذا قد يدرس القانون طبيبين مثل طبيب الموت وصاحب ظاهرة طاهر بك من ثقافات وظروف مختلفة، ما نفع كتاب للمحاماه في تعزيز موقفهما؟ وما علاقته بهدم منزل عائلة فوكس؟

هل هذا قانون محلي تابع لدولة أو مدينة ما؟ بالطبع لا فالثلاث قصص تجري في مختلف بقاع الأرض ولا يوجد رابط واحد بينهم. ربما هو قانون عالمي إذًا، لكي يستطيع الثلاثة الفرار بجرائمهم، فقرروا معرفة عواقب أفعالهم الدنيئة إذا تم الإيقاع بهم

ولكن الثلاثة لم يرتكبوا ذات الجرم ليبحثوا في نفس المصدر، فقد قتل طبيب الموت الضحايا طمعًا في المال، كما إن ظاهر طاهر بك لم يهدف من خلفها لأي ربح يذكر أي أنه لم يؤذ أحد سواء ماديًا أو نفسيًا، على نقيض عائلة فوكس الذين سخروا حالتهم المرضية

النادرة في طقطقة الأصابع لكسب المال والشهرة، فأي كتاب قانون هذا الذي يجمع بين قضية قتل متسلسل ونصب واحتيال على السلطات

ناهيك بالطبع أن تلك الجرائم مهما بدت دنيئة وخالية من الضمير، لكنها تظل قضايا محلية، لم تصل لدرجة الاستعانة بالقانون العالمي، فهم ليسوا إرهابيين مطالبين دوليًا أو مجرمي حرب استغلوا حالة الفوضى العارمة لتحقيق أرباح شخصية

فقررت أن أبحث على شبكة الإنترنت على كتاب القانون، هكذا فحسب، كما تم ذكره في القصص الثلاث، والعجيب أنني توصلت إلى نتيجة.. كانت النتيجة واضحة دون أي اشتباه، كما لو إن هنالك الآلاف وربما الملايين بحثوا عن هذا الكتاب

إنه كتاب من تأليف الساحر البريطاني (ألستر كراولي) كتبه أثناء زيارته في مصر عام ١٩٠٤، ويقال إنه كتاب ديني لعبادة الآله حورس، حيث كان هذا الرجل مؤمنًا بالديانات المصرية القديمة!

لقد تم ذكر اسم هذا الساحر بشكر مباشر في ظاهر طاهر بك! ولكن ما علاقة الكتاب بالحكايات الثلاث؟ لا أدري، ربما يتضح هذا الأمر في الأحداث التالية من اللعبة، ولكن يظل السؤال هنا، هل أنا حقًا أريد أن أكمل اللعبة؟

لا أنكر إن اللعبة... لحظة واحدة، هناك رسالة أتتني على هاتفي الشخصي، أنا أجيب عن كافة المكالمات والرسائل التي تأتيني على هاتفي، فربما هي رسالة من إحدى شركات البريد أو الشحن التي تسألني عن عنوان منزلي، لتأتيني بألعاب فيديو جديدة أو ربما

رشوات مالية كما ذكرت سالفًا. قرأت نص الرسالة والذي كان:

«توقف.. مهما كانت الشهوة التي تتملك منك، عليك التوقف الآن، وإلا ستغرق بشكل كامل في اللعنة وسيتكفل غيرك بتحمل العواقب»

كانت الرسالة من رقم مجهول، لم أفهم مقصدها ولم أهتم، إنها على غرار:

«خالك عثر على قطعتين من الآثار، ويريدك أن تساعده في بيعهم، أو هذه رسالة من البنك وقد تم إيقاف حسابك»

دعنا من هذا الموقف العابر، ومن الأفضل أن نعود لموضوعنا. أين كنت؟ لا أتذكر، يبدو أن تزاحم الألعاب في عقلي، جعلت من ذهني مشتتًا، الشيء الوحيد الذي أتذكره أن اللعبة لا بأس بها، ولكن لا أعتقد أنها ستقدم شيء مختلف، إن تصنيفها هو storytelling أي إنها ليست لعبة حركة أو أكشن، بل أنا مجرد متفرج على مشاهد سنيمائية، كل ما أتحكم فيه هو الحوارات أو بعض القرارات، لأنها لعبة rpg التي تحدثت عنها من قبل.. لكنني لا أظن أن لقراراتي تأثير ملحوظ على مجرى الأحداث، فبمرحلة طبيب الموت، اخترت أكثر من مرة عدم قتل الضحايا، وكان الطبيب يقتلهم بعد القليل من التردد والكثير من التفكير. إن تلك اللعبة تعطيني وهم الاختيار وليس اختيارًا مؤثرًا

إن القصة هي أهم العوامل التي تجذب اللاعبين وتجبرهم على الترابط مع اللعبة، فإن لم أعثر على القصة المثيرة للاهتمام أو الحبكة المترابطة، فما أهمية اللعب من الأساس؟

فلعبة battlefield 1 التي ذكرتها من قبل، كان تركيز المطورين الأول والأخير على اللعب الonline وليس القصة، وبالفعل نجحوا في هذا، حيث كان طور اللعب الجماعي فوق الممتاز، ولكن مع تقدم السنوات، نسى اللاعبون أمر الطور الجماعي هذا تمامًا ولم يتذكروا سوى القصة رغم ضعفها وعدم ترابطها

أمامي الآن خياران، إما أن أنهي اللعبة أو أكمل ثلاثة فصول أخرى عسى أن أجد فيها ما يحثني على المواصلة، يا له من خيار مثير بحق، أحيانًا تكون تلك التفاصيل الصغيرة، لها أثر فراشة مدوي، قد يغير حياتي للأبد. هل يعقل أن يكون لقراري التالي موقف مصيري، أم إنني أهول الأوضاع ليس إلا

إذا قررت أن توقف اللعبة اذهب لصفحة رقم (٤٨)

إذا قررت أن تواصل اللعب اذهب لصفحة رقم(٥١)

«إلى شركة (نايفي) الموقرة

تحية طيبة وبعد

أود أن أعرب عن خالص شكري وتقديري لكم على إرسال نسخة مبدأية من لعبتكم. لقد استمتعت بتجربة اللعبة وتقييمها، وأود أن أشارككم بعض ملاحظاتي التي أعتقد أنها ستساعدكم في تحسينها بشكل كبير.

أولاً، أود أن أشيد بميكانيكية اللعب الأساسية للعبة. لقد وجدتها ممتعة وجذابة، مع منحى شعور سلس يسمح للاعبين الجدد بالتعود على اللعبة بسرعة.

مع ذلك، أعتقد أن هناك بعض المجالات التي يمكن تحسينها لجعل اللعبة أكثر متعة وإثارة. على سبيل المثال، يمكن إضافة المزيد من تنوع المهام والأنشطة داخل الفصل الواحد، وتوسيع نطاق عالم اللعبة، والتركيز على عناصر الrpg وتعدد الخيارات التي تفتقر إلى تنوع السيناريوهات

ثانياً، أعتقد أن القصة لديها إمكانات كبيرة، لكنها تحتاج إلى بعض العمل الإضافي لتكون أكثر جاذبية.

أقترح التركيز على تطوير الشخصيات بشكل أكبر، وتقديم حبكة أكثر تعقيدًا، وربط الأحداث بشكل أفضل من الفصول العشوائية.

ثالثاً، أعتقد أن الجرافيكس والبصريات جيدة بشكل عام، لكن يمكن تحسينها.

أقترح العمل على زيادة دقة القوام، وتحسين تأثيرات الإضاءة،

وتقديم المزيد من التفاصيل في البيئات.

بشكل عام، أعتقد أن لعبتكم لديها القدرة على أن تكون لعبة رائعة. بالنسبة لاستوديو مستقل. أقدر جهودكم في تطويرها، وأتطلع إلى رؤية التحسينات التي ستقومون بها في المستقبل. والمزيد من الألعاب التي تخصكم

مع خالص الشكر والتقدير»

ثم ضغطت على زر الإرسال، كما هو واضح فإن تلك الرسالة السابقة هي نمط ثابت، أرسله لكافة شركات الألعاب التي لا تروق لي ألعابهم، مع إضافة بعض التفاصيل التي لاحظتها أثناء اللعب

لا أعلم إن حددت الشركة موعد إصدار اللعبة، أو كان لتلك الشركة ألعاب أخرى في الأسواق أو تلك هي لعبتهم الوحيدة، لكنني لا أهتم، أعتقد إن مصير هذا الاستوديو هو الإفلاس أو التوجه لانتاج ألعاب الهواتف النقالة ذات الأقل تكلفة والأكثر ربحًا

حذفت ملفات التخزين من جهاز playstation الخاص بى، لتوفير مساحة للعبة أخرى، بالنسبة لأسطوانة اللعبة، فأنا لم أقرر ما الذي سأفعله بها بعد؟ لكنني سأتخلص منها دون شك، فأنا لا أحتفظ إلا بالألعاب التي تعجبني وقد يصعقني الشوق لتجربتها مرة أخرى، وهذا من المستحيل أن يحدث مع لعبتنا تلك.

لا يمكنني أن أهدي الأسطوانة لأحد أصدقائي المهتمين بالألعاب مثلي، فتلك اللعبة لم تصدر بشكل رسمي بعد، وأهدائها لشخص غريب قد يخل بسمعتي ومكانتي كناقد ألعاب، فقد تتسرب اللعبة

للشبكة العنكبوتية من صديقي بطريقة ما، رغم ثقتي في صديقي هذا أنه لن يفعل شيئًا دنيئًا كهذا، لكنني لن أخاطر بالتجربة.

لهذا قد أحطم الأسطوانة أو أرمي بها أعلى الدولاب أو أسفل الفراش، الجميع يعلم تلك الفجوة الزمنية المتواجدة بمنزل كل فرد بهذا المجتمع، حيث تجد في تلك الفجوة أغراضًا كنت مواظبًا على استخدامها منذ سنين عدة لكنك فقدت الشغف بها، ولا تتخيل أنها لا تزال متواجدة في منزلك بمكان ما، مثل كروت اليوجي يو الممزقة، وعربات سابق ولاحق المهترئة، أو حتى البلي الأزق الملئم بالأتربة

سأفكر بتلك التفاهات لاحقًا.. أما الآن فقد حان وقت تجربة الجزء الجديد من لعبة assassin's creed، فشركة Ubisoft لا تنوي التوقف عن حلب تلك السلسلة في أي وقت، يبدو أنه لا مفر من ألعاب ال triple a gamesبنهاية المطاف

وبالفعل جهزت كل شيء ليوم عمل جديد، تربعت على مقعدي المريح وزودت نفسي بمؤن التسالي التي ترافقني أثناء اللعب مثل المقرمشات والعصائر، جلبت دفتري الشخصي الذي أدون به ملحوظاتي النقدية عن اللعبة، ضبطت ساعتي الخاصة لتحسب عدد ساعات اللعبة، ثم بدأت في عالم مبهر جديد

تمت

غ

غدر

لن تجد إلا الغدر والوحدة في غابة هويا باكيور

تُعرف الغابات بِرَوْعَتها الطبيعية، لكنّها تُخفي بين طيّاتها مخاطرَ جمةً لا تُحمد عاقبتها. فعند سماع كلمة «غابة»، لا يسع المرء إلا أن يتخيّل فخاخ الدببة القاتلة، تلك التي قد تُفصِلُ الساق عن الجسد في غمضة عين. أو ربما تخطر على بالهِ النمورِ البريةِ الجائعةِ، التي ملّت من أكلِ السناجبِ، فتُفتّشُ عن فريسةٍ جديدةٍ لإشباعِ نهمِها. ناهيك عن الأفاعي السامةِ الكامنةِ في الظلّ، والتي تُتربّصُ بأيّ عابرِ سبيلٍ، لِتُخِزّهُ بِسمّها القاتلِ دون رحمةٍ أو شفقةٍ.

ولكن، هل تَخَيّلَ أحدٌ يوماً أنّه سيُواجهُ في غابةٍ مظلمةٍ أصواتَ ضحكاتٍ شيطانيةٍ مُرعِبةٍ، أو أشباحاً مُخيفةً تُهدّدُ حياتهُ؟ إنّ هذهِ الأفكارِ تُثيرُ الرّعبَ في القلوبِ، وتُرسلُ قشعريرةً في الأبدانِ، وتُؤكّدُ على أنّ الغاباتِ، على ما فيها من جمالٍ خلّابٍ، تُخفي وراءَ ستارِها الأخضرِ مخاطرَ لا حصرَ لها كما حدث في حرف الغين

***

تقع غابة «هويا باكيو»، تلك التحفة الطبيعية الخلابة، في أحضان رومانيا، وتحديدًا في منطقة «كلويش» بمدينة «ترانسلفانيا». تمتد مساحتها على ٢٥٠ هكتارًا، وتُزينها أشجار شامخة تُوحي بالسكينة والهدوء. بعيدًا عن مخاطر الحيوانات المفترسة أو المستنقعات السامة، تُعدّ هذه الغابة وجهة مثالية للتنزه ورحلات التخييم، حيث

توفر الحكومة فرق أمنية لحماية المنطقة ومساعدة الزوار.

ولكن، سرعان ما يزحف الغموض على هذه اللوحة البديعة، مُخيمًا بظلاله على سمعة الغابة منذ أواخر عام ١٩٦٠. ففي تلك الحقبة، بدأت ظواهر غريبة تُثير الرعب في قلوب السكان المحليين الذين اعتادوا ارتيادها يوميًا كمصدر رزق لهم، حيث كانوا يجمعون الحطب، ويقصون العشب، ويلتقطون العنب البري، ويجمعون الأزهار لبيعها.

تداولت أنباء عن أصوات غريبة تخرج من الغابة، كأنها صادرة من عالم آخر. أصوات مروعة تُفزع القلوب وتُفقد البعض عقولهم. اعتقد السكان المحليون أنّ هذه الغابة بوابة لعالم مرعب مليء بالموت، وازدادت مخاوفهم مع تكرار حالات مرضية غامضة لدى زائري الغابة، شملت الغثيان والتقيؤ والخدوش والطفح الجلدي، بالإضافة إلى رؤيتهم لحيوانات غريبة وأصوات نساء تضحك وأطياف تتجول بين الأشجار.

في رحلتنا القادمة، سنغوص في عالم هذه الأساطير المرعبة، ونستكشف حكايات الأشباح واللعنات التي تُحيط بغابة هويا باكيو، ونستعرض أشهر الحوادث التي مرت على تلك الغابة:

١- حكاية دراكولا

من ذا الذي لا يعرف (فلاد الولاشي)؟ ذلك الكونت المجنون الذي ثار على الدولة العثمانية بأكملها، مُلقياً الرعب في قلوبهم لشهورٍ طويلة. إن لم يكن اسمه قد وصل إلى مسامعك، فاعلم أنه ببساطة أول وأشهر مصاص دماء حقيقي في التاريخ، ذلك الذي ألهم الكاتب

البريطاني العظيم (برام ستوكر) ليخلق واحدة من أشهر شخصيات الرعب على مر العصور، ألا وهي شخصية الكونت (دراكولا).

كان (فلاد الولاشي) يرى في شرب دماء أعدائه مصدرًا للقوة والذكاء. قد تقول: «ما هذا الهراءِ؟ لا يمكن أن يكون ذلك صحيحًا!»، لكن العجيب أنّه قد حدث بالفعل! فقد ازدادت قوة الكونت (فلاد) أضعافًا مضاعفةً عن الجندي العادي، واكتسب سرعةً في الحركة وردة فعل تفوقان قدرات البشر. كما اشتهر بوحشيته في معاقبة أعدائه، فلم يكن يقتلهم بالطرق المعتادة كالشّنق أو قطع الرأس، بل كان يُجلسهم على خازوقٍ حتى الموت، ليكسب بذلك لقب (فلاد المخوزق).

ثارت قوته على الدولة العثمانية حتى هُزم في النهاية على يد السلطان (محمد الفاتح). قد تكون هذه المعلومات قديمةً، فأنا لستُ أول من يتحدث عن (فلاد الولاشي)، ولن أكون آخرهم. ولكننا اليوم لن نتحدث عنه، بل عن جثته!

أين ذهبت جثة دراكولا؟

يُقال أنّ العثمانيين دفنوه في مكانٍ ما في تلك الغابة. وبما أنّ دراكولا لم يكن شخصًا عاديًا في حياته، فمن المؤكد أنّه لن يكون كذلك بعد موته. فقد زعم الناس أنّ الكونت (فلاد الولاشي) كان مسكونًا بالعديد من الشياطين، هي من وهبته تلك القوة الخارقة والشرّ المطلق. ويُعتقد أنّ تلك الشياطين تجول الآن في الغابة مع روح (فلاد) نفسه، مُسببةً الرعب والموت لمن يقابلها.

قد تقول: «كيف لجثة شخصٍ واحد أن تُسبب كلّ هذا القلق؟».

تذكر أنّنا لا نتحدث عن أيّ شخصٍ عادي، بل عن واحدٍ من أكثر الشخصيات شرًا في التاريخ، وتسبب في مقتل الآلاف بيديه العارتين وبأبشع الوسائل الممكنة

٢- حكاية شبح العروس

في ظلال الغابة الدامسة، حيث تتراقص أوراق الأشجار على وقع أنغام الليل، نسج خيطٌ من الرعب حكايةً غريبة، حكاية شبح العروس

كان شابٌ وخطيبته يزدانان بزهور الحب، يملأهما الشوق لرحلةٍ رومانسية في أحضان الطبيعة. اختارا الغابة مقرًا لخيمتهما، يظنّان أنّهما سيقضيان ليلةً هادئة تحت ضوء القمر. لكنّ القدر خبّأ لهما فخًا لم يكن في الحسبان. وفجأة، سمعت خطيبته همسًا خفيًا، فالتفتت برأسها كأنّها تسترق السمع لسرٍّ قديم. حاول خطيبها جاهداً أن يفهم ما سمعته، لكنّ هدير الصراصير كان هو الصوت الوحيد الذي يملأ المكان.

في لحظةٍ غريبة، هبت خطيبته واقفةً كالمجنونة، واندفعت نحو عمق الغابة تاركةً حبيبها في حيرةٍ وذهول وهي تردد «من أجل القاهر نضحي، حتى يتسلح الأعظم ويسود». لم تحمل معها مصباحًا ينير طريقها، بل اختفت في ظلمةٍ دامسةٍ كأنّها ابتلعتها الأرض. طار الشابُ وراءها كالمجنون، ينادي اسمها بصوتٍ مبحوح، لكنّ لا شيء سوى الصدى ردّ عليه. لم يجد الشابُ سوى اللجوء إلى السلطات، فهرعت فرقُ الإنقاذ إلى الغابة تبحث عن العروس المفقودة.

جابت فرقُ البحث كلّ شبرٍ في الغابة، لكنّها لم تعثر على أثرٍ لها.

فعلقوا صورتها على مدخل الغابة، علّ عابر سبيلٍ يراها ويعيدها إلى أحضان عريسها.

وبالفعل، رأى بعضُ الناس صاحبة الصورة، لكنّهم لم يروها كإنسانةٍ حقيقية، بل كشبحٍ يرتدي فستانَ زفافٍ أبيضَ. كان شبح العروسة يظهرُ للناسِ بين الحين والآخر، يمرّ من أمامهم دون أن يؤذيهم، تاركًا وراءه شعورًا بالرهبة والخوف.

وهكذا، أصبحت حكاية شبح العروسة من أشهرِ الأساطيرِ المرعبةِ التي تُروى عن تلك الغابة، حكايةً تُحذّرُ العشاقَ من مغامراتِ الحبّ المظلمة.

٣- غابة برمودا

أرض غامضة تُعرف باسم برمودا، اسمٌ يثير القشعريرة ويداعب مخيلة كل من يسمعه. فما سرّ هذا الاسم المشؤوم؟ وما هي الأسرار التي تخبئها تلك البقعة الملعونة؟

مجرد ذكر اسم برمودا، يخطر على بالك ذلك الثقب الدودي المرعب في أعالي المحيط، الذي يبتلع كل ما يقترب منه، ليظهره في زمنٍ آخر، سواءً في المستقبل أو الماضي. وهذا ما تفعله غابة برمودا أيضًا، لكن بطريقةٍ أكثر غموضًا وفتكًا.

فليس كل من يدخلها يختفي، لكنّ ذلك يحدث أحيانًا، ولو بنسبةٍ قليلة. وماذا يحدث لمن يختفي؟ أقول لك: انس أمره! فمن يدخل غابة برمودا لا عودة له. وكل من يبحث عنه يصاب بأمراضٍ جلديةٍ غريبةٍ وحروقٍ في جسده، دون أن يلمس أيّ شيءٍ سامٍ.

وإن ظهر أحد المفقودين، فإمّا أن يكون جثةً هامدةً، أو بعد سنينٍ طويلة! لا تصدقني؟ فاسمع هذه القصة:

تاهت فتاةٌ صغيرةٌ في الخامسة من عمرها في غابة برمودا. بحث عنها أهلها لمدة عامٍ كاملٍ دون جدوى، لا جثةٌ ولا أثرٌ. استسلم الوالدان للأمر الواقع وأعلنا وفاة ابنتهما.

وبعد عشر سنين، حدث ما لا يصدق! خرجت الفتاة من الغابة! تخيل ذلك! ظهرت بعد عشر سنين! فمن كان يُطعمها ويسقيها ويعتني بها طوال تلك السنين؟ وكيف عاشت بمفردها في تلك الغابة القاسية وهي طفلةٌ صغيرة؟

ربما خطفها أحدهم، وتمكنت من الهرب بعد حين. احتمالٌ واردٌ، لكن ماذا عن عمرها؟ كيف خرجت من الغابة بنفس عمرها ونفس ملابسها؟ ظلت الفتاة في الخامسة من عمرها، بينما مرّ على اختفائها عشر سنين! كان ينبغي أن تكون في الخامسة عشرة!

بالطبع، كان لدى رجال الأمن صورٌ لجميع المفقودين في الغابة. وبمجرد ظهور الفتاة، تعرّف عليها أفراد عائلتها وتمّ تسليمها لهم. وعندما سألوها عن تلك السنوات العشر، لم تكن لديها أيّ فكرةٍ عنها. شعرت وكأنّها غابت عن عائلتها لدقائق أو ثوانٍ فقط! تجمّد عمرها وزمنها داخل تلك الغابة اللعينة!

ألم أقل أمرٌ غامضٌ ومعقدٌ، يفوق كلّ خيال؟

٤- المنطقة الخالية

في قلب الغابة الكثيفة، حيث تُسدل أشجارها الوارفة ظلالها على

أرض قاتمة، تقع منطقة خالية من أي أثر للحياة. لا شجر يزينها، ولا زرع ينبت فيها، ولا حتى حشرة صغيرة تتحرك على سطحها. إنها بقعة قاحلة غامضة، تشبه ندبة على جبين الطبيعة الخضراء.

أثار غموض هذه المنطقة فضول العلماء، فقاموا بأخذ عينة من تربتها لتحليلها. وفاجأتهم النتائج: فقد اكتشفوا مادة سامة غريبة لم تُشاهد من قبل على كوكب الأرض! تعوق هذه المادة أي نمو للحياة، وتُحيل المنطقة إلى صحراء قاحلة خالية من أي مظاهر حيوية.

زادت حيرة العلماء عندما علموا أن هذه الغابة شهدت ظاهرة غريبة أخرى: ففي عام ١٩٦٨، التقط عسكري روماني يُدعى «إيميل بارنيا» صورة لطبق طائر يحوم فوق المنطقة الخالية. صورةٌ أثارت موجة من التكهنات حول أصل هذا الجسم الغريب وارتباطه بالظواهر الغامضة في الغابة.

ولم يتوقف الأمر عند ذلك، بل أكد العديد من الشهود رؤية أجسام غريبة تطلق أشعة ساطعة فوق المنطقة الخالية، مما عزز نظرية وجود صلة بين هذه الظواهر والمادة السامة التي تمنع الحياة في تلك المنطقة.

فما سر هذه الغابة الملعونة وما سبب تسميتها بهذا الاسم؟ يشاع إن «هويا باكيو» راعي الأغنام الذي اختفى فيها منذ زمن بعيد ولم يُعثر على أثره؟ هل مات فعلاً، أم مازالت روحه هائمة بين أشجارها الكثيفة، ويعتبر هو أول بشري اختفى بتلك الغابة

تُعدّ غابة «هويا باكيو» واحدة من أكثر الأماكن غموضاً وإثارة للرهبة على وجه الأرض. حكايةٌ تُجسد صراع الإنسان الدائم مع

المجهول، وتُذكّرنا بوجود قوى غامضة تتجاوز فهمنا، تجعل من كوكبنا مكاناً مليئاً بالعجائب والأسرار التي لم نكتشفها بعد.

ف

فرار

حاول الفرار بمجرد أن تصادف (فينس لي)، هذا لن يجدي حتمًا، ولكن على الأقل لا تموت مستسلمًا

منذ فجر التاريخ، حيكت حول أكلة لحوم البشر أساطيرٌ تقشعر لها الأبدان، حكاياتٌ عن وحوشٍ خرافيّة تقتات على لحوم بني جنسها. لكنّني لن أقف اليوم أمامكم لأروي حكاياتٍ من وحي الخيال، بل لأتحدث عن وحشٍ حقيقيٍّ، يترجل بيننا، يتنفس هواءنا، يتخفّى بِثوبِ البشر.

فكم من سفّاحٍ سمعنا عنه، ارتوى من دماء ضحاياه، ولم يكتفِ بذلك، بل اتّخذ من لحومهم طعامًا؟ لكن هل خطر ببالك يومًا أنّ أحد هؤلاء السفّاحين قد يكون قريبًا منك؟ زميلك في العمل، جارك، أو حتى أحد أقاربك؟!

يبدو الأمر بعيدًا عن الواقع، أليس كذلك؟ فلنتخيّل سيناريو أقرب إلى الحقيقة: ماذا لو كان الشخص الواقف خلفك في طابور الخبز واحدًا من أكلة لحوم البشر؟ أو الشخص الذي اصطدم بك في محل البقالة؟ أو حتى الشخص الذي داست قدمك على قدمه دون قصد في الشارع؟

ماذا لو علمتَ حقيقةَ أحدهم؟ ماذا ستفعل مع قاتل حرف ال(فاء)؟

***

جريمة نهارية مروعة تهزّ أركان الإنسانية وتُثير مشاعر الخوف والأسى في نفوسنا، على عدّة مستويات:

فالمستوى الأول هو ما حلّ بالضحية، وما شهده الناس في مسرح الجريمة من مشاهد مروّعة. فكيف بنا أن نتخيل بشاعةَ فعلِ إنسانٍ يعتدي على آخر دون سابق معرفة أو أي مبرّر؟!

أما المستوى الثاني فهو ما يكشفه لنا هذا الحادث عن عمق قدرة الإنسان على إيذاء قرينه. فكيف يُقدم شخصٌ سويّ على فعلٍ كهذا؟! وكيف نفسر وحشيةَ تصرفه وسقوطَه لهذه الدرجة من الانحطاط؟!

إنّ فكرةَ أن يعتدي عليك شخصٌ لا تعرفه، لم تُسيء إليه ولم تُؤذه بأيّ شكلٍ من الأشكال، إنّما هي فكرةٌ مرعبةٌ تُثير مشاعر الخوف والقلق في النفس. فما ذنبك سوى أنّ القدر شاء أن تكون في المكان الخطأ في الوقت الخطأ وأن تفقد القدرة على المقاومة في لحظةٍ واحدة؟ كم هو مروعٌ أن تجد نفسك وحيدًا، لا سند لك ولا عون، وكلّ همّك هو حلّ مشاكل عملك أو عائلتك، وفجأةً تنقلب حياتك رأسًا على عقب وتنتهي بصورةٍ مأساويةٍ!

ولد (تيموثي ريتشارد ماكلاين(، أو كما كان يُعرف باسم «تيم ماكلاين»، في محافظة مانيتوبا، وتحديدًا في مدينة وينيبيغ بكندا، في الثالث من أكتوبر عام ألفٍ وتسعمائةٍ وثمانٍ وثمانين. كان تيم شابًا مُحبًا للحياة، يُعشق السفر والتعرف على أشخاص جدد، اجتماعيًا للغاية ولديه العديد من الأصدقاء. كما كان رياضيًا ومغامرًا لا يخشى خوض التجارب الجديدة. لم يقابل أحدٌ تيم إلا وأحبه وشعر بدفء شخصيته، فهو كان يتمتع بقدرةٍ فائقةٍ على إسعاد من

حوله وإدخال البهجة على قلوبهم، حتى في أحلك الظروف

في صيف عام ٢٠٠٨، أي حين كان يبلغ تيم من العمر ٢٢ عامًا، تواصلت معه صديقة طفولته وسألته عن خططه لقضاء الإجازة. أجابها تيم بأنه لا يملك أيّ خططٍ محددة، فاقترحت عليه صديقته أن يقوما برحلةٍ عفويةٍ معًا، وأن يُحضر حقيبةً تكفيه لأسبوع أو أكثر، لِيسافرا إلى أيّ مكانٍ يختارانه ويتركا المجال للمغامرة لتقودهما. وبما أنّ تيم كان مُحبًا للمغامرات والسفر، فقد وافق على الفور دون أيّ تردد.

خلال رحلتهما، صادفا كارنفالًا متنقلًا يُجوب أنحاء كندا، فقررا الانضمام إليه والسفر معهم لقضاء عطلةٍ سعيدة. استمتعا بالرحلة لدرجةٍ كبيرة لدرجة أنهما قررا البقاء مع الكرنفال طوال الصيف، بدلًا من أسبوعٍ أو اثنين كما كانا يخططان في البداية.

كان تيم مرتبطًا بفتاة من مدينته تدعى كولين، وقد أثمرت علاقتهما عن حملها. شكل هذا الحدث دافعًا قويًا لقرار تيم بالهرب من واقعه، قاطعًا صيفه بعيدًا عن كل ما يعرفه.

في أثناء تجوله مع فرقة الكرنفال بمدينة إدمونتون، وعقب طريقهم نحو ريجينا، هزّ تيم الشوق والحنين إلى وطنه وأحبائه، فقرر العودة إلى وينيبيغ، موطنه وحبيبته الحامل. خاصة مع اقتراب نقل فعاليات الكرنفال إلى مقاطعة كولومبيا البريطانية. عرض عليه أصدقاؤه الجدد في الفرقة إقراضه المال لشراء تذكرة طيران تعيده إلى بلده، تجنبًا لرحلة الحافلة الطويلة التي تزيد عن ٢٤ ساعة. لكن تيم، بِعزمه وإصراره، فضّل خوض الرحلة بمفرده، مؤكدًا عودته كما

رحل.

في تمام الساعة الثانية عشر ظهرًا من يوم ٣٠ يوليو ٢٠٠٨، انطلق تيم على متن حافلة Greyhound رقم ١١٧٠، مُختارًا مقعدًا خلفيًا بجانب النافذة، قريبًا من الحمام. كان الباص شبه خالٍ، مما سمح للركاب بالجلوس بشكل متباعد. أنهك تيم طول ذلك اليوم، فوضع سماعاته على أذنيه وغط في نوم عميق.

يُدرك من سافر برًا أو ركب حافلة لرحلة طويلة، أنّ تلك الرحلات تتخللها وقفات في محطات محددة لِصعود ركاب جدد، ونزول آخرين لشراء الطعام أو استخدام الحمام أو حتى لتمديد أرجلهم أو للتزود بالوقود وإتاحة فرصة راحة للسائق.

بعد حوالي ٦ ساعات من بدء الرحلة، وصل الباص إلى محطة في مدينة إركسون، حيث صعد رجل آسيوي الأصل وجلس بمفرده على مقعد أمامي. في الاستراحة التالية، استيقظ تيم من نومه ونزل من الحافلة لشرب سيجارة مع راكبين آخرين، ثم عادوا جميعًا إلى مقاعدهم. في تلك اللحظة، نهض الرجل الآسيوي من مكانه وتوجه نحو تيم، وجلس في المقعد الفارغ بجانبه، على الرغم من اتساع مساحة الباص كما ذكرتُ. بدا الرجل عاديًا، وتصرف تيم معه بلطف وودّ كعادته، حيث بادله التحية فور جلوسه. بعدها، وضع تيم سماعاته مرة أخرى وغرق في النوم، بينما ازداد عدد الركاب ليصل إلى ٣٤ راكبًا.

بعد رحلة دامت ثلاث ساعات، كان الهدوء يلفّ أرجاء الحافلة، غالبية الركاب غارقون في شبات عميق، لم يدر أحد أنّ فاجعة

مروعة على وشك الحدوث، فجأة، فُتحت عيونهم على صراخ مدوٍّ مصدره مؤخرة الحافلة، هرع الجميع مذعورين ليكتشفوا فصول مأساة دامية.

في تلك اللحظات المرعبة، أشهر الرجل الأسيوي سكينًا ضخمًا، أشبه بسكين رامبو، وبدأ يطعن تيم في رقبته وصدره دون رحمة وهو يردد «من أجل القاهر نضحي، حتى يتسلح الأعظم ويسود». حاول تيم المقاومة، حاول النهوض والركض، لكن دون جدوى، فكان مكانه محاصرًا بالشباك المغلق من جانبه والكراسي أمامه، بينما كان الجاني يقف في الممر ليسد منفذ الهروب بجسده. تعثر تيم وسقط أرضًا، فازدادت صرخات الركاب، وحاولوا الابتعاد عن القاتل المجنون، الذي واصل طعن تيم دون وعي، تاركًا جثته غارقة في الدماء، دون أمل في إنقاذه.

سائق الحافلة بروس، انتبه لصراخ الركاب، فأوقف الباص جانبًا وضغط على زرّ الطوارئ لمنع أي محاولة للهرب، وفتح الأبواب الأمامية ليفر الركاب من هذا الكابوس. هرب الجميع تاركين وراءهم تيم غارقًا في دمائه، وبروس يتجه بحذر نحو القاتل لمحاولة السيطرة عليه وإبعاده عن الجثة، لكنه أصبح في مواجهة الرجل الآسيوي الذي يحمل السكين، مما دفع بروس إلى الهروب مع باقي الركاب.

وقفت الحافلة في طريق مهجور، بعيدًا عن أي منطقة مأهولة بالسكان، تجمّع الركاب في الخارج، مشاعر الخوف والذعر تسيطر عليهم، كلٌّ منهم يرسم في مخيلته سيناريوهات مروعة لما قد

يحدث لهم إن هاجمهم القاتل المجنون. لم يجدوا ملجأ سوى الاتصال بالشرطة، ينتظرون بفارغ الصبر قدوم المنقذين.

بعد لحظات، وصل سائق شاحنة يدعى كريس، لاحظ الحافلة المتوقفة ومنظر الركاب المذعورين، فسارع إليهم ليكتشف ما حدث. وعندما علم بالجريمة، أحضر عصا معدنية من شاحنته ووقف عند باب الحافلة لمنع القاتل من الهرب أو إيذاء أي شخص آخر.

في تلك الأثناء، مرّت حافة أخرى على الطريق، نزل سائقها بيرني عندما رأى ما يحدث، ودخل حافلة الجريمة محاولًا التحدث مع القاتل لمعرفة ما إذا كان تيم قد مات أم لا، خاصة وأنّ الركاب لم يكونوا متأكدين من حالته.

واجه بيرني مقاومة عنيفة من الرجل الأسيوي، الذي واصل طعن تيم. حاول بيرني تهدئته وإبعاده عن الجثة، لكن دون جدوى، فقد وجه له القاتل نظرة مخيفة أجبرته على الهروب وإغلاق باب الحافلة. أدرك بيرني في تلك اللحظة أنّ تيم قد فارق الحياة بالفعل، وهذا المختل يطعن جثة هامدة خالية من أي روح

ساد الصمت على المكان، سيمفونية من الرعب والدموع، لم يتبقّ سوى انتظار قدوم الشرطة لوضع حدّ لهذه المأساة، ومعرفة مصير القاتل ودوافعه وراء هذا الفعل البشع

في لحظة فارقة، هبّ الرجل الأسيوي من مكانه، واندفع نحو مقدمة الحافلة، متجهًا صوب مقصورة القيادة. حاول عبثًا تشغيل المحرك وتحريكه، لكن محاولاته باءت بالفشل، فقد سبقه السائق إلى تعطيل حركة الحافلة قبل مغادرتها. بدا واضحًا للجميع أنّ الرجل

يسعى جاهدًا للفرار من مسرح الجريمة. وعندما واجه إخفاقًا تلو الآخر، استسلم للغضب العارم، واتجه نحو الباب، وراح يضربه بعنف ويطعن فيه بسكينه. لحسن الحظ، تصدى له كلّ من بروس وكريس، اللذان تمكنا من تثبيت الباب ومنعه من الخروج.

أدرك الرجل المستسلم أنّ لا مهرب له، فقرر العودة إلى جثة «تيم» لاستكمال جريمته البشعة. كان «تيم» يعلوه غبار الموت، حقيقة يعلمها الجميع، بما في ذلك القاتل نفسه. لكنه لم يكتفِ بذلك، بل واصل طعنه دون رحمة أو سبب، وكأنه يشغل وقته ويهدره عبثًا.

أخيرًا، حطّت رحال الشرطة في موقع الجريمة عند الساعة التاسعة مساءً. حاولوا بكلّ ما أوتوا من قوة إقناع الرجل بتسليم نفسه والكفّ عن تدنيس جثة «تيم»، لكن دون جدوى. لم يفهموا تصرفاته الغريبة، وظلّوا يحاولون التفاوض معه للاستسلام دون مقاومة نحو ساعتين. خلال تلك الساعات المرعبة، شهد الحاضرون أبشع المشاهد في حياتهم، بينما ظلّ الركاب واقفين خارج الحافلة، يتابعون الأحداث من خلال النوافذ.

قطع الرجل رأس «تيم» بوحشية، وراح يحمله عالياً، يتجول به داخل الحافلة، يعرضه على أنظار الشرطة والركاب. ثمّ أخرج مقصًا حادًا، وبدأ يقطع أجزاء من جسد «تيم» وأعضائه الداخلية، ويلقي بها في كلّ أنحاء الحافلة. بل وزاد الأمر بشاعةً عندما التهم جزءًا من جسد الضحية، وراح يرتشف الدماء من أجزاء أخرى. تصرفاتٌ مقززة ومريبة لا تدلّ فقط على اختلال عقله، بل تُثبت أيضًا أنه لا ينتمي إلى الجنس البشري. فقد أكدّ العديد من الركاب الذين شهدوا تلك

الأحداث خلال التحقيق أنّ ما فعله الرجل جعلهم يظنون أنّهم أمام وحشٍ أسطوري أو مستذئب. وكان يحمل في جيب بنطاله أذني «تيم» وأنفه ولسانه، بعد أن كان قد قطعها بوحشية.

مع اقتراب الساعة من العاشرة مساءً، وفّرت الشرطة للركاب المتواجدين في الشارع وسائل مواصلات تنقلهم إلى أماكن آمنة. تجدر الإشارة إلى أنّ الحافلة كانت متوقفة في منطقة نائية، ممّا عرقل وصول الشرطة وتأخر عملية إنقاذ الركاب. وبعد تحريرهم، تمّ اصطحابهم إلى أقسام الشرطة لتقديم شهاداتهم حول ما شهدوه من أحداث مروعة.

الساعة الواحدة وثلاثون دقيقة بعد منتصف الليل، هزّ صمتَ الليلَ صوتُ تحطيمِ مدوٍّ، حيث كُسِرَ زجاجُ النافذة الخلفية من قبل هذا المجرم، ألقى منها بأسلحته التي أستخدمها والتي كانت عبارة عن سكين حاد، ومقص ضخم، ثم وثب من تلك الفتحة بدوره، حاولَ الهروبَ من المكان لكنّ قبضةَ العدالة كانت أسرع، فحاصرته شرطةُ المدينة وألقت القبضَ عليه.

عندما فتحت شرطةُ المدينة بابَ الحافلة، فُوجِئَت بمشهدٍ مُروّعٍ: أكياس بلاستيكية مملوءة بأجزاءٍ من جسدٍ بشريٍّ ممزّق. لم تعثر الشرطةُ على عينيهِ أو على جزءٍ من قلبهِ، ممّا دفعَها إلى الاعتقادِ بأنّ الجانيَ قد التهمَ هذه الأعضاءَ في نوبةٍ من الجنون.

من هو هذا الرجلُ الغامض؟ وما دافعه وراءَ هذه الجريمةِ البشعة؟

كان اسمه «فينس لي"، صينيّ الأصل، هاجرَ إلى كندا عامَ ٢٠٠١ حاملاً حلمَ العملِ في مجالِ تكنولوجيا المعلومات. لكنّ أحلامَه

اصطدمت بواقعٍ مُرّ، فلم يجد سوى وظائفَ بسيطةٍ لا تتناسبُ مع مؤهلاتهِ. واجهَ فينس صعوباتٍ جمّة بسببِ كونهِ مهاجرًا، ممّا أثارَ في نفسهِ شعورًا بالإحباطِ والاكتئاب.

تزوجَ فينس في تلك الفترةِ، وعملَ في كنيسةٍ لستةِ أشهرٍ. وصفه مديره السابقُ بأنّهُ كان شخصًا عاديًا، لكنّهُ كان يواجهُ صعوبةً في التحدثِ باللغةِ الإنجليزيةِ. لم يُظهر فينس أيّ سلوكٍ غريبٍ في بدايةِ الأمر، لكنّهُ بدأ يُعاني من أعراضِ الفصامِ عامَ ٢٠٠٥. رفضَ فينس تلقيَ العلاجِ، ممّا أدّى إلى تدهورِ حالتهِ النفسيةِ بشكلٍ كبير.

حصلَ فينس على الجنسيةِ الكنديةِ عامَ ٢٠٠٦، لكنّه سرعان ما هجرَ زوجته وتركَ لها رسالةً يطلبُ منها أن لا تبحثَ عنه وأن تعيشَ حياةً سعيدة. انتقلَ فينس إلى مدينةِ إدموند، حيثُ بدأ سلوكهُ يزدادُ غرابةً.

زعمَ فينس أنّه يتلقّى رسائلَ من اللهِ تُحذّره من هجومٍ وشيكٍ للكائناتِ الفضائيةِ، وأنّهُ مُكلّفٌ بإنقاذِ الأرضِ من هذا الخطرِ. في ٢٩ يوليو ٢٠٠٨، ركبَ فينس حافلةً متّجهةً إلى وينيبيغ. نزلَ من الحافلةِ في محطةٍ مُوحشةٍ يُفترضُ أنّ باصًا واحدًا فقط يمرّ بها في اليوم. جلسَ فينس هناك لساعاتٍ طويلةٍ، حاملاً ثلاثَ حقائبٍ مملوءةً بمتعلقاتهِ. بدا عليهِ الاضطرابُ والقلقُ، ولم ينم طوالَ تلكَ الليلةِ. باعَ فينس بعضَ متعلقاتهِ، بما في ذلكَ حاسوبه الشخصيّ، قبلَ أن يركبَ الحافلةَ التي كان على متنها الضحية «تيم".

جلس فينس إلى جوار تيم في استراحة هادئة، وبسط ابتسامة زائفة على وجهه، يحييه بتحية عابرة تخفي وراءها نوايا شريرة.

وما هي إلا لحظات حتى نطق فينس بكلمات صادمة، زعمًا منه أن الله أمره بقتل تيم، وإلّا واجه الموت المحتوم.

ففي الثالث من مارس عام ٢٠٠٩، وقف فينس أمام المحكمة متهمًا بارتكاب جريمة بشعة. اتّخذ دفاعه منحنى صادمًا، مدّعين أنّ موكلهم غير مسؤول جنائيًا عن فعلته لمعاناته من مرض انفصام الشخصية «الشيزوفرينيا» وعدم خضوعه للعلاج.

وبالفعل، اقتنع القاضي بحجّة الدفاع، وأصدر حكمًا يقضي بإيداع فينس في مصحة نفسية بدلًا من السجن. ظنّ الجميع أنّ وحش كندا قد لقي جزاءه العادل، وسينال الرعاية الطبية اللازمة، تاركين وراءه عائلة تيم وأصدقاءه يندبون فقده.

لكنّ المفاجأة المدوّية كانت عام ٢٠١٧، عندما خرج فينس من المصحة حرًّا طليقًا، ليبدأ حياة جديدة باسم مستعار. هزّ هذا القرار أركان المجتمع، وأثار غضب عائلة تيم وأصدقائه، ناهيك عن صدمة شهود العيان الذين لازالوا يعانون من اضطراب ما بعد الصدمة.

مع ذلك، برّر نظام العدالة الكندي قراره بأن سجنه كان بهدف الإصلاح وليس العقاب فقط. ورغم الضجة الإعلامية الواسعة التي رافقت القضية، ومطالبات عائلة الضحية بإنزال عقوبة أشدّ، لم تُجد تلك الجهود نفعًا.

وبينما يعيش فينس هادئًا وسط المجتمع، تحت مراقبة طبية دورية، يتساءل الجميع: هل يستحق وحش كندا فرصة ثانية بعد الجريمة المروّعة التي ارتكبها؟ وهل ستشهد كندا جريمة بشعة أخرى على يد آكل لحوم بشر؟

ق

قانون

لن نتحدث عن قانون الغاب أو قانون العصابات، أنه (قانون ميجان) الذي يحمل الكثير من المآسي

إنّ القانون، وإن كان عظيمَ الشأن، يُنقذُ أرواحَ الأطفالِ والمراهقينَ والبالغينَ على حدٍّ سواءٍ، إلا أنه يظلّ عاجزًا عن بلوغِ ذروةِ العدالةِ المنشودةِ في كثيرٍ من الأحيان.

فبينما يُجلي القانونُ غيومَ الظلمِ عن بعضِ المظلومين، تُخَيّمُ سحبُ الحسرةِ على قلوبِ آخرين، ممّن لم تُشفِ جراحُهم أحكامُه، ولم تُروِ عطشَهم عقوباتُه.

ولذلك، فإنّ الحاجةَ إلى مُكمّلٍ للقانونِ ضرورةٌ، حتى لا يظل القانون عاجزًا أمام أبشع القضايا. كما حدث في جريمة حرف ال(قاف)

***

حادثةٌ مأساويةٌ هزّت أركانَ بلدة هاميلتون الصغيرة، وخلّفت ندوبًا عميقةً في نفوسِ كلّ من عرف (ميجان كانكا)، تلك الطفلةُ البريئةُ التي لم تبلغ من العمرِ سوى سبعِ سنواتٍ

كانت عائلةُ كانكا المكونة من أب وأم وثلاثة أطفال، هم عبارة عن فتاتين وصبي، تعيشُ حياةً هادئةً في حيٍّ آمنٍ نسبيًا، إلى أن حطّمَ القدرُ صفوَ عيشهم في ذلك اليوم المشؤوم، التاسعِ والعشرين من

يوليو عام ألفٍ وتسعمئةٍ وتسعةٍ وتسعين.

في ذلك اليوم، خرجَ الأبُ ريتشارد مع ابنه جيريمي للتسوّق، بينما نامت الأمُ مورين مُنهكةً من عناءِ العملِ، تاركةً ابنتيها جيسيكا وميجان في المنزلِ. وفجأةً، وبينما كانت جيسيكا تشاهدُ التلفزيون، أعلنت ميجانُ رغبتها في زيارةِ صديقةٍ لها في الجوارِ، فانطلقت على دراجتها الصغيرة.. ولكنها لم تعد!

لم يمضِ وقتٌ طويلٌ حتّى اكتشفَ أهلُ ميجان غيابها، وبدأ القلقُ يتسلّلُ إلى قلوبهم. بحثوا عنها في كلّ مكانٍ، وسألوا الجيرانَ عنها وخاصة صديقتها التي ادعت أنها ذاهبة لزيارتها، لكن دون جدوى. وفجأةً، لفتَ انتباهَهم وجودُ دراجةِ ميجان ملقاه بإهمال في الحديقةِ الأماميةِ لمنزلهم.

أخبرهم أحد الجيران والذي يدعى، جيسي تيميندكواس، أنه رأى ميجان مع صديقتها، لكن لم يتم العثور على أي أثر لها. وبحلول الساعة الثامنة مساءً، تم إبلاغ الشرطة رسمياً باختفاء ميجان.

على الفور، قامت الشرطة بحملة بحث واسعة شارك فيها ٥٠٠ شرطي، رجال إطفاء، متطوعون من الجيران، وعائلة ميجان. وزّعوا منشورات تحمل صورتها، وسألوا الجيران مرة أخرى، وظهرت الأم على التلفاز تناشد أي شخص عثر على ابنتها أن يعيدها إليها سالمة.

للأسف، لم تفلح كل الجهود في عودة ميجان. وخلال البحث، اكتشفت الشرطة أدلة مروعة تُشير إلى أن ميجان ليست ضحية اختطاف، بل جريمة قتل. فكلما زاد وقت البحث، كلما قلت فرصة العثور على الفتاة حية. فلاحظوا تناقضًا في أقوال جار العائلة

جيسي، مما أثار شكوكهم.

كان جيسي يُغيّر روايته باستمرار، ما دلّ على كذبه وتلفيقه لقصة وهمية. وازدادت شكوك الشرطة عندما ربطوا بين أقواله وتفاصيل مسرح الجريمة.

ولم يقف الأمر عند هذا الحد فحسب، بل كشفت التحقيقات عن أن جيسي والرجلين اللذين يشاركانه السكن، واللذين يُدعى أحدهما جوزيف والآخر براين، قد سبق تسجيل قضايا إعتداء جنسي ضد أطفال عليهما، مما حصرهم في دائرة الشك، فتم استدعاؤهم للتحقيق معهم حول اختفاء الفتاة

جوزيف وبراين قدّما حُجّةَ غيابٍ مفادُها شراؤهما حاجيّاتٍ من الخارج، ممّا يعني غيابهما عن المنزل وقتَ وقوعِ الحادثة. لكنّ جيسي، الذي اتّسم سلوكهُ بالتوترِ خلال التحقيقات، كان موجودًا في المنزلِ وَحدَه. زادَ ذلك من الشكوكِ حوله، إلا أنّه أنكرَ أيّ علمٍ له بالحادثةِ، مُدّعيًا عدمَ صلتهِ بما جرى. وحين لم تُعثر على أدلّةٍ تُثبتُ إدانته، أُطلقَ سراحُه.

فهل يُعدّ تناقضُ أقوالهِ دليلًا على كذبهِ؟ للأسف، قد يُحوّلُ مُحاميه ذلكَ التناقضَ إلى دليلٍ على توترهِ فقط، ممّا قد يُتيحُ لهُ الإفلاتَ من العقابِ بسهولةٍ.

ولكن، تغيّرت الأمورُ بشكلٍ جذريٍّ في اليومِ التالي...

شرع رجال الأمن في تفتيش صندوق نفايات منزل جيسي، باحثين عن أي خيط قد يقودهم إلى الحقيقة المُرّة. لم يمضِ وقتٌ

طويلٌ حتى عثروا على ما يبحثون عنه: حبلٌ مُعقّودٌ عليه بقعٌ من الدماء، وسروال قصير مُمزقٌ من أطرافه.

وقفت والدة «ميجان» إلى جانب رجال الشرطة، تراقبهم بصمتٍ ثقيلٍ على صدرها. وفجأة، عندما وقع بصرها على السروال المُمزق، انهارت صرختها في الهواء، مُمزّقةً حجاب الصمت الذي غلّف المكان. فقد كان ذلك السروال هو ما ارتدته ابنتها في يوم اختفائها المُؤلم.

كان ذلك المشهد كافياً لرجال الشرطة، فسرعان ما تمّ القبض على «جيسي» مرةً أخرى. واجه الاتهامات بوجهٍ شاحبٍ وعينين مغمضتين، مُدركاً أنّ لا مفرّ من الاعتراف بالجريمة التي ارتكبها.

وبالفعل، اعترف «جيسي» بفعلته الشنيعة. فقد روى تفاصيل ذلك اليوم المشؤوم، ذاك اليوم الذي سلب فيه حياة «ميجان» بلا رحمة.

ففي الساعة الخامسة والنصف مساءًا، لفت انتباه «جيسي» وجود «ميجان» في الشارع. فاقترب منها، مدّعياً أنه اشترى جرواً صغيراً وأراد أن تُشاهده وتلعب معه. اقتنعت «ميجان» بصدق كلامه، فدخلت معه إلى منزله دون تردد. اصطحبها «جيسي» إلى الطابق العلوي، مُتّجهًا بها إلى غرفة نومه. هناك، تهجم عليها دون سابق إنذار، مُرتكبًا جريمته البشعة. لم تستسلم ميجان، بل راحت تصرخ وتقاوم بكل ما أوتيت من قوة، تنهال عليه بالضرب والعض. فما هي إلا طفلة صغيرة في السابعة من عمرها، فلم تكن ضرباتها لتؤثر على جيسي، لكنها في الوقت ذاته كانت مزعجة للغاية، ما دفعه إلى اتخاذ قراره.

في لحظة شيطانية، اختطف الغضب زمام الموقف، فلفّ يده حول

عنقها النحيل، ضغطاً قاسياً كاد يطفئ أنفاسها الرقيقة. لم يرحم صراخها المُختنق، ولم يرق له دموعها التي فاضت على خديها كأنهار من ياقوت أحمر. ازداد إصراره على إسكاتها، حتى سقطت جثة هامدة على الأرض، يلطخ الدماء فمها وأنفها، شاهداً على وحشية فعلته.

سيطر عليه الخوف، ففكّر في التخلص من جريمته. سارع بإحضار كيس بلاستيكي أسود، لفّ به جسدها المنهك، محاولاً حجب صراخها الصامت عن عيون العالم. حملها بيديه الملطختين بالدماء، كأنّه يحمل ثقل ذنوبه، وألقى بها في ظلمة حديقة عامة، تاركاً إياها فريسة للنسيان.

لم تنتهِ جريمته عند القتل، بل استمرّ في التنكيل بجسدها حتى بعد موتها، كأنّه يُريد أن يُطفئ روحها المتمردة. عقد الكيس بإحكام حول رأسها، مُحكمًا قبضته على سرّ جريمته.

عند التحقيق معه، انهار المتهم تحت وطأة ضغوط الجريمة، واعترف بفعلته الشنعاء. برّر جريمته بأنّه كان ينوي الاعتداء عليها فقط، لكنّها قاومته، وخاف من أن تفضحه أمام عائلتها أو الشرطة. لذلك، اتخذ قرار التخلص منها خوفاً من السجن. فالأطفال لا يُدركون فداحة الاعتداء، يظلون صامتين، خوفًا أو جهلًا، لكن ميجان كانت مختلفة، أدركت بشاعة ما يحدث لها.. مضيفًا في نهاية التحقيق تلك العبارة الغريبة: « من أجل القاهر نضحي، حتى يتسلح الأعظم ويسود»

وفي صباح اليوم التالي، تأكّد المحقّقون من صحة اعترافات

جيسي المروّعة، حيث قادهم إلى مكان الجثة، وتطابقت آثار عضة على يده مع فكّ الضحية، كما أكّد فحص الحمض النووي تطابقها.

بدأت محاكمة جيسي في الخامس من شهر مايو عام ألف وتسعمئة وسبعة وتسعين، واستمرت حتّى الثلاثين من الشهر نفسه. وبناءً على بشاعة جريمته وسجله الإجرامي المظلم، اتّفقت هيئة المحلّفين على إدانته. ونظرًا لفظاعة فعلته، حكمت عليه المحكمة بأقصى عقوبةٍ وهي الإعدام في شهر يوليو. إلّا أنّ حكم الإعدام تأجّلَ حتّى عام ألفين وسبعةٍ بسبب قرارٍ من محكمة نيو جيرسي العليا بإلغاء عقوبة الإعدام في الولاية، ليُستبدل حكمُه بالسجن مدى الحياة دون إمكانية إطلاق سراحه.

لم تكن جريمة ميجان هي الأولى لجيسي، ففي عام ألف وتسعمئة وتسعةٍ وسبعين، اعترفَ بمحاولة الاعتداء على طفلةٍ عمرها خمس سنوات. حكمت عليه المحكمة حينها بالسجن مع وقف التنفيذ بشرط خضوعه للعلاج النفسي. إلّا أنّه لم يلتزم بالعلاج، فسُجنَ تسعة أشهر. وتكرّرت جريمته مرةً أخرى عام ١٩٨١، حيث اعترفَ بالاعتداء الجنسي على طفلةٍ عمرها سبع سنوات، حُكمَ بالسجن عشر سنواتٍ، لكنّه أُطلق سراحه بعد ستّ سنواتٍ لِحسن سلوكه.

لم يدرِ أحدٌ من جيران جيسي، بمن فيهم عائلة ميجان، بسجله الإجرامي المُخيف المُتعلّق بالاعتداء على الأطفال. لو أنّهم علموا بذلك، لَكانوا قد اتّخذوا المزيد من الاحتياطات لحماية أطفالهم. فكيف يعقل أن يعيش ثلاثة أشخاصٍ مُدانين بجرائم جنسيةٍ ضدّ الأطفال في منزلٍ واحدٍ دون أن يُثير ذلك أيّ شكوكٍ؟ لو أنّ أحدًا قد

عرف حقيقة هؤلاء المجرمين، لَكان قد تغيّر مسار الأحداث بشكلٍ مُطلق.

دفعت هذه الفاجعة عائلة ميجان إلى المطالبة بقانون جديد، قانون يحمي الأطفال من وحوشٍ قد تتواجد بينهم. وبعد مرور ٨٩ يومًا فقط على رحيل ميجان المأساوي، وُلد «قانون ميجان» في ولاية نيو جيرسي، حاملاً اسمها تخليدًا لذكراها. يُجسّد هذا القانون ثورةً حقيقية في مجال حماية الأطفال، إذ ينصّ على جعل المعلومات الخاصة بمرتكبي الجرائم الجنسية ضدّ القُصّر متاحة للجمهور. فمن حقّ كلّ فردٍ أن يعرف إن كان يعيش بالقرب من شخصٍ له سوابق في مثل هذه الجرائم، ليأخذ حذره أو يمنحه فرصة ثانية إن ثبت إخلاصه للتوبة. ولم يكتفِ القانون بذلك، بل شدّد العقوبة على مرتكبي الجرائم الجنسية المتكررة، ليواجهوا عقوبة السجن مدى الحياة. وانطلاقًا من فعاليته المُثبتة، لم يقتصر تطبيق «قانون ميجان» على خمس ولاياتٍ فقط، بل شمل الولايات المتحدة الأمريكية بأكملها عام ١٩٩٦، ليُصبح قانونًا فيدراليًا يُقرّه الكونجرس الأمريكي.

تتوافرُ هذه المعلوماتُ عبر المواقعِ الحكوميةِ مجانًا، كما قد تُنشرُ في الصحفِ أو وسائلَ أخرى. ويواجهُ هذا القانونُ انتقاداتٍ حادّةً، حيثُ يرى البعضُ أنّه يُدمّرُ حياةَ أيّ شخصٍ يُحاولُ البدءَ من جديدٍ وفتحَ صفحةٍ جديدةٍ في حياته، خاصّةً مع وصمِهِ إيّاهُ بكونهِ مُعتديًا جنسيًا مدى الحياة.

فعلى سبيلِ المثال، في أغلبِ الولاياتِ الأمريكية، يُحدّدُ السنُّ

القانونيّ للعلاقاتِ الحميمةِ بِما فوقَ السادسةِ عشرَ عامًا. فلو حدثت علاقةٌ رضائيةٌ بين شابٌّ في العشرينِ من عمرهِ وفتاةٍ في السادسةِ عشر، يُمكنُ اعتبارُ الشابُّ مُعتديًا جنسيًا، ممّا قد يُعرّضُهُ للسجنِ حتّى لو وافقت الفتاةُ ورضيت بالعلاقةِ. فوفقًا للقانونِ، وبما أنّها قاصرٌ، لا تُؤخذُ موافقتُها بعينِ الاعتبار.

وقد نتجَ عن ذلك جرائمُ كثيرةٌ، مثلَ حادثةِ (ويليام إليوت) الذي قُتلَ على يدِ ثائرينَ من أهالي المنطقةِ، وذلك لتصنيفهِ كـ«معتدٍّ جنسيٍّ» لمجرّدِ علاقةٍ ربطته بفتاةٍ في السادسةِ عشر من عمرها بينما كان هو في العشرين. كانت تلك الفتاةُ حبيبتهُ، واتّفقا على الزواجِ بعدَ انتهاءِ دراستها، لكنّ أهلَها رفضوا ذلك لفقرهِ وعدمِ قدرتهِ على توفيرِ حياةٍ كريمةٍ لها. وعندما علموا بعلاقتهِ بابنتهم، قاموا بالإبلاغِ عنه فورًا، ظنًّا منهم أنّ ذلك سيُبعدُه عنها فقط، لكنّ الأمورَ انقلبت إلى كارثةٍ كما نرى.

لا يكفي أن نقول إنّ ما حدث لميجان كان فاجعة، بل كارثة هزّت أركان الإنسانية جمعاء. ولكن من رحم هذه المأساة، بزغ نور الأمل. فقد تم إنشاء موقع باسم ميجان، بمثابة منصة خيرية تُساعد الأهالي على التعرّف على مرتكبي الجرائم الجنسية في مناطقهم. وسافرت عائلة ميجان عبر الولايات المختلفة، ناشرين الوعي حول مخاطر الاعتداء الجنسي على الأطفال، مُؤكّدين على أهمية هذا الموضوع في حياة كل أسرة تخشى على فلذات أكبادها.

لا يمكننا أن نتخيل مدى الألم الذي يعتصر قلوب عائلة ميجان. فما حدث لابنتهم لم يكن مجرّد جريمة بشعة، بل كان كسرًا لخاطرهم

وروحهم. ففي كل لقاء وكل ظهور لهم على وسائل الإعلام، يرددون نفس الكلمات المُحزنة: «لو عرفنا أنّ جارنا مجرم، لما سمحنا لابنتنا باللعب بمفردها أبدًا".

ويُدركون تمامًا أنّهم لو كانوا أكثر حذرًا، لو لم يمنحوا ثقتهم لشخص لا يستحقها، لربما تمكنوا من إنقاذ ميجان من مصيرها المُؤلم.

إنّ شعورهم بالذنب لعدم قدرتهم على حماية ابنتهم هو أسوأ ما يمكن أن يمرّ به أيّ والدين.

***

أنهيت لتوي ثلاثة فصول أخرى في اللعبة، وكالعادة دون رابط واضح بينهم غير الدماء والعنف الغير مُبرر، لا أستبعد أن يتم التعامل مع تلك اللعبة مثلما حدث مع أسطورة الألعاب grand theif auto حيث تم رفع عشرات وربما مئات الدعاوي القضائية ضد تلك اللعبة باعتبارها تحرض على العنف والقتل بمختلف الأسلحة في عالمها المفتوح، ناهيك عن قصة اللعبة التي تتابع فيها عالم العصابات واللصوص، وقتل رجال الشرطة النبلاء دون رادع

وبالمثل حدث في تلك الفصول، حيث تناولنا قضايا أكل لحوم البشر فينس لي، واعتداء على طفلة صغيرة مثل ميجان، ربما فصل الغابة هو الأقل غرابة ومناسب للخروج منه بأفكار عديدة لصناعة لعبة رعب ممتازة أو على الأقل لعبة تحقيقات، لكن مخرج أو مؤلف سيناريو اللعبة لم يستغل الأمر

ولكن مهلًا، كيف لتلك اللعبة معرفة كافة تلك التفاصيل عن قضية فينس لي؟ حسب التواريخ المذكورة في اللعبة فمن المفترض أن يكون نتيجة حكم الإفراج عن أكل لحوم البشر المختل هذا، منذ شهرين أو ثلاثة على الأكثر. والسؤال هنا، كيف استطاع المطورين إضافة هذه المعلومة في لعبتهم بهذه السرعة قبل إرسال اللعبة لي؟ لا بد أنها معلومات مغلوطة، أو ليست حقيقية، ليس هنالك عيب أن تحمل اللعبة بعض الأحداث الخيالية

لهذا قررت أن أقطع هذا الشك وأتحقق من تلك المعلومات بنفسي، وبالطبع توجهت للمصدر الذي يربطني بالعالم أجمع من مقعدي الصغير، وهي الشبكة العنكبوتية، ويالها من صدمة، لقد وجدت

كافة الأحداث التي سردتها اللعبة منذ لحظات، بنفس الترتيب وذات التواريخ بدقة شديدة

في هذه الأثناء، رن هاتفي المحمول من رقم مجهول، فهممت بالرد دون تردد لذات الأسباب التي ذكرتها من قبل، أنه حتمًا أحد مندوبي شركات الشحن يعلمني أنه قد وصلني طرد جديد باسمي، ويستعلم مني عن تفاصيل موقعي، ولكن لماذا الرقم مجهول؟ لم أهتم كثيرًا وهممت بالرد:

-مرحبًا معك..

-أعلم من تكون، ليس لدينا وقت لتبادل التحية.. عليك التوقف الآن قبل فوات الأوان

أتوقف؟ لماذا ينتابني حالة من الديجافو الآن؟ لقد تكرر هذا الموقف من قبل، لكنني لا أستطيع تجميع التفاصيل.. فتابعت السؤال:

-أتوقف عن ماذا؟ ليس لدي أي فكرة عم تتحدث

-لقد حذرتك من قبل وأرسلت لك الرسالة، وعلى الرغم من هذا واصلت هذا العبث دون التفكير في العواقب

الآن تذكرت، إنه ذات الشخص الذي أرسل لي رسالة التهديد، لقد ذكرت سابقًا أنني لم أهتم لأمر الرسالة لاعتبارها مضايقة أو نصب على الأكثر، ومن الواضح أنني قد نسيتها تمامًا، ولكنني معذور بالطبع، فهل يسطيع أحدهم أن يتذكر عدد الرسائل التي وصلته على هاتفه المحمول في اليوم الواحد؟

استغل لمتصل لحظات شرودي وتابع:

-اسمع يا هذا، أنت تودي بحياتك وحياتنا أجمع للتهلكة، إن لم تتوقف الآن عنـــ...

ثم أغلقت الخط في وجهه، من الواضح أن الرقم خاطئ وهذا الشخص يقصد أحدًا غيري، لكنه منفعل زيادة عن اللزوم، ولن يجدي أي نقاش معه لتوضيح الأمر

والآن فلنعد إلى موضوعنا، وهو أمر التواريخ الغريب هذا. جذبني الفضول أن أبحث في شبكة الإنترنت عن اسم ستوديو إنتاج اللعبة، والذي كان اسمها شركة (نايفي)، إنه الاسم الوحيد المتواجد في شارة بداية اللعبة، لا أذكر إن كنت أشرت إلى تلك المعلومة من قبل أم لا

لم أجد أي معلومة عنها على الشبكة، سواء في إنتاج أو حتى تطوير الألعاب، إذاً هم حتمًا حفنة من المطورين قرروا ترك الاستديوهات التي كانوا يعملون بها، وإنشاء واحد جديد، لهذا قررت أن أبحث عن أسماء المطورين في اللعبة ذاتها

وحين فعلت هذا، مرة أخرى لم أعثر على أي اسم؟ كيف هذا، إن أهم شيء للمطورين هو اسماؤهم، فهناك ألعاب لا تسمح لك بتخطي تتر النهاية ولا حتى الخروج من اللعبة حتى تقرأ أسماء المطورين واحدًا تلو الآخر.

لكن الغريب إنني عثرت على شيء مختلف وهي قصة قصيرة مكتوبة؟ تتحدث الحكاية عن إن هناك عشرين شيطانًا قرروا

التجسد في هيئة بشر والنزول للأرض من أجل حكمها ونشر فسادهم بها هم ونسلهم، وإعمارها من جديد ولكن بهجائن بين الشياطين والبشر، لكن اتضح أن تلك الخطة لم تنجح!

حيث وجد الشياطين العشرون أن قوتهم قد قلت إلى النصف وربما أكثر، هم لازالوا أقوى بعشرات المرات من البشر العاديين لكنهم ليسوا في أفضل حالاتهم، ناهيك أنهم فقدوا قدرتهم على التزاوج أو الإنجاب أي إن نسلهم لن يسود الأرض كما توهموا. بالإضافة إلى أنه قد تم حبسهم في تلك الأجساد، أي إنهم لا يستطيعون العودة إلى الجحيم وحكموا على أنفسهم بالخلود بين البشر دون رجعة

أنا أعلم تلك القصة جيدًا! إنها القصة التي اختلقها كاتب الرعب الأمريكي الشهير (هاورد فيلبس لافكرافت)، حيث ادعى أنها مذكورة في كتاب العزيف الذي كتبه الساحر اليمني الخيالي (عبدالله الحظرد)!

هل ظن هؤلاء المطورون إنني جاهل لتلك الدرجة؟ فكما ذكرت من قبل أنا قارئ قوي ومشاهد نهم، وقد تم حياكة تلك القصة في عشرات وربما مئات الروايات العربية والعالمية، بل أذكر إنني قد لعبت لعبة ذات مرة تتحدث عن نفس الفكرة وهي call of Cthulhu والتي تم اقتباسها بشكل كامل من عوالم لافكرات وتم ذكر الشياطين العشرين بها

ولكن القصة لم تنته هنا، بل أضافت أن لهؤلاء الشياطين أخًا لم يشاركهم بتلك المهزلة، وهو الأكبر سنًا والأكثر فتكًا، ويطلقون عليه الشيطان الواحد والعشرين، لم يقتنع ولو بحرف في تلك الخطة

المهترئة الأطراف، ولأنه أقلية ضد أغلبية، لم يستمع أي من أخوته لتحذيراته قبل الشروع في خطتهم، ولكن بعد فشلها، عادوا إليه مكسورين الخاطر ومطئطئين الرؤوس حتى يمد لهم يد العون ونجدتهم من هذا المأزق، ثم... فقط، هذا كل ما ذكرته اللعبة فقط

لم تذكر اللعبة أي تفاصيل أخرى عن طريقة نجدة الشيطان الواحد والعشرين لإخوته، أو حتى إن كان بدأ فيها بالفعل أم لم يفعل ذلك بعد. لكن السؤال الأهم الآن، ما علاقة كل هذا الهراء باللعبة؟

هل يمكن أن يكون له علاقة بتلك العبارة التي تكررت في آخر ثلاثة فصول في اللعبة.. ماذا كانت يا ترى؟ ربما «من أجل القاهر نضحي، حتى يتسلح الأعظم ويسود» أو شيء من هذا القبيل.. عبارة تحمل الكثير من الألغاز مثلها مثل لعبتنا ذاتها

على أي حال، يجب أن أذهب للطبيب الآن، ربما نسيت أو تعمدت نسيان ذكر أنني مواظب على طبيب العلاج الطبيعي بشكل أسبوعي، فأنا أعاني من خشونة في مفاصل ركبتي بسبب خلل في دمائي، تجبرني تلك الخشونة على الترجل بعكز أو بشكل متعرج على أقل تقدير. ربما هذا كان من أحد الأسباب التي أجبرتني على المكوث في المنزل أكثر دون أمل في العثور على وظيفة تقليدية بحالتي المرضية تلك، وتشاء الأقدار أن يأتي العمل بنفسه دون دعوة مني لباب منزلي، إنها قدر الخالق على تسيير الأمور

لا أدري صراحة إن كنت سأكمل اللعبة عند عودتي أم لا، فلازال ذات شعور أنه لن تقدم شيء جديد يسيطر على كياني، بجانب إحساس إن هذا القرار مصيري أكثر من اللازم

إذا قررت أن توقف اللعبة اذهب لصفحة رقم (٨١)

إذا قررت أن تواصل اللعب اذهب لصفحة رقم (٨٢)

ها قد عدت من عند الطبيب، وطوال الجلسة وأنا أفكر في اللعبة، هل سأتوقف عن اللعب؟ هل حقًا هذا ما أريده؟ لا أدري، لكنني أشعر أن هذا الإحساس ليس نابعًا من داخلي

لا أنكر إن اللعبة تحتوي على الكثير من الثغرات، ولكنني كذلك لا يمكنني تجاهل إنها أعادت لي شهوة الألعاب المستقلة التي افتقدتها، فبعد ساعات من التفكير، وجدت إن لغز اللعبة يثير اهتمامي بحق. أنا لست متشوقًا لمعرفة الجرائم الثلاث القادمة، بل متحمس لمعرفة علاقتهم بالقصة المذكورة في وصف اللعبة

ناهيك عن عدم احتواء اللعبة على أسماء المطورين أو المبرمجين، هذا هو لغز اللعبة الحقيقي، ولا أعتقد أنه سيسنح لي فرصة تكرار تجربة مثل تلك.. يمكن وراء شركة (نايفي) تلك لغز مثير لفضول أي لاعب

هذه اللعبة إما ستكون أفضل لعبة لعبتها بحياتي، أو الأسوء على الإطلاق، لهذا سأتابع اللعب، فلا يمكنني إقرار شيء مثل هذا الآن.. لا أعتقد إن ثلاثة فصول أخرى ستضرني

ك

كراهية

إن كراهية (كين وباربي) كفيلة بتدمير البشرية

لا ينفكّ المظهر الخارجي عن ممارسة سطوته على أحكامنا على من حولنا، ونظرتنا للآخرين. سواءً أكنا نؤيد هذا المبدأ أم نرفضه، نجد أنفسنا، عن غير إرادتنا، نُسحر بالشكل ونُخدع بالمظاهر. وكم من قتلة متسلسلين استغلّوا سحر ملامحهم وأسلوبهم المُلفت لجذب ضحاياهم، فنجحوا في إزهاق أرواح عشرات، بل مئات الأنفس البريئة.

فما رأيك إن اجتمع في ثنائي واحد كلّ تلك المواصفات الجذابة، ممزوجةً بشرٍ خالصٍ ونيةٍ مُحكمةٍ للإيذاء؟ ما الذي قد يخبئه لنا هذا المزيج المُرعب من الجمال والقبح الداخلي مع قاتل حرف الكاف؟

***

باربي وكين: لقبٌ أُطلق على ثنائيٍّ شابٍّ، تميزا بشعرهما الأصفر، وعينيهما الزرقاوين، وبشرتهما الفاتحة، ممّا جعلهما أيقونةً للجمالِ والوسامةِ في نظرِ المجتمعِ. ثروةٌ وفيرةٌ، أصدقاءُ كُثرٌ، حياةٌ مثاليةٌ تبدو وكأنها خرجت من صفحاتِ مجلةٍ مُلوّنةٍ.

لكن، ما وراءَ هذا القناعِ البراقِ، تكمنُ حقيقةٌ مُظلمةٌ، تُخبئُ وحشًا مُفترسًا.

بول بيرناردو: هو بطلُ حكايتنا المُروّعةِ، وُلِدَ عامَ ١٩٦٤ في مدينةِ

أونتاريو بكندا. نشأ في عائلةٍ بدت للوهلةِ الأولى عاديةً ومتماسكةً، إلا أنّ الواقعَ كان مختلفًا تمامًا.

والده كينيث بيرناردو، اسمٌ ارتبطَ بفظائعَ لا حصرَ لها. فقد مارسَ على زوجتهِ «مارلين» عنفًا جسديًا ونفسيًا مُستمرًا، مُهينًا إياها بألفاظٍ قاسيةٍ، مُعتدياً عليها جسدياً وجنسياً، ساخراً من وزنها وشكلها، ولم يكن يناديها إلا بالسباب مثل عاهرة أو ساقطة

لم يكتفِ كينيث بإهانةِ زوجتهِ، بل امتدت جرائمهُ لتشملَ ابنته، مُرتكبًا جُرمَ التحرشِ الجنسيّ بفلذةِ كبدهِ.

لم تحتمِل مارلين هذا العذابَ المُستمرّ، فغرقَت في بحرٍ من الاكتئابِ، وانعزلت عن أولادها، لتحيا في قبوِ المنزلِ، لا تخرجُ منهُ إلّا لتناولِ الطعامِ أو قضاءِ حاجتها. وحتى في تلك المرات القلائل التي تخرج فيها الأم من عزلتها، حرص زوجها على استغلال تلك الفرص وإهانتها أمام أبنائها أكثر

لم تتوقف الجرائمُ عند هذا الحدّ، بل تمّ القبضُ عليه عامَ ١٩٧٥، وإدانته بتهمةِ الاعتداءِ الجنسيّ، لتُضافَ ابنتهُ إلى قائمةِ ضحاياهِ المُؤسفةِ.

ورغم كل ما قاساه، عاش بول طفولة «طبيعية» في سنوات مراهقته. فوصفَه أصدقاؤه وجيرانه بالفتى المحبوب، ذاك الذي يملأ المكان بابتسامته ضحكاته ومزاحه. وكأن ما حدث مع والده وما شهده في حياته لم يؤثّر عليه بالقدر المتوقع، بل جعله أقوى، أو العكس. لكن سرعان ما انقلبت حياته رأسًا على عقب عندما بلغ سن السادسة عشرة. ففي ذلك الوقت، فاجأته والدته مارلين باعتراف

صادم: كينيث ليس والده البيولوجي، بل كان ثمرة زلة عابرة، ابنًا غير شرعي لرجل آخر. كانت تخون زوجها معه. وأحدث هذا السرّ زلزالًا داخليًا في حياة بول، فغيّر مساره مائة وثمانين درجة.

لم يحزك بول ساكنًا ولم يَحتَجّ على المعاملة القاسية والعنيفة التي رأى والده يُمارسها على والدته، ولم يُغضِبه سلوك والده حين اعتدى على أخته. بل تملّكه غضبٌ شديدٌ وكرهٌ لوالدته بسبب خيانتها، وبدأ يُشير إليها بأسماء وألفاظ مهينة، مُقلِدًا والده في سلوكه. فهم بول أخيرًا سبب معاملة والده لزوجته بتلك الطريقة، فانزلق في نفس المسلك، وصار يُعاملها بنفس القسوة. ثم انفصل عن أسرته وانقطع عنهم تمامًا، وقرر التخصص في المحاسبة بجامعة تورنتو في كندا.

كان بول، بتلك الملامح الجاذبة والشخصية الساحرة، بمثابة مغناطيس يجذب إليه قلوب الفتيات في رحاب الجامعة. سرعان ما كانت تنبهر به كل فتاة يلتقي بها، فتُسحر بأسلوبه اللطيف وحضوره المميز. لكن ما لم تكن تعرفه تلك الفتيات، هو أن وراء ذلك القناع الساحر، يختبئ وحشٌ كاسر ذو خيالات مريضة ونزعة عنيفة.

فمع مرور الوقت، سرعان ما كان بول يُظهر وجهه الحقيقي، مُبدلًا سحره بالعنف والقسوة. كان يتحول إلى وحش يعتدي على تلك الفتيات جسدياً ولفظياً، مستخدمًا نفس الألفاظ المهينة التي كان والده يُكيلها لأمه «مارلين".

ولم يقتصر الأمر على ذلك، بل تقدمت إحدى حبيباته السابقات بشكوى رسمية للشرطة تُثبت اعتداءه العنيف عليها، دون أن تُثمر تلك الشكوى عن أي إجراء قانوني ضده. كما لجأت حبيبتان سابقتان

له إلى «محضر عدم تعرض» في عام ١٩٨٦، خوفًا من تهديداته الوحشية لهما بالضرب أو الاغتصاب إن لم تُنفذا أوامره.

ظل بول يبحث لقلبهِ عن عشقًا مُنحرفًا، فتاةً تُشاركه نزعاتهِ الدفينة، ميولهِ المُظلمة. وبينما كان القدرُ يُخبئُ لهُ فخًا مُحكمًا، صادفَ بولُ ضالتهُ عامَ ١٩٨٧، حينما كانَ شابًا في مقتبلِ العشرين، بينما لم تبلغْ هيَ بعدُ سنَ الرشدِ القانوني. فمن يا ترى هذهِ الفتاةُ التي استطاعتْ أن تُسبيَ قلبَ وحشٍ مثلَ بول؟

إنها كارلا هومولكا، التي وُلدت عامَ ألفٍ وتسعمائةٍ وسبعينَ في مدينةِ أونتاريو بكندا. نشأت كارلا في كنفِ عائلةٍ مكونةٍ من خمسةِ أفراد: الأبِ كارل، والأمِ دورثي، وشقيقتينِ لها، لوري الكبرى، وتامي الصغرى. تذكر أسماءَ هذهِ العائلةِ جيدًا، فلن تلبثَ أن تلعبَ دورًا هامًا في حكايَتنا المُروّعة.

على عكسِ نشأةِ بولَ المُضطربةِ المليئةِ بالعنفِ والمشاكل، اتسمت حياةُ كارلا بالهدوءِ والاستقرار. فوصفها أصدقاؤها وأقاربُها بالفتاةِ الناجحةِ المُتفوقةِ، الجميلةِ اللطيفةِ، صاحبةِ القلبِ الطيبِ وحبِ الحيواناتِ الشديد. لدرجةٍ دفعتها للعملِ في عيادةٍ بيطريةٍ بينما كانت لا تزال في المدرسةِ الثانوية، دونَ حاجةٍ ماديةٍ ملحة، بل بدافعِ حلمٍ راودها منذُ الصغر، وهو التخصصُ في الطب البيطري.

وفي عامِ ألفٍ وتسعمائةٍ وسبعينَ، ساقها القدرُ لحضورِ مؤتمرٍ حولَ غذاءِ الحيوانات، فقابلت هناكَ بولَ في أحدِ المطاعم. لقاءٌ عابرٌ، لم يكنْ يخطرَ على بالِ أحدٍ أنهُ سيكونَ فاتحةَ سلسلةٍ من الأحداثِ المُروّعةِ التي ستُغيّرُ مجرى حياةِ كليهما إلى الأبد.

اجتمع أصدقاء بول وكارلا في تلك الليلة، يشهدون على بدايات قصة حب غريبة، قصة نشأت شرارتها من النظرة الأولى، وكأن القدر جمع روحين تعارفتا منذ أزمنة بعيدة. لم تمنع قيود القانون، ولا صغر سن كارلا، من اندفاعهما نحو بعضهما البعض، لتنطلق علاقتهما العاطفية، بل والجنسية، في نفس تلك الليلة.

كان بول يبحث عن خضوع تام، عن شريكة تشاركه ميوله دون اعتراض، فوجد ضالته في كارلا. اتسمت علاقتهما بالسادية والعنف، حيث كان بول يهيمن ويأمر، بينما كانت كارلا تنفذ وتُشجعه بكل خضوع وإذلال. سارت عجلة الأيام، واستمرت علاقتهما المريبة لسنوات طويلة، مقبولة من قبل عائلة كارلا الذين اعتبروا بول ابنهم، خاصةً بعد قطيعته لعائلته وانعزاله عنهم. عاش الجميع في وهم السعادة، معتقدين أن بول وكارلا يعيشان قصة حب مثالية، بينما ظلت حقيقة علاقتهما السادية طي الكتمان.

لكن بعد مرور ثلاث سنوات، بدأت بوادر الخلاف تظهر. تضايق بول بشدة من ماضي كارلا وعلاقاتها السابقة أي أنها ليست عذراء، واعتبرها نقصًا يجب تعويضه. فما كان حله الغريب؟ طلب من كارلا هدية غريبة، قربانًا لحبه، أن تُقدم له فتاة عذراء ليعتدي عليها، وذلك بمعرفتها وموافقتها.

صُدمت كارلا بهذا الطلب المروع، كيف يجرؤ حبيبها على اقتراح خيانتها أمام عينيها، بل وجعلها شريكة في خيانته؟

ولكن كارلا واجهت الأمر بِسُهولةٍ مُطلقة. لماذا؟ لأنها كانت تُدرك تمامًا أن الرجل الذي تُرافقه الآن، والذي تُحبه وتُرتبط به، هو في

الأصل مُعتدٍ مُتكرر على فتياتٍ قاصرات، وأنّه مُطلوبٌ للعدالة في منطقةٍ أخرى.

منذ شهر مايو من عام ١٩٨٧، تُحاصر مدينة سكاربورو بظلال الخوف، حيثُ يبثّ ذعرًا لا مثيل له «معتدي سكاربورو»، مجرمٌ متسلسلٌ اتخذ من الظلامِ ستارًا لِجرائمهِ البشعة.

يتربصُ هذا الوحشُ بالفتياتِ في خُطَى الليلِ بالقربِ من محطةِ الحافلات، ليُنغصَ عليهنّ طريقَهنّ الآمنَ نحوَ بيوتهنّ. وتُشيرُ الإحصائياتِ إلى أنّ ضحاياه من الفتياتِ اللاتى تراوحت أعمارهنّ بين الخامسةِ عشرةِ والواحد والعشرين، ممّا يُضاعفُ من بشاعةِ جرائمهِ.

فمنذ عامِ ١٩٨٧ وحتى عامِ ١٩٩٠، ارتفعَ عددُ جرائمهِ إلى أحدَ عشرَ اعتداءً وثلاثِ محاولاتٍ فاشلةٍ. ورغمَ فشلِ بعضِ هذهِ المحاولات، إلّا أنّها أتاحت للناجياتِ فرصةَ رؤيةِ ملامحهِ بدقّةٍ أكبر، ممّا ساعدَ الشرطةَ على رسمِ صورةٍ تقريبيةٍ لهُ.

وإزاءَ ازديادِ عنفِ جرائمهِ وتواترِها، تمّ تخصيصُ وحدةٍ خاصّةٍ لملاحقتهِ ومُطاردةِ خياله المُجرمِ.

عندما نشرت الشرطة صورة المعتدي عام ألف وتسعمائة وتسعين، توصلوا إلى معلومات قادتهم إلى شخص واحد هو بول بيرناردو. تم استدعاؤه إلى قسم الشرطة واستجوابه لمدة نصف ساعة.

كان بول متعاونًا للغاية معهم، وتحدث بأسلوب مهذب. بل إنه مازحهم وقال إنه لاحظ بالفعل التشابه بينه وبين صورة المعتدي،

وأن بعض أصدقائه أخبروه عن الأمر. لكنه أكد لهم بكل وضوح أنه لا علاقة له على الإطلاق بما يحدث، وأنّه رجل محترم معروف بأخلاقه واحترامه بين الناس.

وعندما طلبوا منه عينات من الحمض النووي، وافق دون أي تردد أو مقاومة. زاد ذلك من ثقة رجال الشرطة واستبعدوا تورط هذا الرجل الوسيم بأي شكل من الأشكال في سلسلة الاعتداءات. لو أراد بول إقامة علاقة مع أي امرأة، لكانت وسامته كافية لجعلها تقع في غرامه دون الحاجة إلى أي عنف. لكنهم أخذوا عينات من حمضه النووي احتياطيًا، دون إجراء أي اختبارات عليها في ذلك الوقت.

كانت كارلا على دراية بكل تلك المعلومات، وبعد مرور فترة قصيرة، قدّمت كارلا لبول «هدية» مُقيتة، لم تكن هدية عادية بل تضحية بشقيقتها «تامي»، فتاة من لحمها ودمها، كانت تبلغ من العمر حينها ١٥ عامًا فقط.

انتبهت كارلا منذ البداية لإعجاب بول الشديد بتامي، ووعيت بتخيلاته الجنسية المريضة تجاهها. لاحظت أيضًا مشاعر تامي اللطيفة تجاه بول، وحبها له، فاعتبرتها «الهدية» المثالية لإرضاء رغباته المُنحرفة. وبالطبع، لم يتردد بول في الموافقة على اقتراحها الشيطاني.

في الرابع والعشرين من يوليو عام ١٩٩٠، دعا بول وكارلا تامي لتناول الغداء في منزلهما. استغلت كارلا عملها في عيادة بيطرية لسرقة بعض الأدوية المُخدرة، وقامت بتخدير طبق المكرونة المُقدم لتامي.

لم تمضِ لحظات قليلة بعد انتهاء تامي من طعامها حتى غابت عن الوعي. انقضّ بول عليها مُغتصبًا جسدها البريء، لكن لحسن الحظ، كانت كمية المخدر ضئيلة، خاصةً وأنّ الأدوية المُخصصة لتخدير الحيوانات يكون تأثيرها أضعف على البشر. فاستيقظت تامي قبل أن يتمكن من إتمام جريمته، فقررا تأجيل خطتهما الشريرة لمحاولة أخرى.

في شهر ديسمبر من عام ألف وتسعمئة وتسعين، اتخذ بول قرار الانتقال للعيش مع خطيبته كارلا في منزل عائلتها، وذلك بعد أن ربطتهما خطبة رسمية. ولاقى بول من عائلة كارلا ترحابًا حارًا عكس مدى محبتهم له، وتزايدت فرحتهم بوجوده بينهم، خاصة مع اقتراب موسم الأعياد ورأس السنة الميلادية، حيث أتيحت لهم فرصة قضاء تلك الأيام السعيدة معًا. غير أن بول وكارلا كان لهما مخطط مختلف، يضمران لهما احتفالًا من نوع خاص.

في ليلة الميلاد، حين غفا العالم في سبات عميق، وخيم الظلام على كل الديار، كانت مأساة مروعة تُحاك خيوطها داخل جدران كين وباربي. ففي ليلة الثالث والعشرين من ديسمبر، بينما نام أفراد العائلة في أحلامهم الهادئة، كان كارلا وبول، يخططان لفعل شنيع ضدّ الأخت الصغرى تامي.

اتفقا على النزول إلى القبو، ذلك المكان المظلم والمعزول عن الأنظار، ليحتفلا بليلتهما بعيدًا عن أعين العائلة. دعيا تامي معهما، ووعداها بليلة مليئة بالمرح والأفلام، مُغريان إياها بشرب الكحول رغم صغر سنها.

لكن ما خبّأته كارلا لتامي كان أبعد ما يكون عن المرح، فقد كانت تحمل في يدها جرعة من المخدرات المسروقة، سكبَتها خلسة في مشروب تامي. وبينما كانت تلهيها ببعض الأحاديث، ضغط بول على قطعة قماش ملوّثة بمخدر قوي على أنف تامي، حتى غابت عن الوعي تمامًا.

في تلك اللحظات الموحشة، استغلّ بول غيبوبة تامي ليقترف جريمته النكراء، تاركًا إياها وحيدة في ليلة حزن أسود، ليلة سرق منها براءة طفولتها وأحلامها. والأبشع إن كارلا هي من عرت أختها عن ثيابها وقدمتها لحبيبها على طبق من ذهب، وشرعت تصور كافة تلك الأحداث بالكاميرا، مخلدة صوت وصورة تلك الأهوال

لم يلبث الأمر طويلاً حتى وجدوا تامي تتقيئ كل السوائل التي شربتها، وتُعاني من اختناق حاد. سارعوا إليها محاولين إنقاذها وتقديم الإسعافات الأولية، مثل التنفس الصناعي وتدليك عضلة القلب، لكن دون جدوى.

بِرَوحٍ سَريعَةٍ، طَمَسَ الجانيانِ مَسرَحَ الجريمة، مُخفِيَانِ كُلّ أثَرٍ يُحيزُ الرّيبَ. غَيّرَا مَلابسهما، ثُمّ استَدعَيا الإسعَافَ. بالكاد وَصَلَت «تامي» إلى المَشفَى، قَبلَ إعلانِ وفاتِها. قُتِلَت «تامي» مَسمُومة بِمَادّةٍ دَسّتها أُختُها في مَشرُوبِها.

استجوبت الشرطة «بول» و«كارلا» لِمعرفةِ تفاصيلِ الحادثة. زَعَمَ الجانيانِ أنّ «تامي» شَرِبَت الكحول، وَفَجأة أصَابَتها نوبةُ قَيءٍ وَاختناق. لم يُبدِيا أيّ قَلَقٍ وَكأنّ الأمرَ عادِيًا.

ولكن، لاحظَت الشرطةُ حَرقًا كيميائيًا على وَجهِ «تامي» ناتجًا

عن قماشة وضعتها «كارلا» على فمها. حاولَ الجانيانِ تبريرَ الحَرقِ بِأخمَاضٍ خرجت من معدة «تامي» مع القيء. وبذلك، صُنِّفَت وفاتُها على أنها حادثةٌ عَرَضيّةٌ، ونَجا «بول» و«كارلا» من العقاب. لم تشَك عائلةُ «تامي» للحظةٍ واحدةٍ في أنّ وفاتَها مُتَعَمَّدَةٌ. ودُفِنت «تامي» دون تشريحِ جثتها.

في جنازتِها، وَضَعَ الأقاربُ والأصدقاءُ الزهورَ ورسائلَ لطيفةً على قبرها. أمّا «بول» و«كارلا» فلم يَكتَفِيا بِذلكَ، بل وَضَعَا في التابوتِ صورةً تُظهرهما مع «تامي» وهم في وضع الاعتداء. تصرّفٌ مُقزِزٌ يدلُّ على خُلُوّهما من أدنى مشاعرِ الندم.

لم تتوقّف وقاحة «كارلا» عند هذا الحدّ، بل تنكّرت بِمَلابِسِ «تامي» مَرّاتٍ مُتَعَدِّدَةً خلال علاقَتِها بِـ«بول» لِإثارةِ رغبتهِ الجنسية.

في الأول من فبراير عام ١٩٩١، انتقل «بول» و«كارلا» للعيشِ في منزلٍ خاصّ. سرعانَ ما ظهرت مُشكِلاتٌ جديدةٌ في علاقَتِهما. اتّهَمَ «بول» «كارلا» بِقتلِ أختِها بِزيادةِ جرعةِ المخدّر، ممّا حرمهُ من «متعتِهِ مع العذراء".

وَقَعَ «بول» في غرامِ فتاةٍ عذراءٍ أُخرى، وعَلِمَت «كارلا» بالأمر. خوفًا من خسارَتِهِ، سَعَت لإرضائِهِ، فَفَكّرَت في توفيرِ فتياتٍ جُدُدٍ لِإشباعِ رغباتِهِ.

وَقَعَت عَينُها على فتاةٍ تبلغُ من العمر ١٥ عامًا، تعملُ معها في محلّ الحيوانات الأليفة. لم يُعرَف اسمُ هذه الفتاةِ حتى يومِنا هذا، ويُشارُ إليها باسم «جين دو»

كانت جين تعشق كارلا، وتراها المثل الأعلى لها، بمثابة أختها الكبرى. وعندما دعتها كارلا لتناول العشاء في منزلها، وافقت جين دون تردد. وفي يوم السابع من يونيو عام ١٩٩١، كررت كارلا ما فعلته مع أختها، حيث سرقت أدوية مخدرة ووضعتها في مشروب الفتاة. وعندما فقدت الفتاة وعيها، اتصلت كارلا ببول لتخبره بالعودة إلى المنزل، وأن لديها هدية له.

وبالفعل، تعرضت جين للاعتداء الجنسي من قبل كل من بول وكارلا، بالتناوب. نعم، لقد شاركت كارلا في الاعتداء على الفتاة الصغيرة.

تم تصوير هذا الفعل المشين بالكامل بالفيديو، وتعرضت جين لنفس ما حدث لتامي. ارتجف جسدها وفقدت الوعي، لكن الفرق الوحيد هو أنها ظلت على قيد الحياة. نجحت الإسعافات الأولية في إنقاذها، واستيقظت في اليوم التالي دون أي ذاكرة لما حدث. لم تدرك جين أنها تعرضت للاعتداء إلا بعد سنوات، عندما دخلت في أول علاقة عاطفية مع حبيبها.

أفاقت على ألمٍ ينخرُ عظامها، ووجعٍ يعتصرُ قلبها، فظنت أنّ ذلك ثمرة تجربتها الأولى مع الخمر. حافظت على علاقةٍ وُدٍّ مع بول وكارلا، جاهلةً بأيّ ما يخبئه القدرُ لها، وبما سئلاقيه من وحشيةٍ على أيديهما.

فقد نجحت كارلا في استعادة بولٍ بفضل «هديتها الجديدة»، فقطع علاقته بغيرها من الفتيات. ولم يكتفِ الثنائيّ بذلك، بل سعيا بعد أيامٍ قليلةٍ فقط، إلى افتراس ضحيةٍ جديدة.

في ليلة الخامس عشر من يونيو، عند الساعة الواحدة بعد منتصف الليل تقريبًا، وقفت ليزلي مهافي، فتاةٌ لم تبلغ بعدُ الرابعة عشرة من عمرها، أمام منزلها حائرةً، لا تدري ماذا تفعل. فقد أغلقَ أهلها البابَ بالمفتاح وغادروا المنزلَ، تاركين إياها دون مفتاحٍ للدخول.

فيما هي واقفةٌ تائهةً، لا تعرفُ أين تلجأ أو ماذا تفعل، كان بولٌ يجولُ في الحيّ بسيارته، فلمحها. اقتربَ منها وعرضَ عليها سيجارةً، وعندما اقتربت منه، هاجمها ودفعها عنوةً داخل السيارة، ثمّ غطّى عينيها، واصطحبها إلى منزله هو وكارلا.

توالى المشهدُ المأساوي، فكان كالعادةِ ساحةَ صراعٍ بين وحشينِ يعتديان على فريسةٍ بريئةٍ. تناوب «بول» و«كارلا» على تعذيب «ليزلي» بلا رحمة، بينما كاميراتهم اللعينة تخلّدُ تفاصيلَ الجريمةِ البشعةِ. استمرّ عذابُ ليزلي يومينِ كاملين، لم تنقطع فيهما صرخاتُها واستغاثاتها، حتى فاضَ صبرُ جلاديها، فقرّروا التخلّصَ منها.

وبيدٍ آثمةٍ وبقلبٍ قاسٍ، خنق «بول» ليزلي باستخدامِ سلكٍ كهربائيّ، ليُسدلَ الستارَ على مأساتها ويُطفئَ شعلةَ حياتها.

ولكنّ الجريمةَ لم تكن النهايةَ، بل فصلاً من فصولِ مسرحيةٍ مُخيفةٍ. ففي ذلك اليومِ نفسه، كان «بول» و«كارلا» على موعدٍ مع عشاءٍ عائليٍّ احتفالاً بعيدِ الأبّ. وبينما كانت أسرةُ «كارلا» تتناولُ العشاءَ وتُشاركُهم الضحكَ والمرحَ، كان جثمانُ ليزلي ملقىً في قبوِ المنزلِ، شاهداً صامتاً على وحشيةِ أصحابهما.

وبعدَ انصرافِ ضيوفهم، نزلَ «بول» إلى القبوِ حاملاً جثةَ ليزلي، عاقداً العزمَ على التخلّصِ منها. قامَ بتقطيعِ الجثةِ إلى أجزاءٍ صغيرةٍ،

ثمّ شرعَ في صنعِ مكعباتٍ إسمنتية ضخمةٍ خبّأ داخلَها أشلاءَ الضحيّةِ.

وعلى مدارِ الأيّامِ التاليةِ، حملَ «بول» و«كارلا» تلكَ المكعباتِ تباعاً، تحتَ جنحِ الظلامِ، وألقياها في أعماقِ بحيرةِ «جيبسون"

في غمرةِ الأيام، بينما كان «بول» و «كارلا» يخططان لفرحهما، مُزخرفين ليلةً من الخيالِ لا يرقى لها حلمٌ. وبينما نسجت أصابعُ التخطيطِ خيوطَ السعادةِ بدقةٍ، همسَ «بول» لأصدقائهِ بين الحينِ والآخرِ عن عدمِ اكتراثهِ بفكرةِ الزواجِ الرسميّ، مُتسائلاً: «لِمَ الزواجُ إن كنا نعيشُ حياةً مُشتركةً بكلّ تفاصيلها؟». إلا أنّ بريقَ الهدايا المُتوقعة، والتي تُقدّرُ قيمتها بخمسين ألفَ دولارٍ من الأهلِ والأصدقاء، كان كافياً لإغرائهِ على المُضيّ قُدمًا.

وفي التاسعِ والعشرينَ من يونيوَ عامِ ألفٍ وتسعمئةٍ وتسعينَ ومائةٍ، احتفى «بول» و «كارلا» بزفافهما، مُحاطينَ بأهلِ «كارلا» وأصدقائهم. وذكرت بعضُ التقاريرِ تواجدَ «جين دو» بين الحاضرين.

وفي خضمّ احتفالاتِ العشاقِ بتبادلِ العهودِ، اكتشفَ مُرتادو بحيرةِ جيبسون أجزاءً من جثةِ «ليزلي». تعرّفت عليها الشرطةُ من خلالِ سجلّاتِ طبيبِ الأسنانِ، وأبلغت العائلةَ بالفاجعةِ.

انتشرَ الخبرُ كالنارِ في الهشيمِ، مُخلفًا وراءهُ قلقًا وخوفًا في أرجاءِ المجتمع. من يجرؤُ على فعلِ ذلكَ بفتاةٍ لم تتجاوز الرابعةَ عشر من عمرها؟ ما هوَ الدافعُ وراءَ هذهِ الجريمةِ البشعةِ؟

أما على الجانب الآخر، فلم يعبأ بول وكارلا بما حدث. فقد سافرا

بعد حفل الزفاف لقضاء شهر العسل في هاواي، وعند عودتهما، غيّرا اسميهما رسميًا إلى «بول وكارلا تيل». لماذا تيل؟ لأن هذا اسم قاتل متسلسل في فيلم «قانون الجريمة». أي أنّهما لم يشعرا بأي ندم، بل على العكس، فقد كانا يتباهيان بأفعالهما ويُظهرون وحشيتهما في كل مرة.

في أغسطس عام ١٩٩١، دعت كارلا «جين دو» إلى رحلة معها ومع بول. ووافقت جين، التي لم تكن على علم تام بما حدث لها سابقًا، على الذهاب معهما. وخلال الرحلة، خدّرت كارلا جين بنفس الطريقة التي خدّرت بها تامي من قبل. وفجأة، بدأت جين تختنق وتُعاني من نفس الأعراض التي عانت منها تامي. وفي حالة من الذعر والخوف من موتها، اتصل بول وكارلا بالإسعاف على الفور. لكن قبل وصول سيارة الإسعاف، تمكن بول من إنعاش جين باستخدام الإسعافات الأولية مرة أخرى. ثم اتصلوا بالإسعاف مرة أخرى وقالوا لهم أن كل شيء على ما يرام وأن الأمر قد انتهى بسلام. ومرة أخرى، عندما استعادت جين وعيها، لم تكن لديها أي فكرة عما حدث.

ديسمبر من ذلك العام، اتخذت كارلا قرارًا مصيريًا بمصارحة جين دو بكل وضوح، مطالبةً إياها بإقامة علاقة مع زوجها بول، بدلاً من العيش في جو من التخدير والخطر. لا حاجة لذكر صدمة جين ورفضها التام، ثم قطعها لعلاقتها معهما.

أبريل من عام ١٩٩٢، بدأت الشرطة تُضيّق الخناق على المجرم الغامض. فمن جهة، واجهوا صعوبة في الوصول إلى معتدٍ متسلسل، ومن جهة أخرى، عثروا على جثة فتاة مشوهة بشكل بشع ومحنطة

في الأسمنت. دفع ذلك بِهم إلى طلب المساعدة من الشرطة الفيدرالية الأمريكية لتحديد هوية وخصائص المجرم المطلوب.

أفاد تقرير الشرطة الفيدرالية بأن المعتدي يتمتع بميول عنيفة للغاية، ويرجح ارتكابه لجريمة أخرى. كما أشار التقرير إلى احتمال تعرض صديقته أو حبيبته للعنف الجسدي، نظراً لكمية الغضب غير الطبيعية التي يكتمها في داخله.

تحقق تنبؤ الشرطة الفيدرالية بالفعل. ففي السادس عشر من أبريل ١٩٩٢، كانت الطالبة كريستين فرينش، البالغة من العمر ١٥ عامًا، عائدة من المدرسة في طريقها المعتاد. وفجأة، لاحظت سيارة تقف بالقرب منها، نزل منها سيدة جميلة ولطيفة تُمسك بخريطة. اقتربت السيدة من كريستين، مدعيةً أنها وزوجها، الموجود في السيارة، سائحين لا يعرفون المنطقة جيدًا، ويحتاجون إلى مساعدتها في وصف الطريق.

تجاوبت كريستين مع السيدة بكل طيب خاطر، مُمسكةً بالخريطة وشرحِها الطريق لها. انشغلت كريستين بالشرح، دون أن تنتبه إلى نزول الرجل من السيارة. فجأة، باغتها من الخلف، وبدأ بمقاومتها لإدخالها بالقوة، مُحاولاً إسكات صراخها خوفًا من لفت انتباه المارة.

لا حاجة لذكر أن هذين الشخصين هما كارلا وبول. حدث كل ذلك في وضح النهار، في ساحة انتظار سيارات بجانب كنيسة. أثبتت كريستين بطولتها، فبذكائها، تمكنت من ترك أدلة وراءها، منها فردة من حذائها، وجزء من الخريطة رمته على الأرض. لكن للأسف، تغلب عليها بول وكارلا، وأدخلاها بالقوة إلى السيارة، وقيداها بإحكام، وكمما فمها، قبل أن يعودا بها إلى منزلهما.

لفّ الحزن أرجاء عائلة كريستين عندما تأخرت عن موعدها المعتاد، ولم تعد. لم يهدأ لهم بال، فهرعوا إلى أقرب مركز شرطة للإبلاغ عن اختفائها. شرعت الشرطة في تمشيط الطريق الذي تسلكه كريستين عادةً، بحثًا عن أي دليل قد يقودهم إلى ابنتهم المفقودة. وفجأة، لفت انتباههم وجود حذاء كريستين وجزء مقطوع من خريطة مرميين على الأرض. ازدادت قتامة المشهد مع وجود شهود عيان أكدوا رؤيتهم لواقعة اختطاف كريستين، لكن للأسف، لم يتمكنوا من وصف سيارة الخاطف بدقة.

تراود المحققين شكوك قوية حول ارتباط جريمة اختطاف كريستين بجريمة قتل ليزلي، خاصةً مع تقارب سن الضحيتين، وتعرضهما للاختطاف في وضح النهار بجرأة مفرطة.

في تلك الأثناء، كانت كريستين تعاني من ويلاتٍ لا توصف. ثلاثة أيام قست عليها بوحشية، تعرّضت خلالها للضرب والاعتداء، وسجلت لحظات عذابها في فيديو مرعب. لم تكتفِ كارلا بذلك، بل أجبرت كريستين على شرب كميات كبيرة من الكحول، مُفقِدَةً إياها القدرة على المقاومة.

مع حلول رابع يوم، اتخذ المجرمون قرارهم بالتخلص من كريستين، تزامنًا مع دعوتهم لعائلة كارلا لتناول عشاء عيد الفصح. اختلفت الروايات حول كيفية القتل، فادّعت كارلا أن بول خنق كريستين بسلك كهربائي لمدة سبع دقائق بينما كانت هي تراقب المشهد ببرودة أعصاب، بينما ادعى بول أن كريستين حاولت الهرب، فغضبت كارلا وضربتها بمطرقة على رأسها، ثم خنقتها بنفسها.

مهما كانت تفاصيل الواقعة، فالمؤكد أن كريستين قد لفظت أنفاسها الأخيرة، بعد أن تم غسل جثتها وقص شعرها للتخفي عن هويتها. ثم تم التخلص من جثتها في منطقة نائية، بالقرب من مكان العثور على جثة ليزلي. وبعد مرور أحد عشر يومًا، وتحديدًا في ٣٠ أبريل، تم العثور على جثة كريستين.

مع العثور على جثة كريستين، تم تشكيل وحدة خاصة أُطلق عليها اسم «وحدة مقتل فتيات المدارس». ازداد إصرار المحققين على كشف ملابسات الجريمتين، فقاموا بإعادة استخراج جثة ليزلي لمحاولة ربط الجريمتين ببعض. وبالفعل، توصلوا إلى وجود علامات تعذيب وضرب متشابهة على الجثتين، مما أكد لهم أنهم يبحثون عن نفس القاتل. وبشكل رسمي، تم ربط القضيتين في ١٥ مايو ١٩٩٢.

ولكن، لم تنتهِ مأساة كريستين عند حدّ وفاتها، بل بدأت كارلا تعاني من عذاب الضمير. لم تعد قادرة على تحمل سماع أصوات غامضة صادرة من القبو الذي تم فيه احتجاز الجثتين، فهرعت إلى طبيب نفسي لطلب المساعدة في التخلص من تلك الهلاوس.

لكن سرعان ما انكشفت الحقيقة المظلمة في ديسمبر ١٩٩٢، عندما تعرضت كارلا لاعتداء وحشي من قبل زوجها بول، بلغ حدّ استخدام كشاف كهربائي لتشويه جسدها. نجم عن هذا الاعتداء إصابات بالغة شملت جسدها بالكامل، وفقدان بصرها مؤقتاً بسبب تورم شديد في عينيها وتحولهما إلى اللون الأسود.

وبالرغم من هول ما حدث، عادت كارلا إلى عملها في الرابع من يناير وكأن شيئاً لم يكن، مدعيةً لزملائها أنها تعرضت لحادث سيارة.

إلا أن زملاءها، مدركين لاستحالة كون تلك الإصابات ناتجة عن حادث، أبلغوا عائلتها بالأمر. وعندما علمت عائلتها بحقيقة ما حدث من بول، أقنعوها بالتوجه إلى المستشفى وتقديم بلاغ ضده.

وبالفعل، توجهت كارلا إلى المستشفى وقدمت بلاغاً ضد زوجها، مُرضيةً بذلك رغبة عائلتها. ألقت الشرطة القبض على بول لفترة قصيرة، لكن سرعان ما أطلق سراحه، ليكشف سجله عن وجهه القبيح، فقد سبق استجوابه بخصوص جرائم سكاربورو، وأخذت منه عينات حمض نووي.

كان لدى المحققين ملف تعريف مُفصّل للمجرم من خلال سجلات الشرطة الفيدرالية، يشير إلى شخص ذو ميول عنيفة شديدة تجاه النساء، وأنّه من المرجح أن يُسيء معاملة أي امرأة في حياته.

وبعد مرور أكثر من عامين، أجرت السلطات فحوصات على عينات بول بيرناردو، فكانت النتيجة مطابقة تماماً لعينات الحمض النووي المُستخرجة من ضحايا سكاربورو.

خلال تلك الفترة، انتقلت كارلا للعيش مع أقاربها، ولم تعد إلى بول. وفجأة، استُدعيت من قبل الشرطة، ظناً منها أنّهم سيستجوبوها عن حادثة الاعتداء التي تعرضت لها من قبل زوجها. لكن سرعان ما اكتشفت أنّهم يُحققون معها بخصوص جرائم سكاربورو.

في البداية، رفضت كارلا التعاون معهم، وامتنعت عن الإجابة على أسئلتهم. لكن بعد طلبها مقابلة أقاربها، انهارت واعترفت لهم بكل شيء، أو بالأحرى، بمعظم ما حدث.

فقد كشفت كارلا أنّ بول كان يُهددها باستمرار بالقتل والضرب المبرح إن هي فكرت في التكلم، وأنّها شاركته في تلك الجرائم خوفاً منه ومن غضبه، وأنّها ضحية هي الأخرى

طالبت عائلة كارلا هومولكا، بتعيين محامٍ لها. سعى المحامي لعقد صفقة مع الشرطة تضمن حصانة كاملة لكارلا مقابل اعترافها بجرائم زوجها بول بيرناردو، اعترافٌ شاملٌ يشمل عدد الجرائم وتفاصيلها، يلقي بظلاله الثقيلة على بول ويُحمّله كامل المسؤولية. إلا أن الشرطة رفضت هذا العرض، وقدّمت لكارلا صفقةً بديلة: اثنا عشر عامًا من السجن مقابل اعترافاتها، بديلاً عن عقوبة الإعدام. وافقت كارلا على الصفقة التي عُرفت لاحقًا باسم «صفقة مع الشيطان".

اعترفت بكل جرائمها وجرائم زوجها، بما في ذلك جريمة قتل أختها تامي. أدى اعترافها إلى القبض عليها وعلى بول، وتوجيه الاتهامات لهما. كما كشفت كارلا عن أماكن الشرائط التي وثّقت جرائمهما البشعة.

وبناءً على معلومات كارلا، قامت الشرطة بتفتيش منزل الزوجين لمدة ٧١ يومًا دون جدوى، باحثين عن تلك الشرائط المروعة. لكن بول، بذكائه المُنحرف، كان على دراية بمكانها. فقد زوّد محاميه بورقة مكتوبة بخط يده تُشير إلى وجود الشرائط فوق وحدة إضاءة السقف في الطابق العلوي من المنزل.

استغلّ المحامي تلك المعلومة، وادّعى أمام الشرطة المحاصِرة للمنزل أنه بحاجة إلى إحضار شيء لموكله، وبذلك تمكن من تهريب الشرائط دون علم أحد. وبعد ١٨ شهرًا من بدء المحاكمة، وبعد انتهاء

صفقة كارلا، قدّم المحامي تلك الشرائط كأدلة دامغة.

أُصيب المحققون والمدعي العام بالذهول عندما شاهدوا على تلك الشرائط كارلا، ضحية الظلم والقهر المفترضة، وهي تضحك وتشارك في الجرائم، وتشجّع بول على تصرفاته الوحشية، بل وتستمتع بكل لحظة من ذلك العذاب. لم تُظهر أي تردد أو خوف على الإطلاق.

في سبتمبر ١٩٩٥، أدين بول بيرناردو وحُكم عليه بالسجن مدى الحياة مع إمكانية إطلاق سراحه بعد ٢٥ عامًا في حال قبول استئنافه. أما «كارلا» شريكته في الجرم، فكان مصيرها مختلفاً

اثنتا عشر عاماً فقط قضتها كارلا خلف القضبان، عقوبةٌ هزيلةٌ قياساً على بشاعةِ جرائمها. صفقةٌ مشبوهةٌ مع المحامي والشرطة فتحت لها باب الخروج، لتُطلق سراحها في عام ٢٠٠٥ حرة طليقة. لم تتوقف كارلا عند هذا الحد، بل غيرّت اسمها وهويتها ساعيةً لطمسِ ماضيها المُظلم، واعتنقت ديانة الويليما. تزوجت من شقيق محاميها، وأنجبت منه ثلاثة أطفال، حياةٌ هادئةٌ بُنيت على أنقاضِ أحلامٍ بريئةٍ وأرواحٍ زهقت.

لكن جرائمُ كارلا لم تُدفن مع الماضي. عام ٢٠٢٤، تطوعت في مدرسة أولادها، فكُشفَ أمرُها. ثارت ثائرةُ الأهالي، فكيف تسمحُ المدرسةُ لمعتديةٍ قاتلةٍ بالتواجدِ بين أطفالهم؟ قضيةُ «كين وباربي» - هكذا عُرفت في وسائل الإعلامِ الكنديةِ - هزّت الرأيَ العام. غضبٌ عارمٌ تجاهَ الشرطةِ التي سمحت لكارلا بالإفلات من العقاب، مشاعرُ ممزوجةٌ بالحزنِ والأسى لدى عائلات الضحايا الذين حرمتهم كارلا من حُلمِ الحياةِ.

صحفيونَ ونشطاءُ لم ينصِاعوا لِصمتِ السلطاتِ، فضحوا هويةَ كارلا كلّما حاولت التخفّي. سعوا لكشفِ حقيقتها للعالم، لِلا يهنأ لها بالسكينةِ التي سلبتها من ضحاياها. حاولت كارلا جاهدةً الهروبَ من ماضيها، لكنّ وصمةَ العارِ لازمتها إلى الأبد.

ل

لعنة

التحدث عن اللعنات ليس بالأمر الهين، خاصة حين نذكر لغز القطار الإيطالي

لطالما سردت حكاياتٌ عن سفنٍ تتقاذفها الأمواج وهي تسكنها أرواحٌ غامضة، وطائراتٍ تختفي في غياهب السماء تاركةً وراءها أسئلةً بلا إجابة. ولكن هل سمعتَ عن قطارٍ مسكونٍ يجوب الأرض بقدرةٍ غريبةٍ على الظهور في أيّ زمانٍ ومكان؟ فيس هناك أغرب من لغز حرف اللام

***

في فجر القرن العشرين، وتحديداً عام ١٩١١، اشتعلت المنافسة بين دول العالم لتطوير وسائل النقل، فكانت تلك الحقبة شاهدة على ثورات تقنية هائلة. ففي عام ١٩٠٩، أبحرت سفينة التايتنك العملاقة، معلنةً ثورةً في الملاحة البحرية، بينما حلّق منطاد هايزنبرج الألماني عام ١٩٣٠، حاملاً معه ثورةً أخرى في مجال الطيران.

لم تقف إيطاليا مكتوفة الأيدي أمام هذا التقدم الهائل، بل قررت هي الأخرى خوض غمار المنافسة. فبرزت شركة إيطالية تدعى «زانيتي» بتساؤلٍ حارق: «لماذا لا نشارك نحن أيضاً في هذا السباق المحموم لتطوير النقل؟!".

وأمام هذا التحدي، اتخذت شركة «زانيتي» قرار تصنيع قطار ضخم يفوق كل ما سبقه من قطارات. تألف هذا القطار العملاق من

ثلاث عربات، بالإضافة إلى مقطورة السائق، وكان حجمه هائلاً، يفوق أربعة أضعاف حجم القطارات العادية في ذلك الوقت. وقد كلّف هذا المشروع الشركة ملايين الدولارات، لكنّهم آمنوا إيماناً راسخاً بأنّهم على وشك إنجاز ثورة حقيقية في عالم السكك الحديدية.

أعلنت الشركة عن أول رحلة لهذا القطار الاستثنائي، والتي كانت عبارة عن رحلة ترفيهية من مدينة روما الخالدة إلى مدينة ميلانو العريقة. تميزت هذه الرحلة بمسارها المتنوع، حيث مرّ القطار عبر مختلف تضاريس إيطاليا، من غابات كثيفة إلى جبال شاهقة، ومن صحاري قاحلة إلى وديان زراعية خصبة.

في غضون أربع ساعات فقط، أتيحت للمسافرين فرصة فريدة لاكتشاف جمال إيطاليا بكل ثرائه وتنوعه، من خلال نافذة قطار «زانيتي» الفريد.

كانت فكرة الرحلة على متن «قطار زانتي» الفخم بمثابة حلم يراود الكثيرين، رحلةٌ تُغري العائلات وتُثير حماسهم لاستكشاف آفاق جديدة. لكن سرعان ما تحول هذا الحلم إلى كابوس مرعب، حكايةٌ تُروى عبر الأجيال، حكاية عن قطار الفخامة الذي ابتلعته الظلمة.

لم تُراعِ شركة «زانتي» في تصميمها للرحلة احتياجات جميع العائلات، بل ركزت على استقطاب فئة محددة، فئة تُعرف بثرائها الفاحش وقدرتها على دفع مبالغ باهظة مقابل تجربة استثنائية. تمّ تحديد سعر التذكرة بحيث لا يقدر عليه إلّا رجال الأعمال وأصحاب الثروات الطائلة، فكان بمثابة جدارٍ يفصل بين حلم عائلات كثيرة

وبين هذه الرحلة المترفة.

ورغم ذلك، فقد وفرت الشركة على متن القطار كل سبل الراحة والترفيه التي قد يتمناها المرء، من أشهى المأكولات وأفخم الأثاث، مُحوّلةً إيّاه إلى فندق متحرك يجوب أرجاء البلاد. وسرعان ما لفت هذا الفخامة أنظار كبار رجال الأعمال الإيطاليين، فكانوا أول من حجزوا مقاعدهم على متن الرحلة الأولى التي انطلقت في الرابع عشر من يوليو عام ١٩١١. ضمّ ١٠٦ من أغنى أغنياء إيطاليا، بالإضافة إلى طاقم العمل المختص.

سارت الرحلة في بدايتها بسلاسة وهدوء، ينعم الركاب بالمناظر الخلابة والأجواء الفارهة، حتى وصل القطار إلى منطقة جبلية وعرة. كان من المفترض أن يمر القطار عبر نفقٍ طويلٍ يُعرف باسم «لومباردي» محفورٍ في أعماق الجبل، يبلغ طوله كيلومترًا كاملاً. وبفضل التكنولوجيا المتطورة التي تمتع بها القطار في ذلك الوقت، كان من المفترض أن يقطع النفق في دقيقتين فقط.

لكن ما حدث بعد ذلك لم يكن في حسبان أحد. فما إن دخل القطر النفق حتى بدأت الأمور تأخذ منحىً غريبًا ومخيفًا. ازدادت سرعة القطار بشكلٍ جنوني، لدرجة أن الركاب شعروا وكأنّه سينزلق عن مساره الحديدي في أي لحظة. وازداد الرعب مع سماع أصوات غامضة، همسٌ وصرخاتٌ لم يستطيعوا تمييز مصدرها، لكنّ حدسهم كان يهمس لهم بأنّها ليست من صنع بشر. وفجأة، وبينما كان القطار لا يزال داخل النفق، لفّ الدخان الأسود القطار من كل جانب، كأنّه وحشٌ ضخمٌ يبتلعه. ظنّ الركاب في البداية أنّ القطار قد احترق،

لا سيما وأنّه كان يعمل بالفحم، وكانت حوادث احتراق القطارات شائعةً في ذلك الوقت. لكن سرعان ما ظهر دخان أبيض كثيفٌ غطّى المكان، أشبه بالضباب. لم يتمكن أحد من تفسير مصدر الدخان الأبيض، بينما ازدادت حالة الهلع والفوضى بين الركاب.

لو افترضنا احتراق القطار، فلماذا لا يشعر الركاب بالحرارة أو يسمعون الانفجارات؟ بل على العكس، كان القطار باردًا جدًا عند دخوله النفق، لدرجة أن جميع الركاب أحسّوا ببرد قارس وبحثوا عن معاطفهم لارتدائها.

جميع من في القطار راودهم تلك التغييرات العجيبة، وشعروا أنهم دخلوا مكانًا غير مألوف، كأنّه حفرة جهنمية أو أنهم مقبلون على نهايتهم، فحاولوا الهروب من القطار بكل وسيلة ممكنة. ولكن للأسف، نجح اثنان فقط في آخر القطار بالقفز منه قبل دخوله بالكامل في النفق والذان كانا من نفس الديانة وهي الڤيليما

الغريب أنّهم عندما التفتوا نحو النفق لمعرفة ما حدث للقطار وسط الدخان الكثيف، لم يجدوا الضباب ولا القطار حتى! على الرغم من أنّ النفق كان مضاءً وممتدًا في خط مستقيم، مما يعني عدم وجود أيّ منعطفات أو تحويلات يمكن للقطار أن يختفي فيها عن الأنظار. فإلى أين ذهب القطار؟

بالطبع، تمكن الراكبان من الوصول إلى أقرب مستشفى. ولماذا مستشفى؟ لا تنسي أنّهم قفزوا من قطار سريع في منطقة صخرية جبلية، مما يعني أنّ إصابات قد حدثت بالتأكيد. ولو كان أحد غيرهم ضعيف البنية مثل الأطفال أو النساء، لكانوا قد ماتوا من تلك القفزة.

وهناك في المستشفى، طلبوا استدعاء الشرطة ورووا كل ما ذكرناه. وعندما ذهبت الشرطة للاستعلام عن القطار، اتضح أنه لم يصل فعلاً إلى مدينة (ميلانو) في الوقت المحدد له. ظنّوا طبعًا أنه تعطل على الطريق أو تعرض لعملية سطو مسلح، لذلك لم يبلغ السائق عن الأعطال، خوفًا من أن يكون قد قُتل على أيدي العصابة. ولكن بعد البحث على طول خط السكك الحديدية، لم يجدوا القطار أيضًا. وكأنّ الأرض قد انشقت وابتلعته بكل الركاب الذين كانوا عليه.

نجا رفاقنا من رحلة القطار المشؤومة، لكنّ ظلال الرعب ظلت تطاردهم، تاركةً في نفوسهم ندوبًا من توترٍ عصبيٍ واضطراباتٍ في النوم. لولا ثرائهم الذي مكّنهم من رعايةٍ نفسيةٍ مكثفة، لكادوا أن ينزلقوا إلى هاوية اليأس. لكنّهم عاهدوا أنفسهم على ألّا يركبوا قطارًا أبدًا.

أعلنت الشرطة قرارها بمنع الحركة نهائيًا داخل النفق، بعد فشلهم في العثور على أيّ أثرٍ للقطار خلال عملية البحث. وفجأة، جاءت الحرب العالمية الثانية لتلقي بثقلها على المنطقة، فأسقطت قنبلةً إيطاليةً على الجبال المحيطة، ممّا أدّى إلى انهيارٍ كاملٍ للنفق، مطمراً سرّه في بطن الأرض إلى الأبد.

ومع مرور السنين، ضاع أثر القطار ولم يُعثر عليه حتى يومنا هذا. هل كانت هذه نهاية القصة؟ كلا! فالحكاية أبعد ما تكون عن نهايتها، بل هي رحلةٌ عبر الزمن تُغوص بنا في دهاليز العصور الوسطى.

قبل قرونٍ من حادثة النفق، روى ثلاثة رهبان حكايةً غريبةً عن آلةٍ شيطانيةٍ سوداءٍ عملاقةٍ، تُطلق دخانًا كثيفًا وتُصدر أصواتًا مخيفةً

تشبه إنذار حرب. كانت تلك الآلة تتحرّك بين المنازل وتخترقها، حاملةً في داخلها صراخًا مروعًا كأنّه صراخُ بشرٍ مُعذّبين. هرب الرهبان مذعورين إلى ديرهم، يرجون الله الحماية من شرٍّ لا يُفهم.

هل رأى هؤلاء الرهبان القطار الإيطالي المفقود قبل اختفائه بقرونٍ؟ كيف ذلك والقطارات لم تكن قد اخترعت بعدُ في ذلك الزمن؟ حكايةٌ تُثيرُ الدهشة وتُحرّكُ خيوطَ الغموض، تاركةً إيّانا نبحث عن إجاباتٍ قد لا نجدها أبدًا.

تُروى هذه الحكاية في منطقة مودينا بإيطاليا، وقد تم تدوين شهادات الرهبان في سجلات كاستا سوليا. وبينما كان أحد الرهبان ينتمي إلى عائلة سادجينو العريقة، يزداد الغموض تشابكًا عندما نكتشف أنّ أحد الناجين من رحلة القطار المشؤومة كان أيضًا من نفس العائلة!

في خضمّ عام ألف وثمانمائة وأربعين، هبطت على أرض المكسيك حادثةٌ غريبةٌ هزّت أركان العقل المنطقي، وفتحت الباب على مصراعيه أمام احتمالاتٍ لا تخطر على بال بشر. ففي ذلك العام، دخل مائة وأربعة أشخاصٍ غريبين إلى مصحةٍ نفسيةٍ في المكسيك، يرتدون ملابسَ غريبةً عن ذلك الزمان، ويتحدثون بلغةٍ إيطاليةٍ لم يفهمها أحدٌ من الحاضرين. زعم هؤلاء الأشخاص أنّهم كانوا ركابًا على متن قطار اختفى في ظروفٍ غامضة، وأنّهم تعرّضوا للاختطاف، وأنّهم يرغبون في العودة إلى بلدهم الأصليّ.

ولكن، زادت حيرةُ الجميع حين لم يتمكن أحدٌ من التعرف على أيٍّ من هؤلاء الأشخاص، كما أنّ لا أحدٍ يعلم كيف دخلوا البلاد، أو من

ساعدهم على الوصول إلى تلك النقطة. وكأنّهم ظهروا من العدم، أو خرجوا من باطن الأرض!

أمام هذا اللغز المحير، لم تجد الشرطة بُدًّا من إيداعهم في مستشفى الأمراض العقلية، حيث ادّعوا أنّهم كانوا على متن القطار المختفي منذ عام ألف وتسعمائة واثني عشر، أي قبل ثمانية وعشرين عامًا من ذلك الوقت! طبعًا، لم يُصدّق أحدٌ قصّتهم هذه، واعتبرها الأطباء حالةً من الجنون الجماعي.

ولكن، زاد من غرابة هذه الواقعة أمرٌ آخر، وهو أنّ تلك الملابس الغريبة التي كان يرتديها هؤلاء الأشخاص كانت مُستقبلية التصميم، لا تشبه بأيّ شكلٍ من الأشكال أزياء ذلك العصر. وكأنّها أتت من زمنٍ آخر، تمامًا كما ادّعوا. فتخيل أنّك رأيت شخصًا يرتدي بدلةً في عصر الفراعنة، ألن تُعتبر هذه الملابس غريبةً ومُدهشة؟

بل أنّ الأمر لم يتوقف عند هذا الحدّ، فبينما كان الأطباء يفحصون هؤلاء الأشخاص، عثروا على علبة سجائرٍ لدى أحدهم. وعند فحص العلبة، اتضح أنّها تابعة لشركة «دونهيل» الشهيرة، وأنّ تاريخ الإنتاج المدوّن عليها هو عام ألف وتسعمائة وسبعة، أي بعد ستة وعشرين عامًا من ذلك الوقت!

أدلةٌ دامغةٌ تُثبت صحة رواية هؤلاء الأشخاص، وتؤكّد أنّهم جاؤوا بالفعل من المستقبل. ولكن، للأسف، لم يكن هناك ما يمكن للأطباء فعله لِمساعدتهم. فكيف يُمكنهم إعادة هؤلاء الأشخاص إلى زمنٍ لم يأتِ بعد؟ وكيف يُمكنهم إقناع أهاليهم في إيطاليا بوجودهم، بينما قد يكون هؤلاء الأهالي أنفسهم لم يُولدوا بعدُ؟

ومع مرور الوقت، ضاعت أخبارُ هؤلاء الأشخاص، ولم يبقَ من حكايتهم سوى علبة السجائر تلك، التي تُعرض الآن في أحد متاحف المكسيك، كشاهدٍ على حادثةٍ غريبةٍ لم تُفكّ طلاسمها حتى يومنا هذا.

ولكن، لم تنتهِ حكايةُ ركاب القطار المختفي عند هذا الحدّ. فالأطباء لاحظوا أنّ هؤلاء الأشخاص كانوا يعانون من نفس الأعراض النفسية المُعقدة التي عانى منها الشخصان اللذان نجيا من حادث اختفاء القطار في المرة الأولى

وفي عتمة ليل ٢٩ أكتوبر من عام ١٩٥٥، وبين أزقة منطقة «زافاليتشي» الأوكرانية، كان «بيوستار يوتامينكو» يمارس عمله المعتاد كمراقب في محطات القطارات. وفجأة، لفت انتباهه مشهد غريب، قطار بخاري قديم لم يرَ مثله من قبل، يتهادى ببطء عبر السكك الحديدية. بدا الأمر غامضًا، فـ«بيوستار» قضى سنوات في هذه المحطة، ويعرف كل قطار فيها كأنّه أحد أبنائه. ناهيك عن أن القطارات البخارية قد أصبحت من نوادر الزمن، وشبه منقرضة. ازداد حيرة «بيوستار» عندما لاحظ خلوّ القطار من أي راكب، بينما واصل سيره بخطى ثابتة.

ازدادت حدة الغموض حين وصل القطار إلى مفترق سكك حديدية، حيث كان يتواجد ملف على الأرض يُفترض بالقطار أن يلتف حوله. ولكن، وبشكلٍ مُذهل، تجاهل القطار الملف تمامًا، واستمرّ في طريقه عبر خط مستقيم، حتى اخترق جدران المحطة دون أن يترك أي أثر لحادث أو تصادم!

أُصيب «بيوستار» بالذهول، فسارع بإبلاغ مديري المحطة بما حدث. ظنّوا في البداية أنه يختلق الحكاية للحصول على إجازة أو ميزة ما، لكنّه أصرّ على روايته، مؤكّدًا إيمانه بصدق ما شاهده. خطر ببال أحد المديرين لغزٌ قديم، حكايةٌ عن قطار إيطالي غامض، فاقترحوا على «بيوستار» الخضوع لجهاز كشف الكذب لمعرفة صحة روايته.

ربما سمع «بيوستار» عن حكاية القطار الإيطالي من قبل في جريدة أو برنامج تلفزيوني، فاستلهم منها قصته، هكذا ظنّوا. ولكن، فاجأهم «بيوستار» عندما أكّد جهاز كشف الكذب صدق روايته بكل حرف. ازدادت حيرتهم حين علموا أنّ وجهة القطار كانت مقبرة «جازفورد» القريبة من المحطة، وهي ليست مقبرة عادية، بل هي مقبرة إيطالية تضمّ رفات الجنود الذين قُتلوا خلال الحرب العالمية الثانية في الاتحاد السوفيتي.

ولم تكن حادثة «بيوستار» وحيدة من نوعها، فقد ادّعى العديد من الأشخاص في مختلف أنحاء العالم، من الهند إلى ألمانيا وروسيا، رؤيتهم لنفس القطار الشبح، يتحرّك بسرعة خارقة، يخترق الجدران، ويظهر من العدم.

ففي مدينة «بروتافا» الأوكرانية، وبين جبالها الشاهقة، أكّد متسلّقو الجبال مشاهدة نفس القطار، بنفس المواصفات، بما في ذلك لونه الأسود المميز.

تموجُ أذهانُنا بِتساؤلاتٍ حائرةٍ، وتتقاذفُها أمواجُ الحيرةِ والدهشةِ، إثرَ حادثةِ القطارِ الغامضةِ التي طوتها صفحاتُ الخفاءِ. فما هو

تفسيرُ هذا اللغزِ المُحيّرِ؟ هل حقاً عبرَ القطارُ بوابةً زمنيةً تُشبهُ مثلثَ برمودا، أم أنّه مجرّدُ خيالٍ جامحٍ نسجتهُ خيوطُ الوهمِ؟

لا يملكُ أحدٌ حتى الآن إجابةً قاطعةً على هذا السؤالِ المُلغزِ. فكلّ ما لدينا هو حكاياتٌ مُتناقضةٌ وشهاداتٌ مُتضاربةٌ. ففي قصةِ الرهبانَ ومراقبي القطاراتِ ومتسلقي الجبالِ، نسمعُ رواياتٍ عن مشاهداتٍ غريبةٍ لقطارٍ يظهرُ ويختفي دونَ تفسيرٍ.

لكنْ هل يمكنُنا الوثوقُ بهذهِ الشهاداتِ دونَ دليلٍ ملموسٍ؟ فما يرويهُ شخصٌ ما عن رؤيةِ شبحِ غواصةٍ فضيةٍ قد لا يكونُ أكثرَ من خيالٍ عابرٍ أو وهمٍ ساكنٍ في أعماقِ العقلِ الباطنِ.

وتزدادُ حيرتنا معَ قصةِ القطارِ المكسيكيّ الذي غُمرَ فيه على ١٠٤ راكبٍ دونَ أيّ أثرٍ للسائقِ أو طاقمِ العملِ. فكيفَ اختفى هؤلاءِ دونَ أيّ تفسيرٍ منطقيّ؟

أثيرُ هذهِ الأسئلةِ لِأؤكّدَ على أنّنا لا نستطيعُ الجزمَ بصحةِ أيّ روايةٍ من دونِ دليلٍ قاطعٍ. ففي كلّ خيالٍ بشريّ نموذجٌ مُحتملٌ على أرضِ الواقعِ، قد يكونُ حقيقيّاً أو وهميّاً. ولكنْ، ماذا عنْ مصيرِ القطارِ الإيطاليّ نفسهِ؟ فإلى أينَ اتّجهَ بعدَ حادثةِ الاختفاءِ الغامضةِ؟

يُشبهُ البعضُ مصيرَهُ بمصيرِ سفينةِ الهولنديّ الطائرِ المُلعونةِ، التي أُجبرت على الإبحارِ إلى الأبدِ دونَ أن ترسوَ في أيّ ميناءٍ. فهل يُحكم على القطارِ أيضاً بأن يتجوّلَ كشبحٍ أبديٍّ على وجهِ الأرضِ؟

م

موت

الموت لن يفارقنا لحظة، خاصة في ضايفة ميرا هيدلي

لا يُعدّ لقب «أكثر امرأة مكروهة في بريطانيا» لقبًا سهلًا، ولا يُمكن لأيّ امرأة أن تناله بيسرٍ ودونما عناء. فلو تخيّلتَ امرأةً تحمل هذا اللقب المشؤوم، ما الذي اقترفته حتى حازت عليه؟

أطلق العنان لخيالك، فهَل قتلت عائلتها بوحشيةٍ لا مثيل لها؟ أم أكلت لحم حبيبها بعد طبخه؟ أو ربما كانت جاسوسةً خائنةً باعت أسرار وطنها لأعدائها؟ لعلها باعت روحها للشيطان ودَنّست بيوت العبادة؟

مهما بلغت شطحات خيالك، لن تستطيع تخيّل ما اقترفته تلك المرأة. إنّها جرمٌ لا مثيل له، وخطيئةٌ لا تُغفر، وعارٌ يلاحقها أينما ذهبت. فما هو ذنبها الفادح؟ وما هي قصتها المروعة التي تحملها قاتلة حرف الميم

***

تُروى حكاية ميرا، التي تحمل الاسم الكامل «ميرا هيندلي زودياك»، والتي وُلدت عام ١٩٤٢ في مدينة مانشيستر البريطانية، قبل انتهاء الحرب العالمية الثانية بوقت قصير. نشأت ميرا في كنف أسرة متوسطة الحال، أب يعمل وأم ربة منزل. عاشت طفولة هادئة خالية من المشكلات، باستثناء بعض الصعوبات المادية التي واجهتها العائلة بسبب ظروف الحرب، حيث كان والدها يعمل يومًا ويُعفى من

العمل عشرة أيام.

غير أنّ القدر كان قاسياً على ميرا، ففي سن الرابعة، حدثت مأساة هزّت حياتها، حيث توفيت والدتها منتحرةً شنقًا في غرفة نومها دون أسباب واضحة. ترك هذا الحادث ندبة عميقة في نفس ميرا وشقيقها الأصغر بسنة واحدة، فحُرِما من حنان الأم في سن مبكرة. لم تقتصر المأساة على فقدان الأم فقط، بل واجهت العائلة نظرة قاسية من المجتمع والجيران، الذين تجنّبوهم بسبب وصمة العار المُلصقة بالانتحار. اعتبر المجتمع أنّ العائلة مجنونة وأنّ ميراث الانتحار قد ينتقل إليهم.

مع مرور الوقت، ازدادت سلوكيات ميرا العدوانية وضوحًا، فكانت تُحطّم أثاث المنزل وتضرب أطفال الجيران وتُدمر ألعابهم. اعتقد الجميع أنّ دخولها المدرسة سيُحسّن سلوكها، إلا أنّ اضطهاد زملائها لها وتجنّبهم زاد من عدوانيتها بشكل كبير.

أثقل المرض كاهل شقيق ميرا، فكانت له ممرضة وراعية، تاركة دراستها على قارعة الطريق. حملت ميرا على عاتقها عبء المسؤولية، فكانت بمثابة الأم والأب لأخيها، تهتم ببيتهم وتطبخ وتعتني به، وتواظب على إعطائه أدويته في سنٍ صغيرة لم تتجاوز عتبات الطفولة. خلّفت تلك الأحداث ندوبًا عميقة في نفس ميرا، فغرست فيها بذور الميل نحو الانحراف، خاصة مع دخولها مرحلة المراهقة.

وفي سن الثالثة عشرة، اختطف الموت والدها، تاركًا ميرا وأخاها المريض وحيدين دون أي سندٍ مادي أو عاطفي. ازدادت قسوة القدر

بوفاة أخيها بعد صراع مرير مع المرض، لتجد ميرا نفسها وحيدة في مواجهة العالم القاسي.

انطلقت ميرا في رحلة البحث عن عملٍ يقيها شرّ الجوع، تنقّلَت من وظيفة إلى أخرى، لا تستقرّ على حالٍ لأكثر من شهرين. سلوكها العدواني، الناتج عن تراكماتٍ من الألم والقهر، كان سببًا لطردها من كلّ عملٍ تلتحق به.

حتى بلغت ميرا سن السادسة عشرة، حينما عملت في مصنع للطباعة. هناك، التقت بمن سيغير مجرى حياتها للأبد، «إيان براندي». كان إيان يعاني من ظروفٍ قاسية لا تقلّ سوءًا عن ظروف ميرا، بل ربما كانت أسوأ.

ولد إيان عام ١٩٣٨ في مدينة لَاستو بشمال بريطانيا. اشتهر بسجله الإجرامي، حيث تورّط في عمليات سرقة للمحلات والنشل وسرقة القطارات باستخدام السلاح الأبيض. ناهيك عن تعاطفه مع الحركة النازية، على الرغم من كونه بريطانيًا.

سرعان ما نشأت بين ميرا وإيان علاقة حبّ غريبة، كان ارتباطهما شؤمًا ليس عليهما فقط، بل على العالم بأسره، لما ارتكباه من جرائمٍ مروّعة لاحقًا.

اتّخذ ميرا وإيان من المجتمع عدوًا لهما، حاملين مسؤولية ما آل إليه حالهما على عاتقه. ومع مرور الوقت، لم يكتفيا بإلقاء اللوم على المجتمع، بل شرعا في تنفيذ خطة انتقامٍ مُدبّرة ضدّه.

انطلقت شرارة الإجرام في نفوسهما كالنار فى الهشيم، تتغذى على

خسة الطبع وضعف النفوس. فبدأت جرائمهما خفية، تقتصر على سرقة المنازل والمحلات، أعمال لا تختلف عن تلك التي كان يمارسها «إيان» وحده. لكن سرعان ما انضمّت إليه شريكة، فاتسعت دائرة شرّهما لتطول المزيد من الضحايا.

مع مرور الوقت، تكشّفت عن حقيقتهما المُرعبة، فلم تعد سرقاتهما تهدف إلى الربح المادي، بل تحوّلت إلى جرائم بشعة تُروّي عطشهما للدماء. خطفوا الأبرياء، رجالاً ونساءً وأطفالاً، يُخضعوهم لتعذيب وحشي طوال الليل، قبل أن يُطلقوا سراحهم نهارًا كجثث هامدة.

لم يقف طغيانهما عند هذا الحد، بل امتدت أياديهما الآثمة لتطول جسد الأنثى في أبشع صور الاعتداء. لم يُسلم من وحشيتهما حتى الرجال، الذين ذاقوا أشدّ أنواع العذاب على أيدي هذين المجرمين.

ولكن، لم تُثمر جرائمهما عن ثراء مادي، بل كانت دوافعهم مُتشبّعة بمرض نفسي عميق. فكان يُمتّعهم سماع صرخات ضحاياهم، ورؤية الدماء تسيل من أجسادهم، وكأنّهم يُعاقبون العالم على ما لاقوه من ظلم في حياتهم.

مع ازدياد وحشيتهما، اتّجه «إيان» وشريكته «ميرا» نحو هاوية أعمق، فدخلا مرحلة «القتل». لم يعد يكفيهما سماع صراخ ضحاياهم ورؤية الدماء، بل أرادوا المزيد، أرادوا أن يشهدوا موت ضحاياهم بأعينهم، وأن يتلذذوا بمشاهدة أرواحهم تُفارق أجسادهم.

كانا بلا شك مجنونين بحاجة ماسة للعلاج، فوصفتهما الصحافة بـ«السفاحين الأكثر سادية». ومع كل جريمة قتل جديدة، كان شعورهما بالسعادة يزداد، وكأنّهم ينتصرون على العالم بأسره.

ومع ازدياد توحشهما، لم يكتفيا بالقتل، بل راودتهما فكرة شيطانية، فصورا ضحاياهم وهم يتعذبون ويستغيثون، ليُخلّدا ذكريات وحشيتهما ويُغذّوا مرضهما النفسي المُقيت.

في العام ألف وتسعمئة وستون، سقطت أولى ضحايا هذا الثنائي الشيطاني. كانت فتاة ربيعية تدعى «بولين راي» تبلغ من العمر ستة عشر عامًا، خطفها وحشا البشر من وسط ضجيج الحياة إلى مستنقعات مظلمة، حيث أزهقا زهرة شبابها البريئة بوحشية لا مثيل لها، ثم طمسا جسدها الطاهر في ذلك المكان القاتم

ولم يمضِ سوى شهر واحد، حتى عاودت وحوش الظلام فعلتها مرة أخرى، فاختطفا طفلًا صغيرًا يدعى «جون كليبارت» لم يتجاوز عمره ثلاثة عشر عامًا. ساقاه إلى نفس المستنقعات المشؤومة، حيث قاسى أشد أنواع العذاب، قبل أن يُزهق روحه الطاهرة ويلحق بـ«بولين» في عالم الآخرة.

واستمرت سلسلة الجرائم البشعة، ففي العام ألف وتسعمئة وواحد وستين، سقط ضحية أخرى هو الطفل «كيث بينت» الذي لم يتجاوز عمره اثني عشر عامًا. نفس المستنقعات، نفس الوحوش، نفس السيناريو المأساوي، ليُضاف اسم «كيث» إلى قائمة ضحايا لا ذنب لهم سوى أنهم عاشوا في زمن قاسٍ.

وبعد مرور ثلاثة أشهر فقط، اختطفت وحوش الظلام طفلة بريئة أخرى هي «ليزلي أندوان» التي لم تبلغ من العمر سوى عشرة أعوام. استدرجوها بحيل شيطانية سخيفة، مستغلين براءة الطفولة، ولقت ذات المصير

إنّ أساليب هؤلاء المجرمين كانت جهنمية بكل ما تحمله الكلمة من معنى. فكانوا يُصوّرون ضحاياهم المساكين، ليعرضوا عليهم صور عذابهم بعد عودتهم إلى بيوتهم، لكي يُجبرونهم على الاعتراف بجرائم لم يرتكبوها، مستمتعين بتعذيبهم النفسي والجسدي، دون أن يمسّهم شعور بالندم أو اللوم.

كانت ميرا أكثر سادية من حبيبها وسلوكها العدواني واضح بشده، وكانت تستمتع جدًا بتعذيب الضحايا وتحرض حبيبها على الاعتداء عليهم بشكل وحشي، مع تصوير التعذيب على أفلام فيديو

كانت «ميرا» تُجمّعُ شرائطَ الفيديو وتَخشُهَا في حقيبتها، وتَحملُها معها أينما ذهبت، خوفًا من ضياعِها أو سرقتِها. فقرّرت أن تُلازمَ تلك الشرائطَ في كلّ لحظةٍ من لحظاتِ حياتها.

وحدثَ في أحدِ الأيامِ أن زارت «ميرا» ابنة خالتها «موريه»، التي كانت أقربَ الناسِ إليها بل بمثابةِ أختِها. فما الذي كانَ يُفرّقُ بينهما منذ البداية؟ كانَ السببُ هو زواجُ «موريه» من شابٍ يُدعى «ديفيد» يَعْمَلُ في مدينةٍ بعيدةٍ. لكن قرّرا قضاءَ إجازةٍ وزيارةِ «ميرا» وحبيبها.

وفي ذلكَ اليومِ، خطرت على بالِ بطلينا المجنونينِ فكرةٌ غريبةٌ، وهي أن يضمّوا «موريه» و«ديفيد» إلى عصابتِهم، ويَقْتَلانِ الأطفالَ معًا!

لم يتردد أيان لحظة في تنفيذ خطته الدنيئة، ففي اليوم التالي تمامًا، دعا شابًا يدعى إدوارد إفانس إلى منزله، مدعيًا إقامة حفلة

ماجنة تعج بالعلاقات المحرّمة. لم يكن أيان غريبًا على إدوارد، فقد سبق و شاهده يتردد على حانات المثليين، مدركًا ميوله لتجربة أي مغامرة مشبوهة.

وقع إدوارد في فخ أيان، ليحضر «الحفلة» التي لم يضم سوى الضحية وأبطالنا الأربعة، حيث ارتكب أيان فعلته الشنعاء، اعتداءً على إدوارد دون رحمة أمام أعين الحاضرين، ليُنهي جريمته خنقًا حتى الموت.

لم يكتفِ أيان بارتكاب جريمته النكراء، بل جرّ ديفيد ومونيه إلى مستنقع جريمته، مُجبرًا ديفيد على تنظيف مسرح الجريمة والتخلص من الجثة.

في صباح اليوم التالي، الموافق السابع من أكتوبر عام ١٩٦٥، لم يستطع ديفيد تحمل عبء ذنبه، فخرج من المنزل فور استيقاظه واتصل بالشرطة من هاتف عمومي، مفصحًا عن كل ما حدث.

لم تمضِ ساعة حتى وصلت الشرطة إلى مسرح الجريمة، لتجد جثة إدوارد في المكان الذي اعترف به ديفيد، فقبضوا على جميع المتواجدين في المنزل، أيان وميرا، وديفيد وزوجته.

حاول أيان إنكار جريمته البشعة، مدعيًا إقامة حفلة صاخبة سكر فيها إدوارد، فحدث شجار بينهما أدى إلى وفاته دون قصد منه. حاول أيان بذلك التخفيف من جريمته، مكتفيًا بتهمة القتل غير العمد، لتكون عقوبتها أخف بكثير من القتل العمد.

كاد أن ينجح أيان في خداع الشرطة، لولا العثور على تسجيلات

صوتية خلال تفتيش المنزل، كشفت تفاصيل الجريمة المروعة، ومخطط أيان الخبيث، ومشاركة ديفيد ومونيه في الجريمة.

كانت شرائطُ التعذيب تُسطرُ فصولَ مأساةٍ لم تَخل من وحشيةٍ لا مثيل لها، حكاياتٌ تُدمي القلب وتُبكي العين، تشلّ الأيادي عن الكتابة وتُعيق الألسنة عن النطق. خمسة شرائطِ مصورة، كانت بمثابةِ شواهدِ قاتمةٍ على جرائمَ لا تُغتَفَر، تُظهرُ تعذيبَ خمسةِ أطفالٍ مفقودين، كانَ صراخهم يتردد بين ثنايا كلّ ثانيةٍ من تلك المشاهدِ المُقززة.

"ميرا» و»إيان» حبيبانِ غارقانِ في وحلّ الخطيئة، لم يَرقُص قلباهما على أنغامِ الحبّ، بل على صرخاتِ أطفالٍ أبرياء، لم تَرقُف دموعُهم على خدودِهم، بل على جراحِهم المُنكَسِرَة.

شاهدت «ميرا» شرائطَ التعذيب بِبَرودِ مُقفِرٍ، بل شعرت بِفَرَحِ غامرٍ ونشوةٍ مُقزِزةٍ، وكأنّها تُشاهدُ فيلمًا سينمائيًا مُمتعًا، لم تُحرّكها مشاعرُ الندمِ أو التّأنيب، بل تمادت في غيّها وتَعَتّت.

اعترفت بكلّ جرائمها بِثباتٍ لا يَنكَسِر، وكأنّها تُفاخِرُ بِأفعالِها الشنيعة، لم تُزهِبها قسوةُ القانون، بل واجهته بِعَنَادٍ وتحدٍّ. انتهى الفصلُ الأولُ من تلك المأساةِ بِمعاقبةِ الحبيبينِ بالسجنِ مدى الحياة، حُكِمَ على «أيان» بثلاثةِ أحكامٍ مُتزامنةٍ، بينما اكتفت المحكمةُ بِحكمٍ واحدٍ على «ميرا»، لتصبحَ أوّلَ امرأةٍ في بريطانيا تُنزَلُ عليها تلك العقوبةُ القاسية.

كشفت «ميرا» عن مكانِ جثثِ ثلاثةٍ من الأطفالِ الخمسة، لِتعثرَ الشرطةُ على جثامينهم، بينما لازالَ مصيرُ الطفلينِ الآخرينِ مجهولًا

حتى يومنا هذا، ضحايا لِجشعٍ لا ينضب ونسيانٍ مُقْصِدٍ. خرجت «ميرا» من السجنِ تحتَ حراسةٍ مشددةٍ إلى المكانِ الذي زعمت دفنَ الطفلينِ فيه، لكنّ ذاكرتها خانَتها، فلم تَتَذَكر أينَ دفنَتهما بِالتحديد.

لم تَستَسلِم «ميرا» لحكمها، بل قدّمت العديدَ من الطعونِ ضدّه، ووصفتها الصحافةُ بِـ»المرأةِ الأكثرِ شرًّا في بريطانيا». لكنّ قضاءَها ظلّ صارمًا، لِتَمُوتَ في السجنِ عامَ ٢٠٠٢ عن عمرٍ يناهزُ ٦٠ عامًا وهي تعتنق ديانة الويليما

أما «إيان» فكان مصيرهُ مُغايرًا، حيثُ شُخِّصَ بِمرضٍ نفسيٍّ، لِ يُنزَلَ بهِ عقوبةُ الحبسِ في المُصحةِ النفسيةِ التابعةِ للسجنِ نفسهِ الذي سجنت فيه «ميرا".

عاشَ «إيان» بقيةَ حياته مُنهكًا بِوَزنِ جرائمهِ، يَتَمنّى الموتَ والخلاصَ من تلك الحياةِ المُظلمة، لِيموتَ عامَ ٢٠٢٤ في المصحةِ.

***

«تحية طيبة وبعد،

أتوجه إليك بهذا البريد الإلكتروني لأعرب عن خالص شكري وتقديري لثقتك الغالية بشركتنا، وإرسال عينة لعبة رائعة من إبداعك. لقد نالت فكرة اللعبة وقصتها إعجابنا الشديد، ونرى فيها إمكانيات هائلة للنجاح والتألق في عالم الألعاب.

بعد عرض اللعبة على فريق العلاقات العامة لدينا، أذهلنا حقاً معرفة أن هذه العينة الأولية قد تم تطويرها من قبل مطور واحد فقط. يدل ذلك على مهاراتك الاستثنائية وإبداعك الفريد، ونثق تمامًا بقدرتك على إنجاز أشياء عظيمة.

إننا نؤمن إيمانًا راسخًا بامكانيات هذه اللعبة، ونود أن نعرض عليك دعمها بشكل كامل. نمتلك فريقًا كبيرًا من المطورين الموهوبين ومعالجي السيناريو المهرة، ونحن على استعداد لتقديم جميع الموارد اللازمة لتحويل هذه اللعبة إلى منتج استثنائي يذهل اللاعبين حول العالم.

نودّ مناقشة تفاصيل اللعبة معك بشكل أوسع، ونرى أفضل السبل لتعاوننا معًا لتحقيق النجاح. يرجى التواصل معنا في أقرب وقت ممكن لترتيب موعد لقاء.

مرة أخرى، نشكرك جزيل الشكر على ثقتك وإبداعك. نتطلع بفارغ الصبر للعمل معك وتحويل هذه اللعبة إلى حقيقة ملموسة.

مع خالص التقدير

تيد برايس

المدير التنفيذي لشركة إنسومنياك جيمز»

لم أصدق عينيّ عندما قرأت هذا البريد الإلكتروني من شركة (إنسومنياك). لقد ارتجفت يداي وأنا أقرأ الكلمات التي تؤكّدُ على تمويلهم لمشروعي. شعورٌ لا يوصفُ غمرني، مزيجٌ من الفرح والسعادة والامتنان.

تذكّرتُ كلّ تلك الساعات الطويلة التي قضيتها أعملُ على اللعبة بمفردي، كلّ تلك الليالي التي سهرتها أُصممُ الشخصيات وأُبرمجُ المراحل وأُحيكُ القصة. كلّ ذلك الجهد والتعب أخيرًا قد أثمر. لم أكن أتوقّعُ أن تُلاحظَ شركةٌ كبيرةٌ مثلها لعبةً من تطويرِ مبتدئٍ مثلي. لقد شعرتُ بثقةٍ هائلةٍ بنفسي وبقدراتي، وثقةٍ أكبرَ بمشروعي.

لم أذكر أنني أطور لعبة بشكل منفرد من قبل أليس كذلك؟ بالطبع لم أفعل، لأنني لم أعتقد أنني سأعود لهذا المشروع مرة أخرى. الحكاية بدأت منذ خمسة أعوام أو ربما ستة، حين خطر ببالي فكرة أن أصمم لعبة أنا الآخر، فما الذي يبرع فيه مصممي الألعاب وأنا عاجز عنه؟ لقد شعرت بما أنني بالفعل أعمل في نقد الألعاب، فهذا سيساعد على انتاج لعبة مثالية، لا يستطيع النقاد الخروج منها بأي عيب

فشرعت في دراسة تطوير الألعاب عن طريق شبكة الإنترنت، لقد التحقت بجامعة ستانفورد التي مقرها كاليفورنيا في حين أنني لم أبارح منزلي، تخرجت من الكلية وكان مشروع تخرجي عن ألعاب الهاتف بتقدير امتياز، لدرجة أن شركة gameloft عرضت علي العمل معهم على تطوير ألعاب الهاتف، لكنني رفضت، لأن هذا لم ولن

يكون شغفي من البداية، بل أريد العمل على ألعاب أكبر وأكثر تعقيدًا

وبالفعل بدأت في تطوير أول لعبة في حياتي، بعد أن كتبت السيناريو والقصة الخاصة بها.. مستلهمًا قصص أشهر الألعاب التي كانت من تطوير شخص واحد مستقل، وعلى رأسهم أسطورة الألعاب Minecraft التي تعتبر واحدة من أشهر الألعاب في التاريخ، والأكثر مشاهدة على منصات twitch

ولكن الأمر كان أصعب مما تصورت، قضيت أول سنتين في تطوير اللعبة ولم أنته من المرحلة التمهيدية بعد والتي يطلق عليها العامة اسم demo، يبدو أن طموحاتي الواسعة كانت أكبر من امكانياتي المحدودة. لهذا شرع الشغف في داخلي يخفت مع مرور الوقت، وبعد أن كنت أقضي يوميًا خمس ساعات في تطوير اللعبة، راح هذا الرقم يتقهقر حتى بلغ ساعة واحدة باليوم، ثم بالأسبوع، حتى توقفت عن الأمر تمامًا ونسيته ولغيت المشروع برمته من ذهني

ولكن لسبب أجهله، راودني شعور عجيب بأن أتابع تطوير لعبتي، ليس هنالك سبب واضح لتلك الرغبة قد تحثني على تذكر مشروعي الذي دفنته، لم يستطع أحد زملائي تطوير لعبة فشعرت بالغيرة منه، أو أعلنت إحدى شركات الألعاب عن مسابقة فرأيت أن تلك فرصة لا تعوض.. بل طرأت الفكرة لعقلي دون سابق إنذار، تحديدًا مع بداية لعبي لتلك اللعبة، أنا لا أريد إثبات إنني أستطيع تطوير لعبة أفضل منها، أو إنها بتلك الروعة التي تحثني على مواكبتها

على النقيض تمامًا، فاللعبة كما ذكرت سالفًا، أكثر من متوسطة، من نوعية تلك الألعاب التي لا تعلق في الذاكرة، فأنا واثق إن بمجرد

انتهائي من اللعبة، سأنساها تمامًا ولن تترك بروحي أي أثر.. ولكن لسبب مجهول، عادت لي شهوة تطوير الألعاب من جديد بمجرد بدايتي فيها

وبالفعل رحت أطور لعبتي، والغريب أنني كنت سريع بطريقة غير مفهومة، كنت أنجز في ساعات قلائل، عمل قد يستغرق مني أسبوعًا في الماضي.. وبالفعل في أقل من أسبوعين، أنهيت المرحلة التمهيدية في لعبتي التي أهملتها لأشهر، وقررت إرسالها لعدة شركات إنتاج ألعاب كبرى كثيرًا ما تواصلوا معي لنقد ألعابهم. وها هي شركة insomniac ترد بهذا البريد الإلكتروني المذهل خلال أسبوع واحد من إرسالي اللعبة

لا أستبعد أن يكونوا ردوا على بريدي الإلكتروني بهذه السرعة لأنني ناقد مشهور، وإن خطابهم قد يحوي على بعض المبالغة، ولكن الأمر بالنسبة لي فرصة، ويجب أن أستغلها، فأنا لا أسعى للشهرة أو المال، بل أريد أن يصل جهدي للناس فحسب وأظفر باستحسانهم على المنتج النهائي

يجب أن أشكر أفراد شركة (نايفي) شخص تلو الآخر -رغم أنني لم أعثر على أي بيانات عنهم- لأن لعبتهم هي من أعادت لي -بطريقة ما- الشغف لتحقيق حلمي المندثر

وفي خضم فرحتي تلك، سمعت جرس الباب وهو يرن، هل يعقل أن يكون هذا مندوب عن شركة ألعاب أخرى، قررت هي الأخرى تبني تطوير لعبتي؟ يبدو أن الغرور قد تملكني حتى بدأت أظن أن شركات الألعاب ستتنازع للظفر بلعبتي، يجب أن أعود لأرض الواقع، ولا

أسمح لذهني بالتشويش

ذهبت لفتح الباب وأنا مستند على عكازي، لابد أنه أحد أفراد شركات الشحن، وقد أتاني بلعبة جديدة لأطورها. يجب أن أبدأ في ترتيب وقتي من الآن فصاعدًا، فعلى نقد الألعاب أن ينتظر قليلًا، حتى يتحقق حلمي المنشود وأنزل بلعبتي الخاصة في الأسواق

فتحت الباب لأفاجئ برجل يرتدي حلة أنيقة، لا تتلائم مع هيئة وملابس الشباب من شركات الشحن، سألته عن هويته فأجاب أنه هنا بخصوص لعبة شركة (نايفي) ويريد محاورتي لخمس دقائق!

هل هو يعمل مع شركة (نايفي)؟ إنها المرة الأولى التي يأتي فيها لزيارتي فرد تابع لشركة ألعاب ما، هل يريد استرجاع اللعبة مني يا ترى لأن بها خلل تقني، أم هو يريد استبدالها بنسخة محدثة أكثر، مهما كان السبب فهو لا يستدعي حضور مندوبًا من الشركة بشكل شخصي إلى منزلي، فمن الممكن أن يحادثوني عبر البريد الإلكتروني، ويكون التعامل عن طريق شركات الشحن.. هنالك أمر غريب يحوم حول هذا الشخص

سمحت له بالدلوف إلى صالة منزلي وأنا مرتاب بعض الشيء، وبعد أن جلس على الأريكة وقدمت له واجب الضيافة، كدت أسأله عن سبب زيارته، لكنه بادر الحديث قائلًا:

-اعذرني على تطفلي في السؤال، ولكن هل تلك الإصابة في ساقك حديثة العهد، أم هي أثر حادث قديم

تعجبت من هذا السؤال الذي بدا شخصيًا أكثر من اللازم، فلا أحد

يسألني بهذا الوضوح إلا أصدقائي الأكثر قربًا مني. كما إن هناك شيء مميز بهذا الرجل، صوته، لقد سمعته من قبل، لكنني لا أتذكر متى أو أين.. ولكنني أجبته على أي حال:

-لا هذا ولا ذاك، إنه بسبب خلل في الدم أدى إلى خشونة في أعصاب ركبتي، يمكنك القول إنني ولدت بهذا المرض ولم يظهر أعراضه إلا من بضع سنوات

ثم سأل في عجلة، دون أن يمنحني فرصة لإنهاء حديثي:

-هل تدهورت حالة ساقك في الأسابيع الماضية؟

-نعم.. هذا صحيح.. كيف عرفت شيئًا مثل هذا؟

إن زيارتي الأخيرة لطبيب العلاج الطبيعي لم تكن حاملة لأي نوع من الأخبار السعيدة، فمع الأسف حالة ساقي راحت تسوء، رغم مواظبتي الدائمة على حضور الجلسات وتناول الأدوية في مواعيدها، لهذا قرر الطبيب زيادة جرعة الأدوية وإلا سيضطر حينها لتدخل جراحي، أي عملية في حالتي تلك لا تعني إلا شيئًا واحدًا وهو البتر

لقد أصابني حزن عظيم عند سماع تلك الكلمات التي سقطت على مسمعي مثل الصاقعة، فقررت حينها صب كل حزني على لعبتي التي أقوم بتطويرها، كمحاولة مني لتحويل طاقة البؤس تلك إلى سعادة غامرة، وبالفعل نجحت في هذا.. ولكن كيف عرف الغريب هذا الأمر؟ فأنا لم أنبت بحرف لأي من أصدقائي أو أقاربي!

-تبًا.. لقد بدأت اللعنة بالفعل! هل حدث لك أي شيء غير منطقي

في الفترة الأخيرة؟

-مهلاً لحظة.. من أنت؟ ولماذا تسأل عن مثل تلك الأمور

كان الرجل متوترًا نوعًا ما، لكنه أخذ نفسًا عميقًا، كما لو إنه يحاول استعادة تركيزه، ثم قال بذات الصوت الذي أثق أنه قد تردد بين كنفات عقلي من قبل:

-معذرة.. نسيت أداب التعارف.. في البداية يمكنك أن تدعوني (فكري)، هذا ليس اسمي الحقيقي كما هو واضح، فأنا أشغل منصبًا حساسًا في الدولة، ولا يمكنني الجهر باسمي الحقيقي.. هنالك جماعة دينية تنشر أفكارها السامة بين العامة، ونحن نعلم إنه بلغك أحد رسائلها المشفرة

لم أصدق حرفًا واحدًا مما يقوله، فلو كان شخصًا ذا مكانة رفيعة كما يزعم، لما حضر لمقابلتي بنفسه، لماذا لم يرسل مندوبًا عنه، أو حتى يستدعيني بأمر من النيابة لزيارة مكتبه، لكن جملته الأخيرة استوقفتني فقلت:

-هل تقصد ديانة ال(ثيليما)؟

-كيف تعرف عنها؟

إنها العامل المشترك بين الثلاثة فصول الأخيرة في اللعبة، لقد بحثت عنها كما أفعل دومًا، لأجد أنها ذات الديانة التي دعى إليها ذلك الساحر الإنجليزي (أليستر كراولي) في كتاب القانون، والتي تدعو إلى عبادة الإله حورس من المصرية القديمة، ويزعم هذا الساحر إنه قد استلهم كتابة هذا الكتاب من قبل (إيواس) أحد الآلهة

المصرية القديمة الغير مشهورة، الذي كان يوسوس في أذنه ليعطيه وحي الكتابة

فأجبت على المدعو (فكري) هذا بحدة:

-أنت الآن بمزلي، وأنا من أطرح الأسئلة هنا، وإلا اعتبر مقابلتنا قد انتهت.. هيا أخبرني بما تريده دون ممطالة

مسح (فكري) على وجهه بكفه وهو يقول:

-يبدو أننا تأخرنا أكثر من اللازم، لكن الأمر كله خطؤك منذ البداية، أنت من شرعت في لعب اللعبة، رغم أننا حاولنا تحذيرك أكثر من مرة، مرة عن طريق الاتصال الهاتفي، لكنك لم تمنحني فرصة للمتابعة، فلم أجد مفر من زيارتك بشكل شخصي

الآن علمت لماذا يبدو صوته مألوفًا، إنه صاحب الاتصال الهاتفي الذي أغلقت في وجهه الخط دون استكمال الحديث، كما أنه هو من أرسل لي رسالة التهديد تلك.. ولكن لماذا كل هذا، وما علاقة اللعبة باللعنة التي يتحدث عنها

-هل يمكنك أن تخبرني كم حرفًا أنهيت في اللعبة؟

-لقد قلت أنني أنا من يطرح الأسئلة هنا؟ وكيف عرفت أن فصول اللعبة على هيئة أحرف؟

-أعلم.. أعلم.. أجبني على هذا السؤال فحسب، وسأخبرك بكل ما تريد

-من المفترض أنني على مشارف الحرف العاشر.. أي حرف النون

تنهد الرجل بارتياح كما لو أن جبلًا شاهقًا قد تزحزح عن صدره وهو يقول:

-لقد انغمست بقدميك في اللعنة بالفعل، ولكن لازال أمامنا فرصة لتصحيح الأمور، فلو سلمتني اللعبة الآن...

قاطعته وأنا أقول في حدة:

-مهلًا.. مهلًا.. من قال إنني سأسلم اللعبة لك.. هل تظنني حقًا خدعت بحيلة أنك تعمل لدى شبكة نايفي تلك؟ فأنت حتى الآن لم تخرج لي بطاقي تعريف هويتك، ولا أعتقدك تملك واحدة من الأساس

-اسمع يا فتى.. الأمر ليس مزحة.. فبمجرد أنك فتحت تلك اللعبة وأنت قد سلمت روحك للشيطان بالفعل.. لهذا عليك تسليمي تلك اللعبة والآن وإلا..

-وإلا ماذا؟ هذا ما أريد معرفته

التزمت الصمت للحظات، تاركًا له المجال كي يكمل تهديده، لكنه لم يتابع، هنا فحسب، تأكدت من كافة شكوكي، فغمغمت في ثقة:

-هذا ما توقعته.. لقد ذكرت منذ لحظات أنك تملك مكانة رفيعة في المجتمع، رغم إنك لم تظهر لي أي دليل على صدق تلك العبارة، لكنني أصدقك.. أو دعنا نقول أنني واثق إنك لا تعمل وحيدًا، يبدو أن لديك بعض الأصدقاء في وسعهم فعل الكثير.. رغم إن في مقدرتك سرقة اللعبة من داري دون حتى أن أعلم ما أصابني، أو اقتحام المنزل بقوة خاصة لفعل الأمر، لكنك آثرت زيارتي بشكل شخصي للنقاش معي،

هذا يعني أنه يجب أن أعطيك اللعبة برضاي التام، وإلا لن يتم إبطال اللعنة التي ذكرتها عدة مرات

لمحت نظرات التعجب في عيني (فكري) فعلمت حينها أنني محق في كل كلمة أقولها، مما زادني ثقة للمتابعة، متقمصًا شخصية شيرلوك هولمز التي جسدتها الألعاب والأفلام مئات المرات، وتم ذكرها بطريقة غير مباشرة في قصة حرف الفاء في اللعبة:

-وبما إنه تم اختيارك تحديدًا لهذه المهمة، فهذا يعني أنك شيء من الاثنين، إما خبيرًا في التفاوض، أو بحوذتك ميزانية ضخمة لشراء اللعبة مني.. وأعتقد أنك جمعت عني الكثير من المعلومات قبل أن تطرق باب داري، لهذا فأنت حتمًا تعلم أنني لا أسعى للمال ولم يكن مطمعًا بالنسبة لي يومًا.. لهذا لم يتبق لديك حلًا سوى إقناعي، وها أنا أترك المجال لك، ولكن إذا شعرت إنك عدت للكذب أو طمس الحقائق عني، سأعلن انتهاء هذا اللقاء، وإذا لم تنصاع لأمري بالمغادرة، سأتصل بالشرطة دون تردد، وحينها سنرى إن كان لديك معارف ذوي مناصب عليا كما تدعي أم إن حتى تلك كانت كذبة

بعد لحظات من الصمت، كان الرجل يحاول استيعاب كلماتي فيها، شرع في التصفيق، لم يكن تصفيقًا ساخرًا، بل كان جادًا وهو يرد:

-لقد أثرت إعجابي حقًا يا فتى.. كيف تمكنت من استنتاج كل هذا وحدك؟

-لقد قرأت ولعبت وشاهدت الكثير، فلم يعد هناك يفوق خيالي أو توقعاتي.. والآن دعنا من هذا الأمر.. هلا أخبرتني لماذا تريد تلك اللعبة تحديدًا، وعن أي لعنة تتحدث؟

تنهد الرجل بحسرة كما لو إنه مقبل على كشف سراديب من الأسرار التي لم يرد أبدًا فتحها، ثم قال:

-يبدو أنه لا مفر من قول الحقيقة.. في البداية.. هل تعلم أي شيء عن الشياطين العشرين؟

-نعم أعرف.. لقد ذكرت اللعبة كل شيء تقريبًا عنهم لكنها لم تسلط الضوء على خطة الشيطان الواحد والعشرين.. ولكن ما علاقة هذا بموضوعنا؟

-إنه أصل الحكاية، وخاصة خطة الشيطان الواحد والعشرين

ثم بدأ (فكري) يسترسل في الحديث عن تلك الخطة الجهنمية، والتي تتمحور حول تضحية الشياطين بأرواحهم، ليس العشرين أجمعين بل أربعة عشر فردًا منهم فحسب، ليكونوا سبعة أغراض يطلق عليها اسم (عتاد الخطاه). قوة تلك العتاد مجهولة حتى الآن ولكنها من صنع الشياطين العشرين، بل ضحى كل شيطانين بحياتهما لأجل صنع عتد واحد، لهذا لا يستبعد أن يكون لتلك العتاد قوة تدميرية على أقل تقدير.

لكنها -وكأي غرض ملعون- تحتاج إلى أضحيات بشرية، وأي شخص يستخدم تلك العتاد، إما أن تنتهي قصته بالموت، أو بموت من حوله من أبرياء. لهذا تكونت جماعة يسمون أنفسهم ب(صائدي الغيليما) من عشرات السنين قاربت على القرن، هدفهم الأول والأخير هو القضاء على انتشار تلك الديانة التي في الأصل هي ديانة للشيطان الواحد والعشرين، وتجميع عتاد الخطاه قبل أن

تسقط في يد عابدي الفيليما

صائدي الفيليما لا يعرفون أي شيء عن تلك العتاد، غير أن عددها سبعة، لا يعرفون شكلها أو مكانها أو أهميتها لدى الشيطان الواحد والعشرين ومن تبقى من أخوته الخالدين الذين لازالوا متواجدين على الأرض حتى يومنا هذا

وبطريقة ما لها علاقة بحريق مدرسة جمال عبدالناصر للطلبة المتميزين، تمكنوا من الحصول على معلومات تؤهلهم لمعرفة أماكن تلك العتاد عندما يتم تنشيطها، وهم واثقين ثقة عمياء أن تلك اللعبة التي بحوذتي هي إحدى عتاد الخطاة، ويتم تنشيط هذا العتد حين أقوم بتشغيلها ولعب مراحلها

هذا كل ما يعرفه (فكري)، كما يعرف أنني إن لم أسلمه اللعبة الآن سيأتي لزيارتي عابدي الفيليما في القريب العاجل، لأخذها مني بعد أن تحيلني اللعبة إلى جثة هامدة بطريقة ما.. لا فكري ولا عابدي الفيليما يمكنهم أخذ اللعبة مني بالقوة، لأن على حسب قوله، فقد بدأت في اللعبة بالفعل، وشرعت لعنتها في الاتصال بروحي. وإذا حاول أحدهم سرقتها مني، فستتحول حياته إلى جحيم حتى لو كان أحد الشياطين العشرين ذاتهم لتجبرهم على إعادة اللعبة لي بنهاية المطاف، أو ستعود اللعبة لي بطريقة سحرية ما، بعد أن تخلف ورائها الكثير من الدماء والضحايا

هذا الهراء ما هو إلا قصة خيالية بالنسبة لي، لا مجال له من الصحة. لا أنكر إنني شعرت إن اللعبة بها شيء غريب

فهي واحدة من أندر الألعاب التي تحتوي على ثلاث قصص

مختلفة تتحدث عن اغتصاب الأطفال. فهذا الأمر شائك للغاية ولا يجرؤ أعتى الكُتاب مكانة اجتماعية وتحقيقًا للأرباح في أعمالهم الأدبية، ذكر الأمر بتلك الشاكلة الجهورية، فما بالك الآن وقد تم احالته لعمل مرئي في الألعاب من صوت وصورة وليس مجرد حبر على ورق. لا أذكر سوى لعبة heavy rain التي تحدثت عن هذا الأمر وعلى استحياء شديد دون خوض أي تفاصيل

ناهيك عن الغموض المحيط بأمر مطورين اللعبة، وكذلك دقة تفاصيل القضايا التي يتحدثون عنها في اللعبة، خاصة قضية كين وباربي، حيث ذكرت اللعبة تفاصيل عن حياة كارلا لم تحدث بعد، وحسب التاريخ المذكور في اللعبة، فإنها من المفترض أن تحدث عقب أسبوع واحد، لهذا توقفت عن اللعب لمدة أسبوع، كببت فيه كافة تركيزي على تطوير لعبتي الخاصة ومتابعة الأخبار العالمية عن قضية كين وباربي، وبالفعل حدث ما توقعته اللعبة بالنص. وذات الموقف تكرر مع قضية ميرا هيدلي صاحبة لقب أكثر امرأة مكروهة في بريطانيا

لقد أضافت اللعبة من قبل تفاصيل حديثة جدًا جعلتني أشك في تاريخ انتاج اللعبة، لكن هذه المرة ذكرت أحداث اضطررت لانتظارها حتى تحدث في أرض الواقع. هل تتوقع تلك اللعبة المستقبل أم هي ترسم المستقبل ذاته لحياة هؤلاء القتلة؟

كل تلك الأمور تجعلني أنفر من اللعبة وألقي بها في أقرب حاوية قمامة، ولكن ليس لدرجة تصديق أن أسطورة الشياطين العشرين حقيقية، وإن لعبة إلكترونية بانتاج ضعيف ستقتلني؟

ما خطب هذا الشيطان الذي عوضًا أن يصنع أسلحة بيلوجية أو نووية قادرة على محو مدن في ثوان من على الخريطة، يهم بقتل اثنين من أشقائه لصنع لعبة فيديو؟

ناهيك طبعًا عن سؤال.. لماذا أنا؟ لماذا أتتني تلك اللعبة عوضًا عن غيري؟ كيف سأعود بالنفع على الشيطان الواحد والعشرين وأنا شخص عاجز، لا أستطيع السير خطوتين دون عكازي، والشيء الوحيد الذي أجيده في تلك الحياة هو اللعب! أنا لست ذو قيمة اجتماعية أو سياسية أو حتى علمية، كي يظفر أي شخص بمصلحة ما بسببي

إن ذهني مشتت للغاية، يبدو إن البريد الالكتروني الذي وصلني في فجر هذا اليوم، قد هشم منابع التركيز في عقلي، لا أستطيع أن آخذ قرارًا الآن، لهذا طلبت من (فكري) أن يمهلني بعض الوقت للتفكير في الأمر.

لماذا أنا متمسك باللعبة لتلك الدرجة؟ أنا نفسي لا أعرف

لا.. أنا لست ملعونًا كما يدعي هذا المهرطق، فأنا واثق من إن ارادتي الشخصية أقوى من أي لعنة شيطانية، فعلى الرغم من أنني عاجز عن الحركة بشكل صحيح، وإنني لا أجيد حرفة أو ياضة واحدة في تلك الحياة، لكن هذا لم يقلل من ثقتي الشخصية ولو مرة، على النقيض تمامًا، بل أخذت من كافة تلك المعرقلات، تحديًا لأتخطاه

لكن يظل لدي شعور داخلي، إن لتلك اللعبة سبب غير مباشر في نجاحي المهني الي حققت منه أول خطوة اليوم.

وافق (فكري) على طلبي بإمهالي بعض الوقت للتفكير في الأمر، لم يكن راضيًا بل تقبل الأمر على مضدد مرير. قدم لي رقمه الحقيقي وطلب مني الاتصال به في أي وقت، خاصة لو أتى لزيارتي أشخاص يسألون عن اللعبة، أو شرعت حالتي الصحية في التدهور، أو حدث أي شيء غير مألوف على أي حال

في السابق حين كنت أتحدث عن قراري باستكمال اللعبة أم لا، كنت أبالغ بعض الشيء وأقول هل يمكن أن يكون لقرار بسيط مثل هذا، تأثير في المستقبل؟ ولكن بعد ما علمته الآن، وإن تلك اللعبة هي أحد عتاد الخطاه، هل سأواصل اللعب؟

لا أعتقد إن هذا هو السؤال المناسب، الذي من المفترض طرحه خلال تلك الأثناء. بل يجب أن أسأل هل أصدق (فكري) وأساطيره؟ أم أتابع لعبتي كأن شيء لم يكن؟ أنها معضلة أسوأ من معضلات الحبكات الدرامية ذاتها.. ولكن يجب أن أختار.

إذا قررت أن توقف اللعبة اذهب لصفحة رقم (١٣٢)

إذا قررت أن تواصل اللعب اذهب لصفحة رقم (١٣٤)

ما سر الأحرف تلك؟ لماذا اللعبة مقسمة إلى أحرف وليست فصول عادية؟ ولماذا قضايا اللعبة بتلك العشوائية، فهي عبارة عن خليط رديئ بين قضايا القتل والألغاز العالمية والشخصيات المثيرة للجدل، تلك اللعبة لا تناقش قضية واحدة، أو حتى هناك حكمة من ورائها، أو قصة درامية أتعلق بها. بل هي محض قصص لا تمت بصلة مع أقرانها، كما لو إن مؤلف اللعبة تكاسل عن وضع خيط درامي، فقرر دس أي قضية يتعثر بها لإطالة فترة اللعب وليس أكثر. أراهن إن مؤلف اللعبة قد أنهى فكرتها أثناء ساعتين من التركيز وآخرتين من البحث حول القضايا على شبكة الإنترنت. لم يرهق نفسه ببناء ولو شخصية واحدة.

ما فائدة تلك الديباجة وإلى ماذا ترمي؟ أعني أنها لعبة بها ثغرات مثلها مثل أي لعبة من صنع يد بشرية خرقاء. لا أعتقد أن شيطانًا مهيبًا سيستخدم تلك اللعبة السخيفة ليضرني أو غيري بطريقة ما

لو قلت أن الشيطان ذاته سيتواضع ويصنع لعبة فيديو، فحتمًا ستكون تلك اللعبة مهيبة، يعجز لسان البشر عن نطق اسمها، ولا تستطيع لغات العالم أجمع وصفها بكلمات. سيكون أقل وصف يمكن نعته لتلك اللعبة، أنها بوابة للجحيم ذاته، أو إن عذاب القبر ما هو إلا رفاهية مقارنة بتلك الأهوال، أو أن بمقدور اللاعبين سماع صراخ المعذبين والشعور بسكرات الموت. ستكون حينها الأهوال التي عاصرها دانتي في الكوميديا الإلهية ما هي إلا سخافة، كما أن ألعاب الدارك ويب الأكثر خطوره في العالم ما هي إلا سذاجة. سيندر أي شيء في العالم تحت بند التفاهة أمام لعبة الشيطان الواحد والعشرين ذاته.. ولكنني مع الأسف لا أرى أيًا من هذا

فكما ذكرت سالفًا، اللعبة أحقر من أن تحمل كافة تلك الشائعات على عاتقها.

ولو فرضنا بطريقة ما إن (فكري) هذا محق، ما الذي يضمن لي أنه حقًا صائد ثيليما، وليس أحد عابديها، وأنني سأسلم أتباع الشيطان الواحد والعشرين الأداة التي قد تدمر العالم -أو أيًا يكن ما تستطيع تلك اللعبة فعله- على طبق من ذهب

ناهيك أنه ليس لدي أي استعداد للتخلي عن جالبة الحظ لنجاحي في تطوير الألعاب، لن أعود لنقطة الصفر بعد أن قطعت نصف الطريق بالفعل ولو اعترض دربي الشياطين العشرين أجمع

إنه نفس المبدأ الذي بني عليه لعبة THE LAST OF US هل يضحي البطل بالفتاة الصغيرة التي يعتبرها مثل ابنته من أجل إنقاذ الجنس البشري؟ أم ينقذها هي وليذهب الجنس البشري للجحيم؟

من الواضح أنني سأفعل مثله وأبدي مصلحتي الشخصية فوق الهراء الذي تلفظ به (فكري). أنا واثق إن إرادتي ستساعدني على تخطي أي شيء.. لهذا سأكمل اللعبة

ن

ندم

لا وقت للندم، فأنت بالفعل فريسة نانسي بروفي

عندما تغوص في متاهات روايات أغاثا كريستي، لا يسعك إلا أن تنحني إجلالاً أمام عبقرية تلك المرأة. كيف لشخص واحد أن يمتلك تلك المقدرة الهائلة على الإبداع، نسجًا لخيوط الجريمة والتشويق بأكثر من ثمانين رواية؟ جرائم غامضة، حبكات معقدة، شخصيات محبوكة بدقة، كل ذلك من نسج خيالها الخصب. لحسن الحظ، سخّرت كريستي ذكاءها الفذ لخدمة الأدب، لا لارتكاب الجرائم. وإلا، لكانت أذكى وأخطر قاتلة عرفها التاريخ.

ولكن ماذا لو أخبرتك بوجود كاتبة أخرى، تماثل كريستي عبقرية، لم تكتفِ بنقل جرائمها إلى الورق، بل تجرأت على تجسيدها في الواقع؟ كاتبة تحولت أفكارها المُظلمة إلى أحداث مروعة على مسرح الحياة. هذا ما سنعاصره مع قاتلة حرف النون

***

في رحمِ عامِ ألفٍ وتسعمائةٍ وخمسين، وُلدت «نانسي كرامبتون بروفي» في ولايةِ تكساس الأمريكيّة، حاملةً معها حلمَ أن تُصبح كاتبةً تُسطرُ حكاياتٍ تُلامس القلوبَ وتُبحرُ في خيالِ القارئ. اتّجهت نانسي نحوَ كتابةِ الرواياتِ الرومانسية، إلّا أنّ حظّها لم يُحالِفها الشّهرةَ التي طالما تمنّتها، فظلّت رواياتُها حبيسةَ الأدراجِ، لا يقرأُها سوى القلّة من مُحبّيها وأصدقائها.

لم تيأس نانسي، بل سعَت جاهدةً لجذبِ انتباهِ القارئِ إليها، فحاولت إثارةَ الجدلِ في رواياتِها من خلالِ تناولِ مواضيعَ جريئةٍ كالمشاهدِ الجنسيةِ الصريحةِ والعلاقاتِ المشبوهةِ والشذوذِ في الحبّ. لكنّ مساعيها لم تُثمر، وظلّت بعيدةً عن دائرةِ الضوءِ الأدبيّ. فاتّخذت منحىً جديد في مسيرتِها الأدبيةِ. ففي عامِ ألفينِ و أحدَ عشر، نشرت على أحدِ مواقعِ الكتابةِ تدوينةً بعنوانٍ غريبٍ ومُثيرٍ للفضولِ: «كيف تقتلين زوجك؟".

في تلكَ التدوينةِ، سَرحت نانسي بخيالِها ككاتبةِ رواياتِ تشويقٍ، وتَقمّصت دورَ الزوجةِ التي تُفكّرُ في التخلّصِ من زوجها. وسردت بِتفصيلٍ مُدروسٍ مُختلفَ الطرقِ التي من الممكنِ ارتكابَ الجريمةِ بها، مُحلّلةً إيجابياتِ وسلبياتِ كلٍّ منها، ومُقدّمةً نصائحَ مُريبةً للزوجاتِ الراغباتِ في التخلّصِ من أزواجهنّ.

حذّرت نانسي في تدوينتِها القارئاتِ من أنّ الزوجَ أو الزوجةَ هو المشتبهُ بهِ الأوّلُ دائمًا في مثلِ هذهِ الجرائمِ، ونصحتهنّ بضرورةِ التخطيطِ الجيدِ للجريمةِ والتأهّبِ لأيّ طارئٍ قد يَحدثُ. وختمت نانسي تدوينتَها بِلمسةٍ من السخريةِ، قائلةً: «في النهاية، إن اضطررتُ لقتلِ زوجي للحصولِ على حريّتي، فسأحرصُ على أن أكونَ ذكيةً بما يكفي لتجنّبِ السجنِ. فصدقوني، ليس البرتقاليُ لونيَ المُفضّل!".

انتشرت تدوينةُ نانسي انتشارًا واسعًا على مستوى العالمِ، وجذبت إليها أنظارَ القراءِ. ولعلّ تلكَ التدوينةَ كانت هي الشرارةَ التي أشعلت نارَ الشّهرةِ في مسيرةِ نانسي، فمن خلالها عَرَفَ العالمُ اسمَها،

وتهافتَ القراءُ على قراءةِ رواياتِها، بل طالبها بعضُهم بكتابةِ روايةٍ مُستوحاةٍ من تدوينتِها الشهيرةِ.

تتهادى بنا سنون العمر دونما أحداث غريبة تُعكر صفوها، كل شيء يسير بِرتابة معتادة. نانسي، سيدة تسعى جاهدة لتحقيق حلمها ككاتبة مشهورة، بينما يمضي زوجها دانيال بروفي حياته هادئًا في عمله كمدرس للطبخ في معهد أوريغون للطهي.

دانيال، أصغر من نانسي بأربع سنوات، وُلِد عام ١٩٥٤ في ولاية أوريغون الأمريكية، جمع بين مهاراته كشيف وموهبته في التعليم، تاركًا بصمة مميزة في قلوب طلابه.

لكن سرعان ما هزّت جريمة بشعة هدوء حياتهما، ففي عام ٢٠١٨، وُجد دانيال قتيلاً غارقًا في دمه داخل معهد الطهي.

في صباح ذلك اليوم المشؤوم، دخل دانيال إلى عمله كعادته في الساعة السابعة صباحًا، لينكبّ على تحضير دروسه اليومية. إلا أن طلابه، وعند وصولهم في حوالي الساعة التاسعة، اكتشفوا الفاجعة، حيث عثروا عليه جثة هامدة غارقة في الدماء، بعد أن اخترقت طلقتان ناريتان جسده، واحدة في ظهره والأخرى في صدره، لتخترق قلبه وتُنهي حياته.

أشارت التحقيقات الأولية إلى أن جريمة القتل كانت مُتعمدة، وأنّ الضحية على الأرجح كان يعرف القاتل ويثق به، فلم تُسرق أيّة ممتلكات من مسرح الجريمة أو من جثة دانيال نفسه.

ازداد غموض الجريمة عندما اتضح أن كاميرات المراقبة في المعهد

كانت مُعطّلة لعدة أشهر، ما أدّى إلى انعدام أيّ دليل يُشير إلى هوية القاتل، سواء كان غريبًا أم مُترددًا على المكان بشكلٍ مُنتظم.

يُذكر أنّ المعهد يضمّ عددًا كبيرًا من الأشخاص، بما في ذلك الأساتذة والطلاب وعمال الصيانة والنظافة وعاملين في المطبخ ومحاسبين، حيث يُقدّر عدد الداخلين إليه يوميًا بحوالي ألف شخص من مختلف الأعمار.

أدرك المحققون صعوبة مهمة كشف الجاني، نظرًا لموقع الجريمة وغياب الأدلة المُقنعة. ورغم ذلك، شرعوا في تحقيقاتٍ مُضنية استمرت لمدّة عامين تقريبًا.

وفجأة، وفي عام ٢٠٢٠، أذهلت الشرطة الجميع بتوقيفها لنانسي، زوجة دانيال، بتهمة القتل العمد من الدرجة الأولى. ازدادت حيرة الجميع، فكيف تُقدم امرأة على قتل زوجها بعد أكثر من عشرين عامًا من الحياة الزوجية المستقرة، على الرغم من عدم إنجابهما لأطفال؟

أوّل ما لفت انتباهَ المحقّقينَ تصرّفُ نانسي المُريب، زوجةُ القتيل. لم تُظهر حزنًا عميقًا كما هو مُتوقّعٌ في مثلِ هذه المُصيبة. ففي الأيامِ الأولى، اكتفت ببعضِ الدموعِ أمامَ الناسِ، مُتظاهرةً بالانهيارِ النفسيّ، ثمّ انعزلت عن كافّةِ المُحيطينَ بها، مُتذرّعةً بالحزنِ على زوجها. لكن سرعانَ ما انكشفَ زيفُ هذهِ المسرحيّةِ، لِتُظهرَ نانسي وجهها الحقيقيّ.

اعتادَ المحقّقونَ على سلوكِ أهالي الضحايا، ممّن يُفرغونَ غضبَهم على المُحقّقينَ، مُطالبينَ إيّاهم بحلّ القضايا وكشفِ الحقيقةِ. لكن لم يكن الحالُ كذلكَ مع نانسي. فلم تُبدِ أيّ اهتمامٍ بِسيرِ التحقيقِ،

بل كانت تُماطلُ في الردّ على اتصالاتِ المحقّقينَ، وتُظهرُ نسيانَها للقضيةِ وكأنّها لا تعنيها.

ازدادَت شكوكُ المحقّقينَ عندما لاحظوا اهتمامَ نانسي المُفرطَ بِصرفِ تعويضاتِ التأمينِ على حياةِ زوجها. فقد تبيّنَ أنّ القتيلَ كان مُؤمّنًا عليهِ بِمبلغٍ ضخمٍ يُقدّرُ بمليونٍ ونصفِ مليونِ دولار. وبدا واضحًا أنّ نانسي تُقدّمُ هذهِ المسألةَ على أيّ شيءٍ آخرَ، حتّى على كشفِ غموضِ مقتلِ زوجها.

لم تتوقّف تصرّفاتُ نانسي المُريبة عندَ هذا الحدّ، بلْ قامت بتقييمِ منزلِ زوجها المُقتولِ تمهيدًا لبيعهِ. وتبيّنَ أنّ قيمةَ المنزلِ تُقدّرُ بِثلاثِمائةِ ألفِ دولارٍ، ممّا زادَ من شكوكِ المحقّقينَ.

مع تراكمِ الأدلّةِ، اتّجهَت أنظارُ المحقّقينَ نحو نانسي باعتبارِها المُستفيدةَ الوحيدةَ من موتِ زوجها.

كان حاسوبها ينبض كقلب مجرم حاذق، يخبئ بين طياته ثروة من الأدلة الدامغة. سجلت أناملها المتواطئة أفكارًا شيطانية، نسجت منها خيوط جريمتها بمهارة فائقة. «١٠ طرق لإخفاء جريمتك»، «اصنع مسدسك بنفسك وتخلص من الآثار».. عناوين صارخة تتراقص على شاشة الحاسوب، كشفت نواياها المبيتة.

لم تكتفِ نانسي بتلك الأفكار، بل حولتها إلى واقع ملموس. بحثت بلا كلل عن أدوات الجريمة، تجولت في دهاليز الإنترنت المظلمة، تبحث عن «تجميع السلاح» و«صنع مسدس من قطع مختلفة".

وإذ بها تقع على ضالتها، مسدس صغير من نوعية Glock، تشتريه

عبر الإنترنت من موقع بيع الأسلحة المرخصة. قطعة باردة من المعدن، سرعان ما تحولت إلى أداة موت بيدها.

لم تترك نانسي أي ثغرة في خطتها، فحرصت على تركيب قطع مختلفة على المسدس، غيّرت مظهره، وجعلت من المستحيل على أي شخص ربطه بجريمة القتل. خطة محكمة، نفذت ببرودة دم ودقة متناهية.

كان دانيال زوجها، ضحية تلك المؤامرة الدنيئة. سقط صريعًا برصاصة قاتلة، تاركًا وراءه أسئلة حائرة وألغازًا لم تُحل.

بدأت التحقيقات، وسرعان ما لفتت المدونات الشخصية لنانسي أنظار المحققين. كلماتها المسمومة، أفكارها الشريرة، كلها تشير بإصبع الاتهام نحوها.

لكن الأدلة كانت ضعيفة، فالمسدس الذي عثر عليه في حوزتها لم يكن مطابقًا للمسدس المستخدم في الجريمة. بدا أن نانسي قد تفلت بجريمتها بفضل ذكائها الخبيث. لكن صرامة المحققين وإصرارهم على كشف الحقيقة لم يهدأ. واصلوا البحث، واكتشفوا تفاصيل مشتريات نانسي عبر الإنترنت. اكتشفوا أنها اشترت قطعًا مختلفة للمسدس من موقع eBay، قطعًا صممت لتغيير مظهره وإخفاء هويته. كانت مشترياتها متباعدة، تتم بأسماء مستعارة، كأنها تخطط لكل خطوة بدقة وحذر.

واجه المحققون نانسي بالأدلة، لكنها ظلت هادئة، جامدة الأعصاب. أخيرًا، وبكل برود، جلبت لهم المسدس من غرفة نومها. فحص المحققون المسدس لأيام، لكن دون جدوى. بفضل القطع

المضافة، لم يعد من الممكن ربطه بالجريمة بشكل قاطع. وصلت القضية إلى طريق مسدود، فالجميع يعلمون أن نانسي هي القاتلة، لكن الأدلة لم تكن كافية لإداناتها.

لكنّ القدرَ خبّأ لنانسي منعطفًا غامضًا في مطلع عام ٢٠٢٠، فبينما كانت تظنّ نفسها في أوجِ مجدها الأدبي، ظهر دليلٌ جديدٌ زعزعَ أركانَ حياتها. فعند مراجعةِ كاميراتِ المراقبةِ في أحدِ المحلاتِ القريبةِ من مسرحِ جريمةِ مقتلِ زوجها «دانيال»، فُوجئَ الجميعُ بمرورِ سيارةٍ تشبهُ سيارةَ نانسي، وتوقفها أمامَ المؤسسةِ المشؤومةِ في تمامِ الساعةِ السابعةِ وربعٍ مساءً، أي في نفسِ الوقتِ المُفترضِ لوقوعِ الجريمةِ.

لم تُظهز الكاميراتُ وجهَ نانسي بوضوحٍ، لكنّ ملامحَ السيارةِ كانت واضحةً لدرجةٍ لا تدعُ مجالًا للشكّ. وبناءً على ذلك، تمّ القبضُ عليها وتوجيهُ تهمةِ القتلِ إليها، وذلك لوجودِ سيارتها في موقعِ الجريمةِ.

وكانت نانسي قد أكّدت في التحقيقاتِ الأوليةِ أنها كانت في إحدى المكتباتِ التي تُعرضُ روايتها للبيعِ وقتَ وقوعِ الجريمةِ، وهو ما أكّدهُ صاحبُ المكتبةِ أيضًا بشهادتهِ. وأضافت أنها توجهت إلى متجر لنقش الوشوم على الجسد، وقررت حينها نقش رقم ٢١ على كتفها

ولكن، ازدادَت الشكوكُ حولَ نانسي عندما سألتها الشرطةُ عن سببِ عدمِ تسليمها المسدسِ الذي عُثر عليه في مسرحِ الجريمةِ عندَ طلبِ الأسلحةِ منها في وقتٍ سابقٍ. فبرّرت نانسي ذلك بأنّها اشترتِ المسدسَ لغرضِ الكتابةِ عنه في إحدى رواياتها الجديدةِ، لا

لِاستخدامهِ في أيّ غرضٍ آخر.

وبدأت محاكمةُ نانسي، وهي تُصرّ على إنكارِ قتلها لزوجها وتُؤكّدُ حبّها له. إلا أنّ مُحامي الادّعاءِ هاجمها بشراسةٍ في خطبتهِ الافتتاحيةِ أمامَ المُحلفين، قائلاً: «ستدّعي وتقول لكم إنّها كانت تُحبّ زوجها، وستبكي وتُؤكّدُ إنّه كان حبّ حياتها. قد تُؤثّرُ عليكم ملامحُها التي تُوحي بأنّها امرأةٌ مسالمةٌ عاجزةٌ، لكن لا تُصدّقوها أيّها السادة. فزوجُها لم يكن بالنسبةِ لها سوى ١.٥ مليون دولار تمشي على الأرضِ. لذلك قتلته. لقد كان رجلًا طيبًا قانعًا بحياتهِ، لكنّها لم تكن مثله. لقد خطّطت لقتلهِ منذ سنواتٍ، منذ أن عرفت بالثروةِ التي تنتظرُها".

وبالفعل، حكمت المحكمةُ على نانسي في عام ٢٠٢٢ بِالقتلِ العمدِ مع سبقِ الإصرارِ، وعاقبتها بالسجنِ مدى الحياة. ورغم كلّ ذلك، لم تُحقّق رواياتُها أيّ نجاحٍ يُذكر بعد ذلك، ولم يُبدِ أيّ قارئٍ اهتمامًا بقراءةِ أعمالها. بل على العكس، قاطعت الجماهيرُ إنتاجَها الأدبيّ، وتمّ حذفُ مقالها الشهيرِ من جميعِ المواقعِ الإلكترونية. وهكذا أصبحت نانسي منبوذةً من الجميع، ساقطةً من قمةِ المجدِ إلى قاعِ الظلمِ والوحدةِ.

هـ

هروب

ليت الهروب كان حلًا، أمام مأساة عائلة (هاورد سودر)

في رحاب الحياة، تساورنا أسئلةٌ شتّى، تُشغلُ بالنا وتُثقلُ أفكارنا. ومن بين تلك الأسئلة، «هل من نهايةٍ أسوأ من الموت؟».

ولكنّ الحقيقةَ المُؤلمة تُخبرنا أنّ الموتَ ليس النهايةَ الأقسى، بل إنّ هناك ما هو أشدّ وأقسى منه، ألا وهو اختفاءُ شخصٍ عزيزٍ على قلوبنا. فالموتُ، وإن كان فاجعًا، إلا أنه يُمثّلُ نهايةً مُحددةً، يُمكننا من خلالها أن نُودّع أحبّتنا، وأن نُقيمَ لهم جنازاتٍ تُخلّدُ ذكراهم، وأن نجدَ راحةً في معرفةِ مصيرهم.

أما الاختفاءُ، فهو يفتحُ أمامنا أبوابًا من الشكّ والظنون، ويُغرقُنا في بحرٍ من الاحتمالاتِ المُؤلمة. فالمفقودُ قد يكونُ ميتًا، أو قد يكونُ حيًا يُرزق، يعيشُ حياةً كريمةً أو حياةً مهانةً، أو قد يكونُ قد فقدَ ذاكرتهُ ولا يعرفُ طريقَ عودتهِ إلى أهله، أو قد يكونُ قد هربَ بإرادتهِ دون رغبةٍ في العودةِ إليهم.

ألفُ سؤالٍ وألفُ احتمالٍ، بلا إجابةٍ واحدةٍ، قد نعرف حلها مع مأساة حرف الهاء

***

"كأنه تبخر!» هكذا نوصف اختفاء شخص بشكل مجازي، لكنّ هذا التعبير يجسد حقيقة واقعة بالنسبة لخمسة من أطفال عائلة سودر

في ولاية ويست فرجينيا الأمريكية عام ١٩٤٥.

لفهم عمق هذه المأساة، لابدّ من التعريف بعائلة سودر قبل حلول الكارثة. كان ربّ الأسرة هاورد سودر، ولد في جزيرة سردينيا الإيطالية عام ١٨٩٥، قد هاجر إلى الولايات المتحدة عام ١٩١١ مع أخيه، تاركًا وراءه سرّ هجرته الذي أثار العديد من التكهنات، بما في ذلك تورّطه في أعمال غير قانونية في إيطاليا.

عمل هاورد في السكك الحديدية، متنقلًا من ولاية إلى أخرى لكسب قوت يومه. تزوّج عام ١٩٢٢ من جيني سيبرياني، مهاجرة إيطالية سبقته إلى أمريكا عام ١٩٠٤. استقرا في مدينة فياتفيل بولاية ويست فرجينيا، موطن العديد من المهاجرين الإيطاليين، حيث بَنيا منزلهما.

مع مرور الوقت، توسعت أعمال هاورد ليؤسس شركة صغيرة لنقل الفحم. ورغم قلة كلامه، اشتهر بكراهيته الشديدة للقائد الفاشي الإيطالي آنذاك بينيتو موسوليني، ممّا أدّى إلى ابتعاد بعض الإيطاليين في المنطقة عنه وعن عائلته.

ومع ذلك، حظيت عائلة سودر باحترام كبير من قبل المجتمع، حيث كانت من أبرز عائلات الطبقة المتوسطة.

في ليلة عيد الميلاد عام ١٩٤٥، حاولت عائلة سودر، كأي عائلة طبيعية، أن تجتمع بكامل أفرادها للاحتفال. وعاد اثنان من أبناء هاورد الأكبر، جون وجو، اللذان كانا يخدمان في الحرب العالمية الثانية خارج البلاد، بالحضور، ممّا أثار شعورًا عارمًا بالسعادة بلمّ الشمل.

لكنّ القدر لم يُمهلهم، فلم يحضر سوى جون، بينما غاب جوّ بسبب طارئ عسكري، كانت ماريون، ابنة هاورد وجيني الكبرى، عائدة من عملها في المدينة محمّلة بهدايا لأخواتها الصغار. وبينما كان الجميع منهمكين في الاحتفال، انسحب الأب والأم إلى غرفتهما في الطابق الأرضي، واصطحبا معهما سيلفيا، أصغر أطفالهم، وطلبا من باقي أطفالهم النوم في مواعيدهم المعتادة.

ثار باقي الأطفال على هذا الأمر، طالبين البقاء ساهرين للعب بالألعاب الجديدة التي حصلوا عليها بمناسبة عيد الميلاد.

في تمام الساعة الثانية والنصف بعد منتصف الليل، رنّ هاتف المنزل، فاستيقظت جيني للإجابة. سمعت صوت امرأة تضحك بطريقة غريبة وتتحدث بكلمات غير مفهومة. أغلقت جيني الهاتف وعادت إلى النوم، بعد أن تأكدت من عدم اشتعال أي من أفران المنزل سوى فرن واحد كان يحتوي على بعض الفحم المتقد. اطمأنت أيضًا على ابنتها ماريون التي كانت نائمة في الطابق الأرضي، ولم تلاحظ وجود أي من أطفالها الآخرين، ففهمت أنهم قد ذهبوا للنوم في الطابق العلوي.

بعد مرور نصف ساعة أخرى، سمعت جيني صوت شيء ثقيل يصطدم بسطح المنزل. ظنت جيني أن ذلك ناتج عن هبوب رياح قوية، فعادت إلى النوم مرة أخرى. لكن في الساعة الواحدة والنصف بعد منتصف الليل، استيقظت على رائحة دخان قوية.

جيني هبت لتتفقد بقلق باقي الغرف، حتى تفاجأ بأن النيران التهمت مكتب زوجها المقابل لغرفتهما. فأيقظت زوجها وشرعت

تنادي بأقصى ما في أحبالها الصوتية من قوة على باقي أولادها الذين كانو نائمين في الدور العلوي. وبعد ثوان خرجت هي وزوجها بسرعة من البيت بصحبة ابنتهما ماريون وسيلفيا التي كانت نائمة معهما بذات الحجرة. أما أولادهما هاورد الابن وجون في الدور العلوي وقد استيقظا بالفعل على صوت صياح والدتهما. حاولا إنقاذ باقي اخواتهم الذين كانوا نائمين في نفس الطابق لكن الوقت لم يسعفهم لأن السلم كان على وشك الاحتراق كاملًا

حاول هاورد الأب بكل ما أوتي من قوة تسلق العمود الحجري الخارجي لمنزله، بائسًا يبحث عن خلاص لأولاده المحاصرين في غرفهم العليا.

وحاول هاورد تحطيم نافذة غرفتهم، لكن دون جدوى، فجرح يده في محاولته اليائسة. ازدادت مأساته عندما اكتشف اختفاء السلم الذي كان من المفترض أن يكون بجانب المنزل، ليصبح الوصول إلى أطفاله شبه مستحيل.

في لحظة يأس، لجأ هاورد إلى شاحناته الضخمة المستخدمة لنقل الفحم، مُحاولًا رفعها ليصل إلى نافذة غرفتهم. لكنّ المحركات خذلته، مُعطلّة عن العمل، تاركة إياه وحيدًا في مواجهة قدره المُرّ. ازدادت الأمور سوءًا عندما اكتشفوا انقطاع خطوط الهاتف في المنزل، مما قطع عليهم التواصل مع طلب النجدة.

لم تيأس جيني، زوجة هاورد، فاتجهت إلى جارتهم السيدة جارفيلد طلبًا للمساعدة. حاولت السيدة جارفيلد الاتصال بمحطة الإطفاء، لكن دون جدوى بسبب انعدام الخط المباشر.

لحسن الحظ، مرّ أحد جيران هاورد بالقرب من منزلهم. شاهد الجار النيران تلتهم منزل هاورد، فاتخذ قرارًا بطوليًا بقيادة سيارته بأقصى سرعة نحو أقرب مركز إطفاء لإبلاغهم بالكارثة.

على الرغم من قرب مركز الإطفاء من المنزل - إذ لا يبعد سوى ٤ كيلومترات - إلا أنّ وصول فريق الإنقاذ استغرق ٧ ساعات كاملة، كانت كافية لتحويل معظم المنزل إلى رماد، والتسبب في وفاة ٥ من أطفال هاورد.

تجاهلًا لنصيحة المحققين بعدم لمس أيّ من بقايا الحريق قبل بدء التحقيقات، قرر هاورد في ٢٩ ديسمبر، بمساعدة ابن عمه جيمس سيبرياني، جمع رفات أطفاله ودفنها في قبو منزلهم المُحترق. لم يتحمل هاورد وجيني رؤية مشهد منزلهم المدمر، فقررا تحويله إلى نصب تذكاري تخليدًا لذكرى أطفالهم الخمسة: موريس، مارثا، لويس، جيني، وبيتي.

واجه هاوارد وجيني، الوالدان المفجوعان، نبأ موت أطفالهما بِشكونٍ ممزوجٍ باليأس، مُصدّقين رواية قائد الإطفاء «إف جيه موريس» الذي أكّد لهم أنّ شدّة الحريق أتت على كلّ أثر لأبنائهم. وصدرت لهم شهادات وفاة رسمية، على الرغم من عدم العثور على أيّ جثة، بينما أرجعت السلطات سبب الحريق إلى عطلٍ كهربائي.

غمر الحزن العميق قلبي هاوارد وجيني، فلم يُقدرا على حضور جنازات أطفالهما في يناير من عام ١٩٤٦، تاركين مهمة توديعهم لِبقية أفراد العائلة. ورغم قبولهما المُرّ لمصير أبنائهما، إلّا أنّ الشكوك ظلت تُراودهم حول حقيقة سبب الحريق، ورفضوا تمامًا رواية العطل

الكهربائي. فهاورد، بِحُكم عمله كعامل صيانة للوصلات الكهربائية في منزله قبل فترة قصيرة من الحادث، كان يُدرك تمامًا أنّ العطل لا يمكن أن يكون السبب.

تعزّزت شكوك العائلة بِشهادة جيني التي أكّدت أنّ الكهرباء كانت تعمل قبل الحريق بنصف ساعة فقط، بل وظلّت كذلك في بدايته. فلو كان العطل هو السبب، لَكان قد أدّى إلى انقطاعها تمامًا. ازدادت يقينهم بِكون الحادث مُدبّرًا، عندما اكتشفوا أنّ خطّ الهاتف قد تمّ قطعه قبل الحريق.

تُشير التحقيقات إلى أنّ شخصًا ما تسلق عمود خطوط الهاتف، الذي يبلغ ارتفاعه حوالي ٤.٥ متر، وقام بِقطع الخطّ. وبالفعل، تمّ القبض على شخص يُدعى «لوني جونسون» اعترف بِقطع الخطّ ظنًّا منه أنّه خطّ الكهرباء، كما اعترف بِسرقة بعض المعدات من المنزل أثناء الحريق. ورغم تغريمه ووضعه تحت المراقبة، إلّا أنّه سحب اعترافه بِكونه الفاعل سنة ١٩٥٢.

عندما زارت العائلة النصب التذكاري لبقية أطفالهم، عثرت سيلفيا، الابنة الصغرى، على كرة مطاطية صلبة خضراء اللون. شكّ هاوارد على الفور أنّها قنبلة نابالم، بينما اعتقدت جيني أنّها نفس الشيء الذي تمّ إلقاؤه على سطح المنزل، ممّا تسبب في الصوت الذي أيقظها قبل الحريق. وتُعزّز شكوكهم شهادة سائق حافلة قال إنّه رأى خلال مروره بجانب المنزل بعض الأشخاص يُلقون كرات من النار عليه

تداعت الأدلة تباعاً أمام جيني وهاورد، لتثبت يقيناً أن فلذات أكبادهم ما زالوا على قيد الحياة. ففي عام ١٩٤٧، وبينما كانا

يتصفحان مجلة لأطفال المدارس، لفتت صورة انتباههما، لشبهها الفادح بابنتهما «بيتي» التي فقدوها في ذلك الحريق المفجع.

سافر هاورد دون تردد لمقابلة الطفلة التي ظنّ فيها ابنته، إلا أنّه مُنع من رؤيتها. ازدادت قناعتهما بوجود خيوط مُخبأة في هذه القضية، فاستندوا إلى رأي خبراء أكدوا استحالة تبخر العظام البشرية نهائياً في حريقٍ دام ساعتين وبلغت حرارته ٢٠٠٠ فهرنهايت، بينما انهار منزل عائلة «سودر» بالكامل في ٤٥ دقيقة فقط!

لم يكن الحديث يدور عن هيكل عظمي واحد، بل عن خمسة! دفعت هذه الحقيقة جيني إلى إجراء تجارب مُقنعة، حيث حرقت عظام حيوانات ميتة، فكانت النار تترك بقايا في كل مرة.

ازدادت قوة الأدلة باكتشاف بقايا لأجهزة وأدوات منزل العائلة بعد الحريق، ما يؤكد عدم تحول كل شيء إلى رماد. قارنت جيني بين ما حدث لأولادها وبين حادثة مشابهة قرأت عنها في الجرائد، حيث لقيت عائلة مكونة من سبعة أشخاص حتفها في حريق، وعُثر على بقايا جثثهم جميعاً.

سمع هاورد بعد ذلك بإشاعة مفادها أن «إف جيه موريس»، رئيس فرقة الإطفاء، عثر على قلب بشري محترق بين أنقاض المنزل، وقام بدفنه في صندوق خشبي موجود في القبو. واجه هاورد «موريس» بهذا الأمر، فكان ردّه ببساطة أنه «ظنّ» أنه أخبرهم بذلك مسبقاً!

طلب هاورد استخراج الصندوق، إلا أنه لم يأخذه إلى الشرطة، بل اصطحبه مع محقق خاص عينه يُدعى «سي سي تينسلي» إلى أحد متعهدي الدفن في المدينة لفحصه. أكد متعهد الدفن أنّه مجرد كبد

بقري وليس بشرياً. طلب هاورد رأياً رسمياً، فاحتجز متعهد الدفن الصندوق لمدة ١٠ أيام لعرضه على خبير، ليختفي بعدها الصندوق تماماً دون أي فحص رسمي!

انتشرت بعد ذلك إشاعات تُشير إلى أن «موريس» هو من قام بدفن الصندوق في القبو، على أمل أن يكتشفه جيني وهاورد ويتوقفوا عن البحث عن أولادهما.

فعيّن محققًا خاصًا يُدعى هاورد سواين، آملًا أن يُساعده في اجتذاب انتباه السلطات الرسمية للقضية التي واجهت إهمالًا فاضحًا.

لم يكتفِ هاورد بالمساعي الرسمية، بل سعى أيضًا إلى استدرار عطف الرأي العام. فنشر قصته المأساوية في إحدى أشهر الصحف آنذاك، مُطلقًا صرخة مدوية في وجه العالم بأسره. وسرعان ما انهالت الاتصالات والرسائل على العائلة من كل حدبٍ وصوب، ادّعى أصحابها رؤيتهم للأطفال أو معرفتهم بمكان وجودهم.

ولم يقف هاورد مكتوف الأيدي عند هذا الحد، بل سعى جاهدًا للتأكد من صحة هذه الادعاءات. فاستعان بخدمات عالم أمراض شهير يُدعى أوسكار بي هانتر، الذي عكف على دراسة ستّ قطع من العظام البشرية عُثر عليها في قبو المنزل المُحترق.

كشفت دراسة هانتر أن أربعة من هذه القطع تعود لشخصٍ واحدٍ، لم تُظهر أيّة علاماتٍ تدلّ على تعرضها للحريق. كما قدّر هانتر عمر صاحب هذه العظام بـ ١٦ إلى ١٧ عامًا، بينما لم يتجاوز عمر أكبر الأطفال المفقودين ١٤ عامًا.

أثار هذا الاكتشاف حيرة الجميع، ودفعهم للاعتقاد بأنّ العظام قد لا تكون ناتجة عن الحريق، بل ربما تمّ دفنها في موقع الحريق بعد وقوعه. ازدادت حيرتهم عندما اختفى أثر هذه العظام تمامًا بعد إعادتها من هانتر، مما حرمهم من فرصة اختبارها مستقبلًا باستخدام تقنيات الحمض النووي.

لم تتوقف الأحداث الغامضة عند هذا الحد، بل ازدادت تعقيدًا مع ظهور خيطٍ جديدٍ في القضية. ففي شهر أكتوبر الذي سبق الحريق، زار العائلة مندوبٌ لشركة تأمين يُدعى فلورينزو جانوتولو. وعندما رفض هاورد عرض التأمين، هدّده جانوتولو بحرق منزله وقتل أطفاله، انتقامًا لانتقادات هاورد اللاذعة للزعيم الإيطالي موسوليني، الذي تمّ إعدامه على يد شعبه قبل أشهرٍ قليلة من الحادث.

ازدادت الأمور غموضًا عندما اتّضح أنّ توقيع أحد أقرباء جانوتولو موجود على شهادات وفاة أطفال هاورد الخمسة، وأنّه كان عضوًا في اللجنة التي أصدرت حكمًا بكون الحريق حادثًا عرضيًا لا علاقة له بالتدبير.

ولم تتوقف المفاجآت عند هذا الحد، فشهد اثنان من أبناء أحد الجيران أنّهم رأوا رجلًا غريبًا يراقب الأطفال وهم عائدون من المدرسة قبل الحريق بأيام قليلة.

وبينما كانت الشرطة تُسارع للتحقق من هذه الشهادات، تمكّنت من الوصول إلى السيدة التي اتّصلت بالعائلة قبل الحريق مباشرةً. وتأكّدت الشرطة من أنّ اتصالها كان صدفةً بحتة، وأنّها لا علاقة لها بالحادث.

من بين ركام الحريق، نبتت شتلات من الأمل. شهاداتٌ حيةٌ روت قصصاً عن أطفال العائلة، راسمةً لوحاتٍ لم تكتمل. سيدةٌ من خلف زجاج سيارتها، لمحت أشباحًا صغيرةً تلعب وسط النيران. أخرى قدمت لهم الإفطار في صباحٍ بارد، ليكملوا مسيرتهم الغامضة. أما الثالثة، فشاهدتهم في فندقٍ بعيد، محاطين بأشخاص غرباء.

هاورد، الأب المفجوع، لم يستسلم. تتبع خيوط الأمل، وسافر عبر البلاد بحثًا عن فلذات أكباده. قادته رحلته إلى ميزوري، حيث ادعت سيدةٌ رؤيتها لابنته مارثا راهبةً في ديرٍ هادئ. رسالةٌ مفاجئةٌ هزت أركان العائلة، حاملًا اعترافًا من موريس، الابن الأكبر، بوجوده على قيد الحياة رفقة أخيه لويس في ولاية تكساس. سافر هاورد، مصطحبًا زوج ابنته، لمواجهة الشابين. واجه إنكارًا قاطعًا، لكن الشك ظل يراود زوج ابنته، مؤكداً شعوره بوجود سرٍ خفي.

طرق هاورد وجيني كل الأبواب. سعيًا للحصول على مساعدة الـ FBI، لكن تعاون الشرطة المحلية ظل مفقودًا. عام ١٩٦٧، وصل ظرفٌ غامضٌ إلى جيني، يحمل صورة شابٍ في مقتبل العمر، وعباراتٍ مبعثرة تشير إلى لويس. لم يكن للظرف عنوان، سوى مدينةٍ بعيدة في كنتاكي. بدا الشبه جليًا بين الشاب في الصورة ولويس، لتصبح جيني راسخةً في إيمانها بوجود ابنها. أرسلت هاورد محققًا خاصًا لكشف ملابسات الأمر، لكنه اختفى في ظروف غامضة، تاركًا وراءه المزيد من الأسئلة بلا إجابة.

رغم مرور عقود على حادثة اختفاء عائلة سودر الغامضة، ما زالت نظريات المؤامرة تُحاكي مخيلةَ أهالي منطقة فياتفيل. وتُشير أشهرُ

هذه النظرياتِ إلى تورطِ المافيا الصقلية في اختطافِ أبناءِ العائلةِ انتقاماً من ربّ الأسرة. وإلى يومنا هذا، لا يزالُ مصيرُ المختطفين مجهولاً، ممّا يُغذي شعلةَ الأملِ لدى أحفادِ هاورد وجيني سودر في العثورِ عليهم أحياءً.

رحلَ هاورد سودر عن دنيانا عام ١٩٦٩، تاركاً وراءهُ زوجته جيني التي لحقت به بعد عشرين عاماً عام ١٩٨٩. الذين نقشوا على أجسادهم وشمًا يحمل الرقم ٢١. حتى آخرِ نَفَسٍ لهما، تمسّكا بفكرةِ اختطافِ أبنائهما، مؤمنينَ بإمكانيةِ وجودِهم على قيدِ الحياةِ في مكانٍ ما. حملت سيلفيا، أصغرُ أبنائهما، شعلةَ هذهِ القضيةِ بعدَ وفاةِ والديها، فكانت في عمرِ السنتينِ فقط عندما شبّ الحريقُ الغامضُ الذي افترضَ البعضُ أنهُ كانَ بمثابةِ ستارٍ لعمليةِ الاختطافِ. رحلت سيلفيا عام ٢٠٢١، تاركةً مسؤوليةَ البحثِ عن الحقيقةِ لأحفادِها.

صحيحٌ أنّ جميعَ شهودِ عيانِ أحداثِ ليلةِ ٢٤ ديسمبر ١٩٤٥ قد وافتهم المنية، لكن تبقى الأسئلةُ معلّقةً دون إجابةٍ شافيةٍ حتى يومنا هذا. هل اختُطفَ أبناءُ عائلةِ سودرٍ بالفعل، وكان الحريقُ مجردَ ستارٍ لعمليةِ الاختطافِ؟ أم أنّهم لاقوا حتفَهم في ذلك الحريقِ ولم تُبذلْ الجهودُ الكافيةُ للبحثِ عن رفاتِهم؟ هل كان إيمانُ هاورد وجيني ببقائهم على قيدِ الحياةِ مجرّدَ أضغاثِ أحلامٍ لوالدينَ ثكلى؟ أم أنّ هناكَ أسباباً منطقيةً تدفعُهما لعدمِ تصديقِ الروايةِ الرسميةِ للشرطة؟

و

وهم

هذا ليس وهمًا.. أنت بالفعل موشك على النهاية مع وجوه منزل بيلمر

يخامرُك شعورٌ غامضٌ بالمراقبة، كأنه ظلٌ يتبع خطواتك، يراقب حركاتك، ويستمع إلى همساتك. شعورٌ قد لا يُغادرك طيلةَ مسار حياتك، يُطلّ برأسه من بين طياتِ التفاصيلِ اليومية، ليُلقي بظلاله على كلّ ما تفعل.

فيُراقبُكَ أهلكَ، حرصًا منهم على تفوّقكَ واجتهادكَ في دراستكَ، سعيًا لبناء مستقبلٍ واعدٍ لكَ. ويُراقبُكَ مديرُكَ، ضمانًا لإنجازكَ لمهامكَ بدقةٍ وكفاءةٍ، حفاظًا على مصالحِ شركتهِ وازدهارِها. وتُراقبُكَ زوجتكَ، خوفًا من خيانتها أو إهمالكَ لها، سعيًا وراءَ حياةٍ أسريةٍ سعيدةٍ ومستقرةٍ.

ولكن، هل واجهتَ يومًا شعورًا بالمراقبةِ من قوى غامضةٍ، تتخطّى حدودَ الواقعِ لتُلامسَ المجهولَ؟ شعورٌ يُخيّمُ عليكَ كالكابوسِ، ويُشعركَ بالعجزِ عن التخلّصِ منه؟

تُدركُ أنّ مراقبًا خفيًا يتربّصُ بكَ، تُحسّ بوجودهِ دون أن تراهُ، وتسمعُ همسَه دون أن تفهمه. شعورٌ يُثيرُ قشعريرةَ الرعبِ في جسدكَ، ويُغرقُكَ في بحرٍ من الحيرةِ والارتباكِ.

تبحثُ عن مصدرِ هذا الشعورِ الغريبِ، لكنّكَ لا تجدُ إجابةً. تُحاولُ جاهدًا التخلّصَ منهُ، لكنّه يُلاحقُكَ كظلّكَ، ويُسيطرُ على أفكاركَ

ومشاعرك.

فهل أنتَ أسيرٌ لهذا الشعورِ الغامضِ إلى الأبد؟ أم ستتمكّنُ يومًا من كشفِ حقيقتهِ وفكّ قيودهِ مثلما حدث مع لغز حرف الواو؟

***

في أواخر سبعينيات القرن الماضي، هزّت بلدة إسبانية هادئة تدعى «بيلمز» تابعة لمقاطعة قرطبة، حادثة غريبة قلبت حياة أهلها رأساً على عقب، وأثارت دهشة العالم أجمع. ففي تلك البلدة الهادئة، تم اكتشاف مقبرة جماعية غامضة، ضمّت هياكل عظمية لضحايا تعرّضوا للقطع الوحشي للرؤوس، وآثار التعذيب البشعة.

لم يكن اكتشاف هذه المقبرة وليد صدفة عابرة، بل ارتبط بظاهرة خارقة للطبيعة، ظلت لغزاً محيّراً حتى يومنا هذا، وشاهداً حياً على وجود قوى خفية تتجاوز حدود المنطق والعلم.

بدأت حكاية هذه الظاهرة في يوم صيفي حار من عام ١٩٧٠، عندما لاحظت السيدة «ماريا» بقعة غريبة على الأرض. لم تُعِر الأمر اهتماماً في البداية، وحاولت تنظيفها بكل بساطة، لكن دون جدوى. ظلت البقعة صامدة، رافضةً الاختفاء حتى بعد استخدام أقوى المواد المنظفة.

مع مرور الأيام، لاحظت ماريا ظاهرة غريبة أخرى: بدأت البقعة تكبر وتتوسع، حتى تشكلت في اليوم السابع صورة إنسان كامل، وكأنها مرسومة على الأرض!

حاولت ماريا التعايش مع هذه الظاهرة الغريبة، لكن شعوراً مزعجاً

بالمراقبة لم يفارقها. كانت الصورة تُحدّق بها من كل اتجاه، مما دفعها إلى طلب المساعدة من ابنها «ميغيل». قام ميغيل بكسر الأرضية وسكبها بالأسمنت، ظناً منه أن ذلك سينهي المشكلة. لكن عبثاً، ففي غضون أسبوع واحد، عادت الصورة الغامضة للظهور من جديد!

تكررت عملية تكسير الأرضية وسكبها بالأسمنت مرتين آخرتين، لكن دون جدوى. فمع كل مرة، كانت الصورة تعود للظهور. ازدادت حدة الظاهرة، وبدأ المطبخ يمتلئ بِوشوشات غريبة لأطفال ونساء ورجال. انتشرت تلك الوشوشة الغامضة التي تُسمع من على الجدران والأرضية في جميع أنحاء بلدة بيلمز، حتى وصلت إلى مسامع عمدة البلدة.

أمام هول ما يحدث، طلب العمدة من ماريا وابنها عدم التعرض للظاهرة، وانتظر وصول المختصين لدراسة ما يجري. هُرِعَ إلى بيلمز العديد من الباحثين في الماورائيات، لِيفكّوا طلاسم هذا اللغز المحير.

وباستخدام الأجهزة الخاصة بتسجيل الأصوات الماورائية، تمكن الباحثون من التقاط أصوات غريبة، مزيج مروع من أصوات الجحيم وأصوات بيت دعارة.

وبعد تحسين جودة التسجيل، تمكنوا من تمييز بعض الكلمات: «نحن نعاني.. إنها لاتزال مدفونة.. الجحيم يبدأ من هنا.. إنهم جميعاً أموات.. ماريا أريد أن اذهب... وصرخات طفل ينادي: أمي.. أمي".

أدرك العلماء، بذكائهم المتوقد، أنّ الرسالة موجهة إلى روح ماريا

الأم. اجتمعوا حولها، يسألوها عن سرّ قدومهم إلى منزلها. ردّت ماريا، بصوت كئيب، «سوء المعاملة هو السبب."

توافدت مجموعات من الخبراء، كلٌ يحمل فرضية جديدة. بحث أحدهم في تاريخ البلدة، ليكتشف فظاعة حاكم غرناطة الذي قتل عائلة بأكملها بعد تعذيبٍ وحشي. وتطابق تاريخ الحادثة مع موقع منزل ماريا. شهدت المنطقة حربًا قاسيةً أيضًا، حيث يُعتقد أنّ العديد من الجنود قُتلوا في نفس المكان. وبالفعل، بعد الحفر الدؤوب، تمّ الكشف عن مقبرة جماعية تضمّ هياكل عظمية مشوهة تعود إلى ٧٠٠ عام.

اعتقد الجميع أنّ اللغز قد حُلّ، خاصةً بعد استخراج الهياكل ودفنها بكرامة في مقابر مخصصة. لكن المفاجأة كانت أنّ الصور لم تتوقف عن الظهور، بل ازدادت غرابةً. تغيّرت أشكال الوجوه، وكأنّها تعكس تقلبات مزاجية غامضة. اختفت بعض الوجوه من مكان وظهرت في مكان آخر، حائرةً عقول الباحثين.

ربط بعض الباحثين بين هذه الظواهر الخارقة وماريا الأم، المعروفة بكونها وسيطة روحية تتواصل مع العالم الآخر. امتلكت ماريا مهارة استثنائية تُسمّى «ثوغتوجرافي" (Thoughtography)، حيث تُحوّل أيّ صورة في مخيلتها إلى صورة مادية مطبوعة. تميّزت أيضًا بذاكرة قوية للوجوه، فلو صادفت أيّ شخص في الشارع، لحفظت ملامحه بدقة حتى لو لم تره سوى لثوانٍ.

جمعت هذه القدرات الماورائية، مع عقل ماريا القوي والفريد،

خيوط اللغز. تفاعلت روحها مع الصور التي تراها في مخيلتها، فظهرت على جدران منزلها وأرضيته. كان هذا أحد التفسيرات المُقترحة لحكاية الصور الغامضة في بيت ماريا.

تناقضت الأقوال حول حكاية ماريا، تلك العائلة التي طاردتها لعنة الموت عبر أجيال، تاركة وراءها علامات استفهام حائرة. فمن قائل يرى فيهم ضحايا مجزرة وحشية في الحرب الأهلية الإسبانية، إلى آخر يزعم أنهم نتاج مسرحية مُحكمة.

جذبت قدرة ماريا على التواصل مع العالم الآخر أنظار الباحثين، فاتخذوها موضوعًا لدراساتهم، شأنهم شأن منزل العائلة المليء بالأسرار. اكتشفوا مهارةً استثنائيةً تميزت بها ماريا: التحريك عن بعد، تلك القدرة التي مكنتها من تحريك الأشياء دون لمسها.

ولكن، ظهر فريق آخر يناقض تلك الروايات، مُشككًا في صحة كل ما حدث، مُقنعًا الجميع بأن الأمر لا يعدو كونه مسلسلًا مُفتعلًا.

إلا أن ميغيل، ابن العائلة ورسام بورتريهات مُوهوب، يصر على صحة روايتهم. فما رسمته يده من صور للعائلة يُعدّ دليلًا دامغًا، فكل صورة تتضمن العناصر الأساسية للرسم: الزنك، الرصاص، والكروميوم. وعند تحليل تلك الرسومات، اتضح وجود كمية كبيرة من الرصاص، بينما كانت نسبة الكروميوم أقل بكثير.

أما لغز اختفائهم، فله تفسيره الخاص. يرى ميغيل أن المركب الألماني المُستخدم لإزالة البقع، كان كفيلًا بمحو أي أثر للرسومات، تاركًا وراءه صفحةً بيضاء.

وإزاء اختفائهم وظهورهم بشكل مُتكرر، حتى خلال فترة غيابهم عن المنزل بعد إغلاقه من قبل العلماء، فُسر ذلك بقدرة ماريا على التحريك عن بعد، حيث كانت تُحرّك الصور وتُخفيها حسب رغبتها.

آمن الكثيرون بهذه النظرية، مُفضلين إشباع فضولهم على الحقيقة المُرّة. واتُهم ميغيل ووالدته بالتزوير لفترة طويلة

لم يقف أحد مدافعًا عن براءة «ماريا» سوى بحث دقيق نُشر عام ١٩٩٠ في المجلات العلمية، أجرته مجموعة من خبراء معهد السيراميك والزجاج الإسباني على نموذجين من تلك الوجوه، حيث أثبتوا خلوّها تمامًا من أي طلاء.

لكن للأسف، تجاهل الناس هذا البحث العلمي الجاد، وفضّلوا رواية تزوير تلك الرسومات الغامضة.

أما الذين آمنوا بظاهرة الوجوه على أنها ظاهرة خارقة للطبيعة، فكانوا يزعمون أن تلك الوجوه ستختفي بموت «ماريا. ففي أوقات مرضها، كانت الوجوه تبدو شاحبة وبالكاد مرئية ويظهر موضعها نقش يحمل رقم ٢١، بينما كانت تظهر بوضوح تام معالمها في أوقات صحتها.

لكن هذا لم يحدث. ففي عام ٢٠٠٤، توفيت «ماريا» عن عمر يناهز ٨٥ عامًا، وظلّت تلك الوجوه حاضرة في منزلها حتى يومنا هذا.

ولكن ظلّت «ماريا» حتى وفاتها متهمة بالتزوير، على الرغم من أنها لم تجنِ من هذه القصة سوى الأذى والنفي من منزلها بسبب مضايقات الناس وعدم استقرار حياتها.

وفي عام ٢٠١٤، ظهر برنامج وثائقي استقصائي لكشف حقيقة تلك الوجوه. وقد استضاف البرنامج الدكتور «خوسيه غارسيا» أستاذ الهندسة الكيميائية، والخبير الجنائي «ألامنكوس".

وتمّ تخصيص حلقة من البرنامج الشهير "unexplained mysterious" لهذه الظاهرة.

وبعد فحص دقيق للوجوه، أكّد البرنامج صحة نتائج تحليل معهد السيراميك الإسباني، حيث لم يتم العثور على أي عوامل خارجية أو تلاعب أو أي أثر لطلاء على تلك الوجوه، ناهيك عن خلوّها من أي مواد كيميائية.

حتى أنهم حاولوا رسمًا أو مسحًا للوجوه بنفس الطريقة التي ادعاها فريق التكذيب، لكن دون جدوى! فتبيّن أنّ نظرية أولئك المضّلين لم تكن سوى كلام فارغ لا قيمة له.

وانتهى البرنامج بنتيجة واحدة قاطعة: لا يمكن اعتبار وجوه منزل ماريا عملاً فنيًا أو تزويرًا، بل هي ظاهرة غريبة خارقة للطبيعة لا تفسير لها.

ومنذ ذلك الحين وحتى يومنا هذا، لم يفلح أحد في دحض صحة تلك الوجوه أو التشكيك في مصداقيتها، أو حتى تقديم تفسير علمي أو منطقي لسبب تشكلها أو تكوينها.

وبالتالي، لا يزال منزل ماريا مزارًا سياحيًا هامًا للغاية في إسبانيا، بينما يعجز مالكوه عن بيعه بسبب سمعته المشؤومة.

لكن، لنتأمل قليلًا: ما الذي دفع تلك الوجوه للظهور في ذلك الوقت

تحديدًا؟ ولماذا في ذلك المنزل بالذات؟ ما هي قصتها المُحتملة؟ وما الذي عانوه في حياتهم ليُصبحوا أرواحًا هائمة تعاني إلى الأبد؟

لقد تحوّل المنزل إلى مزار سياحي يجذب العديد من الزوار الذين يرغبون في مشاهدة أحد أكثر المنازل رعباً في أوروبا. ولا يزال المنزل قائمًا حتى الآن، لكن لا أحد يُجرؤ على السكن فيه بسبب سمعته المُخيفة.

وتم تحويل هذه القصة إلى فيلم سينمائي عام ١٩٩٧ بعنوان «٩٩.٩".

***

المزيد من القصص العشوائية التي لا تمت لبعضها بأي صلة، ولا يمكن تصنيفها إن كانت لعبة رعب أم جريمة. ذكرتني من جديد بسلسلة ألعاب DARK PICTURES، وهي ألعاب دراما تفاعلية، لا تقوم فيها بأي نوع من التصويب وقتل الأعداء أو حتى تخطى المنصات والألغاز، بل تشاهد فيلمًا طويل بعض الشيء، قد يتخطى الخمس ساعات، وكل ما تفعله هو التحكم في حوار الشخصيات وتصرفاتها، وأحيانًا تكون لتصرفاتك نتائج وخيمة مثل قتل أبطال اللعبة أو التفرقة بينهم. وهذا بالضبط نفس نوع تلك اللعبة. ولكن دعنا من هراء اللعبة الآن، فلدي مصيبة أكبر تستحق جذب كل التركيز صوبها.. وهي أنا

لم يراودني كوابيس، أو بدأت في سماع أصوات هامسة من كل حدب وصوب مثل أفلام الرعب الرخيصة الإنتاج. لكن بدأ يتملكني شعور عجيب وهو إن أحدهم يراقبني! كما لو إنه مرافق دائم لي مثل ظلي.

سمعت في المسلسلات جملة مبتذلة فحواها (أشعر إن روحي تُسلب مني)، غالبًا ما تقال تلك الجملة في محاولة للبطل للتعبير عن أن شخصيته بدأت تتغير أو أنه موشك على الموت بطريقة ما. ولكني دومًا رأيتها جملة درامية ساذجة، لا تقدم لي أي شعور حقيقي أو تصف المشهد بدقة.. وها هي سخرية القدر التي جعلتني أردد ذات العبارة، وأنا أعنى كل حرف منها

هنالك قوة عجيبة تستحوذ على جسدي، الأمر بدأ بأشياء بسيطة، بالكاد يمكن ملاحظتها، مثل تغيير مشروبي المفضل، وارتداء ملابس

مختلفة عن ذوقي العام. كل تلك أمور عادية على شخص ملول مثلي، من عادتي تجديد هواياتي وذوقي بشكل دائم، ولكن الأمر خارج عن بند الأمور التقليدية حين بدأت في القراءة

أنا قارئ قبل أن أحترف الألعاب، فليس من الغريب أن يدفعني شوقي للقراءة مرة أخرى، ولكنني لم أحب قراءة الكتب يومًا، كنت مدمنًا على قراءة الروايات بمختلف تصنيفاتها، من أجل الظفر بالمتعة القصصية لا أكثر ولا أقل. فأنا لا أقرأ حتى أغير من وجهة نظري للعالم أو فلسفتي بالحياة، بل أقرأ من أجل المتعة فحسب. ولكن حين أقرر -دون سابق إنذار- تغيير رأيي هذا وقراءة الكتب، أشرع في قراءة كتاب القانون؟

في البداية ظننت إنني متأثر باللعبة لأنه تم ذكر الكتاب بها، وشرعت في قراءة كتاب القانون، كنوع من حب الاستطلاع لا أكثر ولا أقل.. ولكن العجيب أنني رحت أقرأ كافة مؤلفات هذا الساحر الملقب بألستر كراولي، وأقتني كافة الكتب المتحورة حول ديانة الثيليما عبر التاريخ

أنا أتحول لعابد ثيليما دون وعي مني. فبجانب قرائتي لكتاب القانون وكتاب الأكاذيب، فقد رددت شعار الشيطان الواحد والعشرين بصوت مسموع أكثر من مرة، بجانب أنني أخط رقم ٢١، على أي ورقة دون وعي مني، مثلما حدث في الثلاثة فصول الأخيرة للعبة، حيث كان كافة أبطالها، يملكون وشمًا يحمل هذا الرقم

لو كانت تلك إحدى علامات استحواذ الشيطان على جسدي، أو بيع روحي له كما ذكر (فكري) من قبل، فأنا غارق بتلك اللعنة حتى

أخمص قدمي وليس بمقدوري المقاومة حتى.

دعك من كل هذا. ما يثير هلعي بحق، إنني بت أعلم لماذا بدأت اللعبة من حرف الطاء، وليس حرف الألف. في البداية ظننت إن اللعبة هي جزء تاني بطريقة ما، ولكن اتضح لي أن هناك من جرب اللعبة من قبلي، وخاض بالفعل النصف الأول من الأحرف، لكنه توقف عن إكمال اللعبة بطريقة ما، ربما قاطعه أحد أو قتل أو ربما الاثنين معًا، لكن المهم إن اللعبة انتقلت لي بطريقة ما، وبدأت أنا من آخر نقطة توقف هو عندها. والدليل على كلامي أنه ليس هناك اختيار للعب اللعبة من بدايتها

كيف عرفت كل هذا؟ ليس لدي أي فكرة، لقد تدفقت تلك المعلومات لرأسي من تلقاء نفسها. إنها ليست ظنون أو استنتاجات، فليس لدي دليل ملموس واحد على صدق ما قلته. لكنني موقن أنها معلومات حقيقية، أثق بها معلما أثق في نفسي.. هل لا أزال أثق في نفسي بعد هذا التغير الرهيب في شخصيتي؟

ليس هذا مهمًا الآن. فالسؤال الحقيقي هنا، من هذا اللاعب الأول الذي ختم النصف الأول من اللعبة، وما علاقته بي من الأساس لأحمل عنه هذا الورث الملعون؟ هل هو قريب لي بطريقة ما. يمكنني التحقق من أقاربي واحدًا تلو الآخر ولكن ماذا أقول لهم؟ هل بينكم أحد كان يلعب ألعاب الفيديو قبل أن يسلم روحه للشيطان؟ الوضع خيالي لدرجة ألجمت لساني عن وصفه

إن تلك اللعبة ملعونة. أعرف أن هذا الإقرار متأخر بعض الشيء، لكن المرء لا يصادف لعنات كل يوم حتى يميزها عن غيرها. والسؤال

هنا.. ماذا أفعل الآن؟

لازال لدي اقتناع داخلي أن إرادتي أقوى بطريقة ما، يمكنني التغلب على تلك اللعنة، بل وتسخيرها لمصلحتي. ليس لدي أي فكرة عن مصير اللاعب السابق، ولا أهتم بأمره على أي حال. أنا لست من نوعية الأشخاص الذين ينظرون لمصائب غيرهم حتى يهونون مصائبهم على أنفسهم. إن مصيبتي هي الكارثة الأكبر والأهم بتلك الحياة، لماذا؟ لأنها تخصني ولن تضر أحد غيري وأنا لن أسمح لشيء بأن يضرني

ماذا سيحدث إن لعبت المرحلة الأخيرة في اللعبة؟ الاحتمال الأول هو إما أن تسيطر اللعنة على روحي وأتحول لعابد ثيليما، وأنطلق في تلك الأرض أهيم على وجهي للتبشير بديانة الشيطان الواحد والعشرين، أو السعي خلف باقي عتاد الخطاه في مخلف أرجاء العالم. والاحتمال الثاني هو أن أسيطر أنا على اللعنة، هذا ليس احتمالًا بعيد المنال، فأنا بالفعل لاحظت أن شخصيتي تتغير ويمكنني إيقاف الأمر في أي لحظة والعودة إلى كينونتي السابقة. ولكن ماذا لو سيطرت على قوة اثنين من الشياطين العشرين؟

لن أضمن النجاح المطلق للعبتي التي أقوم بتطويرها فحسب، بل يمكنني أن أشطح بخيالي لأبعد من هذا. قد أفتح شركة إنتاج ألعاب خاصة بي، وأستحوذ على الشركات الكبرى وأجعلها خاضعة تحت سلطتي، وقد أحيل من مطورين الألعاب عبيدًا، يعملون على مدار الساعة من أجل إرضائي فحسب. ولن أقتصر على الألعاب، سأتجه إلى الإنتاج السنيمائي وأشتري أكبر دور نشر الروايات

العالمية. سأعيد هيكلة الأعمال الأدبية والفنية التي جعلتني أنفر منها في القدم.. سأنتج الأعمال الأكثر متعة في العالم، التي ستدفع كافة فئات الناس حول العالم، لدفع كافة مدخراتهم من أجل الظفر بأعمالي وتحقق لهم المتعة الخالصة.

ستكون أعمالي السنيمائية جذابة لدرجة أن المشاهد سيقضي حاجته على نفسه لأنه لا يستطيع ترك الفيلم ولو لثوان من أجل الذهاب للحمام. ستتميز أعمالي الروائية بالسحر الذي يجبر أي قارئ على التجمد في موضعه لينهي الرواية من أول لآخر صفحة دون أن يعبئ بالعالم من حوله. ستشتهر ألعابي بالروعة التي تجبر أي شخص على أخذ إجازة من عمله أو دراسته حتى ينهي لعبتي أولًا

إن منتجاتي ستصير مخدرات هذا العصر، ستجعل البشر يتخلون عن كافة صور المتعة الأخرى، فلا يوجد نشوة ستتفوق على شعور الشهوة التي ستقدمها أعمالي، وستتفوق على كافة ملذات الحياة سواء كانت طعام أو جنس أو نجاح. بل سيعاصرون فيها آلاف الحيوات وملايين الأحداث، التي تكفيهم عن هذا العالم، سيشعر الشباب أنهم بلغوا من العمر أرزله وسيزدادون نضجًا، وسيظن العجائز أنهم عاشوا فوق عمرهم أعمارًا أخرى، وحينها سيتقبلون قضاء ساعتهم بنفس مرحبة بعد أن تيقنوا أنهم فعلوا الكثير بتلك الدنيا ولم ينقصهم شيء

من سيمتنع عن اقتناء أحد أعمالي، سيكتب عليه العار مدى الحياة، فهو بتلك الطريقة محض جرذ ضيق الأفق، لن يبصر نور الفن والمتعة بعد، ولن يتطلع إليه العامة إلا بنظرات استحقار، وبعد أن

يشاهد أو يقرأ أو يلعب أحد أعمالي، سيرى الحقيقة.. سيبصر أنه لا يشتهي الحياة مرة أخرى، فهو يستحق الشنق في ميدان عام، تكفيرًا عن خطيئته، لكنه على الأقل سيموت راضيًا بعد أن خاض تجربة مع أعمالي لا تعوض

يمكنني كتابة عشرات الصفحات أصف فيها أعمالي وهي قادرة على إنهاء حروب الأرض أجمع، والقضاء على المجاعات والأمراض النفسية، وخفض معدلات الجريمة بشتى أنواعها. ولكن من الواضح إنني قد أصبت بالجنون

يجب أن أختار الآن وأكف عن إهدار الوقت في أحلام العصر تلك، إما أواصل اللعب وأتحمل العواقب وحدي ولا ألوم إلا نفسي، أم أتصل ب(فكري) ليأخذ اللعبة مني، وأنجو بحياتي وما تبقى من قواي العقلية ما دام في وسعي هذا الخيار

إنها المرحلة النهائية من اللعبة، أي أنه ليس هنالك مجال للتراجع.. هذه هي المرة الأخيرة التي تكون لي فيها رفاهية الاختيار.. فلو كانت الفصول السابقة تحمل أهوالًا بشعة من قتل واغتصاب وأشباح، فما بالك إذاً بالحرف الأخير، الذي أثق أنه سيحمل كافة تلك البشاعة بكميات مضاعفة.. إن حياتي على المحك هنا ويجب أن أقرر

إذا قررت أن توقف اللعبة اذهب لصفحة رقم (١٦٤)

إذا قررت أن تواصل اللعب اذهب لصفحة رقم (١٧٠)

-هل أنت واثق من هذا؟ يمكنك إعطائي اللعبة فحسب، ولكن ليس هنالك داع لتسليمي جهاز ال playstaionوشاشة التلفاز خاصتك

قالها (فكري) وأنا أقف معه تحت باب منزلي، بينما أشاهد أتباعه من صائدى الثيليما وهم ينقلون أجهزة ألعابي إلى عربة تجر في مؤخرتها صندوقًا ضخمًا لنقل البضائع، مثل التي نشاهدها وهي تنقل البقالة للأكشاك والمحلات الكبرى

حتمًا اللعبة وما معها من مرفقات ليست بهذه الضخامة، بل يمكن تشوينها في صندوق أي سيارة عادية. ولكن على حسب كلام (فكري) فهو لا يضمن مدى لعنة عتاد الخطاه تلك، لهذا يفضل الزج بها في مقطورة خاصة، مبطنة من داخلها بطلاسم من المفترض إنها تعمل على الحد من بطشها.

حتى إن أتباعه لم يمسوا اللعبة قط دون التأكد من ارتداء قفازات واقية! في البداية ظننت إنهم يتعاملون مع تلك اللعنة على إنها فيروس بيلوجي مثل سلسلة resdent evil .. تبًا.. هل لازلت أشبه كل شيء في حياتي بالألعاب؟ يجب أن أتوقف عن تلك العادة المقيتة من الآن فصاعدًا

فأجبت (فكري) بعد تفكير:

-لا أعتقد إن أمر اللعنة قد ينتهي بتسليمك اللعبة فحسب، يجب أن أتخلص من كل شيء لامسها أو له علاقة بها، لأضمن لنفسي أنني نجوت منها سالمًا

قلت عبارتي الأخيرة بابتسامة منكسرة، فهم (فكري) مقصدها على

الفور وهو يقول مواسيًا:

-أنا في غاية الأسف لما أصابك، ألم يجد الأطباء حلًا سوى بتر ساقك؟

-مع الأسف أدت خشونة المفاصل في ركبتي اليمنى إلى تورم كافة الأربطة والأوصال بها، وإن لم أبترها الآن، قد يتفاقم الأمر وتنتشر تلك الخشونة بجسدي كله

ربت (فكري) على كتفي بحنان أخوي حين لاحظ دمعة تترقرق في عيني ثم تابع:

-سنتحمل كافة تكلفة تلك العملية، ودعني أذكرك أنك محظوظ، فغيرك الكثير لم ينج من لعنة عتاد الخطاه، وسقطوا ضحايا بسببها.. إن خسارة ساقك هي ضريبة أن تظل حيًا

عقبت ساخرًا:

-بل هي ضريبة أن أظل بقواي العقلية دون أي جنون عظمة.

-ماذا تقصد؟

قلت مغيرًا الموضوع:

-لا عليك.. ولكن.. بعد كل هذا.. يظل هناك سؤالًا واحدًا لم أجد له إجابة حتى الآن.. لماذا لعبة فيديو؟

أجانبي بأن الأمر يعود لأصل عتاد الخطاة نفسها، أنهم سبع عتاد، كل واحدة منهم تعبر عن أحد الخطايا السبعة المميتة، وبما إن الخطيئة شيء نسبي ومتغير مع الزمن، لهذا العتاد هي الأخرى تتغير

مع اختلاف العصور. ربما منذ قرن،كانت اللعبة عبارة عن رسالة ورقية، ثم تحولت إلى شريط كاسيت، أو إلى شريط فيديو، أو أي صورة غرضها الأساسي هو عرض تلك القصص الشنيعة للقتلة والأماكن الملعونة.

أنا أحب ألعاب الفيديو، لهذا اتخذت اللعبة هذا الشكل، فلو كنت من هواة تجميع أسطوانات الجرامافون على سبيل المثال، لكانت تقمصت تلك الهيئة بدورها

ليس لديهم معلومة متى تم صنع تلك العتاد، لكنها موجودة منذ القدم، ولكن لسبب ما، كانت خامدة، مثلها مثل أي خردة ليس لها قيمة، قد تكون تلك الخردة صلبة بعض الشيء، أي أنها لا يمكن تدميرها بأي طريقة كانت، سواء بالحرق أو التفجير، ولكنها تظل مجرد أغراض عشوائية لا ضرر أو نفع منها.

ولكن في الأونة الأخيرة، تم إعادة تنشيط العتاد، دون معرفة السبب الحقيقي وراء الأمر، وراحت تنشر بطشها المميت في مختلف بقاع العالم، ولهذا لم يستطع (فكري) الوصول إلى داري بمجرد بدايتي في اللعبة، لأنه كان يفصل بيننا دول ومحيطات، وحين وصل أخيرًا كنت قد اجتزت نصف اللعبة بالفعل. ولكن كما تقول الأمثال الشعبية، أن يأتي متأخرًا أفضل من ألا يحضر من الأساس.

سأل (فكري) محاولًا تغيير الموضوع:

-ما الذي ستفعله في حياتك بعد العملية؟

-ليس لدي العديد من الخيارات مع الأسف، ولكن لو كان هنالك

شيئًا واحدًا قد تعلمته من الألعاب، فهو اللغة الإنجليزية.. بسبب الألعاب صرت أتقن الأنجليزية أكثر من لغتي الأم، لهذا أرى أن وظيفة معلم لغة إنجليزية ليست بالسيئة.. سأعاني في البداية صعوبة تقبل معلم بساق واحدة في الوسط التعليمي، لكنني واثق من إنني سأتخطى كل هذا الوقت

-هذا جميل، ولكن لماذا لا تستمر في تطوير لعبتك التي حدثتني عنها مع تلك الشركة الكبرى التي وافقت على تبنى مشروعك ولا أتذكر اسمها؟

-أعتقد إن الأمر مُقدر له الفشل دون شك، لقد وصلت لهذه الخطوة بسبب تلك اللعبة الملعونة، لهذا أريد اعتزال أي شيء قد يذكرني باللعبة مرة أخرى أو بتلك الفترة بشكل عام، سواء بتطوير الألعاب أو لعب ألعاب الفيديو على حد سواء

فأجابني مستنكرًا:

-اعذرني يا صديقي، لكنني أختلف معك في هذه النقطة، أعلم أن تجربة التعامل مع عتاد الخطاه ليست بالهينة، كما إنها ستترك بك أثرًا ملازمًا، ستتذكره مدى الحياة. لكن هذا لا يعني أن الدنيا توقفت عند هذا الحد. لقد طلبت عوني وقدمت لي اللعبة كي تنجو بحياتك وليس تقييدها.. أنت بتلك الطريقة لن تمضي قُدمًا أبدًا ولن تتخطى تلك الحادثة.. قد يفشل تعاونك مع شركة إنتاج الألعاب كما ادعيت، وقد ينجح أيضًا، من يعلم.. إنها أقدار.. لن نعلم ما يخبئة لنا المستقبل إلا بالتجربة، وليس بتلك السلبية وتوقع الأسوء دائمًا

-أعلم كل ما قلته للتو، وتلك التجربة لم تحولني لأسير لها كما

تظن، بل زادت من ثقتي بنفسي، فربما خسرت ساقي وسأترك الألعاب وهي الشيء الوحيد الذي أحبه وأبرع فيه، ولكنني على الناحية الأخرى علمت أن رجاحة عقلي واختياري للقيام بالفعل السليم، هما أقوى من لعنات الشيطان ذاتها.. لكنني أحتاج بعض الوقت للراحة فحسب، والتأكد أن حالتي النفسية مستقرة، وبعدها سأعاود التواصل مع شركات إنتاج الألعاب، وأكتسب فرصة للعمل معهم، ليس بفضل لعنة تلك المرة، بل استنادًا على مهارتي الشخصية فحسب

ظل (فكري) ينظر صوبي صامتًا، كما لو إنه يتأملني، فسألته:

-ماذا بك؟ هل كلامي يبدو غير منطقيًا لك؟

-على العكس.. كلامك منطقي لأبعد حد، رغم أنني لم أراك سوى مرة واحدة، لكن طريقة كلامك وتفكيرك مختلفة كل الاختلاف عن المرة السابقة، كما لو إنك نضجت ولم تعد ذلك الشاب العنيد الذي لا يريد سماع صوتًا غير نفسه

ابتسمت بحسرة وأنا أفكر في الثمن الذي دفعته لاكتساب هذا النضج مردفًا:

-ربما يحتاج المرء منا لصدمة ما كي يعيد ترتيب أولوياته ويعيد النظر للمعطيات من حوله

صافحني (فكري) مودعًا، فعانقته كما لو كان صديقًا غاليًا سيسافر بعيدًا ولن أقابله مرة أخرى، رغم علاقته السطحية بي. لايزال احتمال أن يكون (فكري) هذا محض نصاب أمرًا قائمًا، فربما يكون

عابد للثيليما وليس صائدًا لها، أو رجل أعمال مختل من هواة جمع الأغراض الملعونة حول العالم. ولكن لا يعنيني معرفة أصله أو حتى ما سيفعله باللعبة.. لقد خلصني من لعنتها وهذا هو المهم

قال وهو يركب سيارته مستعدًا للرحيل:

-معك رقمي الشخصي وأرقام قادة آخرين في منظمة الصيادين، اتصل بي أو بهم في أي وقت إن شعرت بشيء غريب.. من يدري، فرغم ضآلة احتمال حدوث هذا، ولكن قد تحاول اللعنة اللحاق بك من جديد.

-لماذا قد يحدث هذا؟ لماذا وقعت اللعبة بيدي في بداية المطاف؟ ما المميز بي لتلك الدرجة لتحل علي لعنة الشيطان الواحد والعشرين

أخبرني (فكري) قبل أن يرحل وتختفي سيارته في الأفق.. إن ما يعلمه عن الشيطان الواحد والعشرين هو إن حياته عبارة عن سلسلة من الانتقامات، فربما لي علاقة بالحريق الذي حدث في مدرسة (جمال عبدالناصر) للطلبة المتميزين، أو لي صلة بمقتل مساعده (إيواس)، أو حتى أنا من نسل (عبد الله بن الحظرد) أو نسل أقاربه الذي تسبب في تعطيل خطته في المقام الأول. مهما كانت الأسباب، سأبحث عنها فيما بعد فلدي الآن عملية يجب اللحاق بها، ومن بعدها ستكون ولادتي الجديدة.

تمت

ي
يقتل

كما بدأناها بالقتل، سننهيها بسفك الدماء مع يد الشيطان

من وراء جدرانٍ بعيدة، نرى عائلاتٍ نتخيلُها مثاليةً، تسكنُ بيوتًا فاخرةً، وتنعمُ بحياةٍ هانئةٍ. فالأبُ يعملُ في منصبٍ مرموقٍ، يُؤمّنُ دخلاً مُريحًا، والأبناءُ يُبرعونَ في دراستهم، ويُبدعونَ في مجالاتِهم. كلُّ المؤشراتِ تُشيرُ إلى حياةٍ عائليةٍ مستقرةٍ، هانئةٍ.

ولكن، كم من مرّةٍ خدعنا البصرُ، ولم يُظهِر لنا الحقيقةَ كاملةً؟ وكم من أسرارٍ تُخبئُها تلك الجدرانُ المغلقةُ عن أعيُنِنا؟ فما نراهُ ونسمعهُ قد لا يعكسُ الواقعَ المُعاشَ، بل قد يُخفي وراءهِ آلامًا وأسرارًا لا نُدركُها مثل ما حدث مع قاتل حرف الياء

***

بزغ فجر السابع عشر من سبتمبر عام ألف وتسعمائة وخمسة وعشرين، حاملاً معه قدوم مولود جديد لعائلة ليست في مدينة باي سيتي بولاية ميشيغان الأمريكية. وُلد «جون ليست» لوالدين ألمانيين هما «جون فريدريك ليست» و«ألما ماريا ليست»، اللذان رزقا به في سن متقدمة، حيث كانا قد تجاوزا عقدهم السادس. سبق لجون ثلاثة أشقاء: «ويليام» الأكبر سناً بثلاث وثلاثين عاماً، و«فريدريك» الذي يكبره بستة أعوام، و«ماريا» التي وافتها المنية قبل عام من ميلاده. وبما أنّ إخوته كانوا قد كوّنوا عائلاتهم وحياتهم الخاصة، فقد نشأ جون وحيداً في كنف والديه، كأنه الابن

البكر.

تمسكت العائلة بأكملها بالعقيدة الويليما، ممّا انعكس على سلوكياتهم المحافظة. فكانوا منعزلين عن جيرانهم، لا يخالطون أحداً، ويمتنعون عن حضور أيٍّ من التجمعات الاجتماعية. حرصت الأم «ألما» على حماية ابنها من اللعب مع أقرانه أو أطفال الجيران، خوفاً من الأمراض أو اتساخ ملابسه. اتّسمت علاقة جون بوالده بالبرود وانعدام المشاعر الدافئة، ربما مردّه كبر سنّ الوالدين عند إنجابه وتربيته الصارمة على أسس دينية صارمة.

نشأ جون مُلزمًا بأن يكون مظهره أنيقًا ومُرتّباً على الدوام. غُرِس في ذهنه منذ صغره واجبُه المستقبلي في تكوين أسرة وتحمل مسؤولية العيش. حُرم جون من طفولة عادية كباقي الأطفال، حيث لم يُسمح له باللعب أو الجري بحرية، بل كان يدرس كتاب القانون. ورغم ذلك، لم يتعرّض لأيّ إساءة أو معاملة سيئة من والديه. فقد كان يرى والده مُجِدّاً في عمله يكافح من أجل توفير لقمة العيش له ولأمه، ممّا زرع في نفسه قيم المسؤولية والاعتماد على النفس.

في عام ألف وتسعمائة وثلاثة وأربعين، التحق جون ليست بالجيش الأمريكي، لينضمّ إلى سلاح المشاة كفني مختبر خلال الحرب العالمية الثانية. وبعد أقلّ من عام، فُجع بوفاة والده، فاستمرّ في خدمته العسكرية لثلاث سنوات أخرى قبل تسريحه. استثمر جون سنواته في الجيش خير استثمار، فالتحق بجامعة ميشيغان فور انتهاء خدمته، وحصل على شهادة بكالوريوس في إدارة الأعمال، تلتها شهادة الماجستير في المحاسبة، مُثبتاً تفوقه ونبوغه

في مجال الدراسة.

في نوفمبر من عام ألف وتسعمائة وخمسين، تصاعدت حدّة الحرب الكورية، ممّا أدّى إلى استدعاء جون للخدمة العسكرية مرة أخرى، فنُقل إلى ولاية فرجينيا. وهناك، التقى «بهيلين موريس تيلور»، السيدة التي ستُصبح زوجته فيما بعد. كانت هيلين تكبره بثمانية أشهر، وقد أصبحت أرملة حديثاً بعد وفاة زوجها في الحرب. عاشت هيلين في فرجينيا مع ابنتها «بريندا» من زوجها الراحل.

جمع القدر بين جون وهيلين في مدينة بالتيمور بولاية ماريلاند الأمريكية، لتنشأ بينهما قصة حب سرعان ما توجت بزواجهما في ديسمبر ١٩٥١. لم يكن زواجهما مبنيًا على الحب وحده، بل على كذبة بيضاء نسجتها هيلين، مدعية حملها، حرصًا منها على ربط جون بها إلى الأبد. وعندما انكشف زيف حيلتها، لم يملك جون سوى الاستسلام لمصيره، ملتزمًا بقيم دينه التي تحرم الطلاق.

قادتهم رحلتهم بعد الزواج إلى شمال كاليفورنيا، حيث عمل جون كمحاسب عسكري. وبحلول عام ١٩٥٢، انتهت خدمته العسكرية، ليبدأ رحلة جديدة في عالم المحاسبة، متنقلاً بين مختلف الشركات والمناصب في ديترويت وكالامازو بولاية ميشيغان. لم يكن تنقله نابعًا عن الطموح فقط، بل عن شعور عميق بالوحدة، حيث لم يكن له أهل يشاركونه عيش الحياة.

استقرت عائلة جون وهيلين في كالامازو لفترة طويلة نسبياً، وأنجبوا أربعة أطفال: باتريشا (١٩٥٥) وجون جونيور (١٩٥٦) وفريديريك (١٩٥٨) إلى جانب بريندا، ابنة هيلين من زواج سابق.

بعد ولادة فريديريك، تكللت جهود جون المهنية بالتقدم، حيث حظي بترقية مميزة. لكن سعادته لم تكتمل، فواجهت عائلته تحديًا جديدًا تمثل في إدمان هيلين للكحول، مما ألقى بظلاله على حياتهم. تزامن ذلك مع زواج بريندا ومغادرتها للمنزل عام ١٩٦٠.

لم يستسلم جون للظروف، وقرر الانتقال مع عائلته إلى روتشستر بنيويورك إثر عرض عمل مغرٍ. استقروا هناك لفترة قصيرة حتى حظي بترقية مهمة أخرى، دفعته للانتقال مجددًا، هذه المرة إلى جيرسي سيتي بولاية نيوجيرسي، حيث قبل عرض عمل في أحد البنوك. اصطحب معه في هذه الرحلة والدته ألما ماريا، رغبةً منه في لم شمل العائلة.

استقر جون وعائلته في قصر فخم من ١٩ غرفة في ويستفيلد بنيوجيرسي، كان بمثابة حلم هيلين الذي تحقق. لكنّ هذا الحلم لم يكن دون ثمن، حيث اضطر جون لطلب المساعدة المالية من والدته لشراء القصر، تاركًا وراءه وعدًا بسداد المبلغ لاحقًا.

وصفَ الجيرانُ تلك العائلةَ بأنّهم مُتدينونَ مُتشدّدونَ، يكتنفُهم الغموضُ، ويُغلقونَ على أنفسهم بابَ التواصلِ مع الآخرين. عاشت العائلةُ في عزلةٍ اختارتها، وابتعدت عن ضجيجِ العالمِ وضغوطه.

[redacted]

أيّ مشاكل تذكر. اتجهت بالرياضة [redacted] بدوراتٍ في الدرامِا والمسرحِ. بينما انغمسَ جون جونيور في عالمِ كرةِ القدمِ، مُشاركًا في مبارياتِ المدرسةِ بحماسٍ لا ينقطع. أما فريدريك، فقد كان طالبًا مُجتهدًا، يُنيرُ دروبَ المعرفةِ بذكائه.

لكن خلفَ ستارِ تلك الحياةِ الهادئةِ، كانت تَختبر العائلةُ صراعًا داخليًا هائلًا. فكانت صحةُ هيلين تُسوءُ يومًا بعدَ يومٍ، وازدادَ إدمانُها على الكحولِ تأثيرًا على حياتها وعلى علاقتها بجونٍ وبقيةِ أفرادِ الأسرة.

أما جونُ نفسه، فقد بدا للجميع منطويًا منعزلًا، يفتقرُ إلى الأصدقاءِ والعلاقاتِ الاجتماعيةِ. حاولَ جونُ الاقترابَ من الآخرينِ والتواصلَ معهم، لكن سرعانَ ما واجهَ صعوبةً في تكوينِ الصداقاتِ وبناءِ العلاقاتِ. عانت عائلةُ جونَ من صعوبةِ فهمِ سلوكهِ، بينما ظلّ هو حبيسَ صمتهِ، يخفي عنهم السببَ الحقيقيّ وراءَ تنقلهِ من وظيفةٍ إلى أخرى.

كانَ جونُ يُفصَلُ من عملهِ بشكلٍ مُتكرّرٍ بسببِ فشلهِ في التواصلِ الاجتماعيّ. وصفهُ أحدُ مدرائهِ السابقينَ بِأنه «غيرُ مُريحٍ في التعاملِ». واجهَ جونُ صعوبةً في الحفاظِ على وظيفتهِ الجديدةِ في نيو جيرسي، فَفُصِلَ بعدَ فترةٍ قصيرةٍ، ولم يجد سوى وظائفَ أخرى بِرواتبٍ أقلّ

ازدادَ الضغطُ الماديّ على جونٍ وعائلتهِ بسببِ قلةِ المالِ وارتفاعِ تكاليفِ المعيشةِ، ناهيكَ عن عبءِ الدينِ الذي ورثهُ عن والدتهِ. كلّ ذلكَ شكّلَ عبئًا نفسيًا هائلاً على جونٍ، دفعهُ إلى كتمانِ مشاعرهِ وأسرارهِ عن الجميعِ.

منذَ شهرِ أكتوبرَ عامَ ألفٍ وتسعمائةٍ وواحدٍ وسبعينَ، اتّخذَ جونُ قرارًا غريبًا. أصبحَ يستيقظُ كلّ صباحٍ، يتناولُ الفطورَ، يرتدي ملابسَهُ، ويذهبُ إلى محطةِ القطارِ. هناك، يقضي ساعاتِهُ في القراءةِ،

سواءً من جريدةٍ أو أيّ كتابٍ، حتى موعدِ انتهاءِ وقتِ العملِ. وعندَ عودتهِ إلى المنزلِ، يتظاهرُ وكأنّهُ كانَ يعملُ طوالَ اليومِ. استمرّ جونُ في هذا السلوكِ الغامضِ لأسابيعَ، دونَ أنْ يُخبرَ أحدًا بِفصلهِ من عملهِ.

من بعيد، بدت الحياة في ذلك البيت كلوحة هادئة، تسير بخطى روتينية على إيقاع اعتيادي. لم تكن ثمة بوادر تدل على عاصفة تختمر في داخله، أو سر غامض يلفّه. لم يكن سكانه من أولئك الذين يكثرون من التفاعل مع جيرانهم، فكانت حياتهم أشبه بجزيرة منعزلة وسط بحر من البشر.

في منتصف شهر نوفمبر من ذلك العام، لاحظ الجيران ظاهرة غريبة: أنوار البيت مشتعلة على مدار الساعة، في جميع طوابقه الثلاثة، دون أي حركة أو صوت يدل على وجود حياة داخله. استمرّ هذا المشهد الغريب لنحو شهر كامل، كأنّ المنزل أصبح شبحًا يطلّ على الحيّ بصمت مُريب.

ازدادت حدة القلق مع مرور الوقت، وتصاعدت موجة من التساؤلات المُقلقة: أين اختفى سكّان هذا البيت؟ ماذا حلّ بهم؟

في نفس الوقت الذي اجتاح فيه القلق أرجاء الحيّ، كان هناك شخص آخر يشعر بقلق عميق لا يقلّ عن قلق الجيران. كان ذلك الشخص هو (إدوين إليانو)، مُدرس الدراما لـ (باتريشا) ابنة (جون) صاحب المنزل المُختفي.

وصل إلى المدرسة خطاب من (جون) يفيد بسفر العائلة لزيارة جدّتهم المريضة، لكن إدوين لم يقتنع بهذا التفسير. كان هناك شيء

ما في داخله يخبره أنّ هناك أمراً خطأ، وأنّ العائلة ليست بخير.

ازدادت شكوك إدوين عندما علم من باتريشا، في أحد أيام شهر نوفمبر، أنّ والدها قد هدّدها بقتل العائلة بأكملها. أخبر إدوين صديقه (جايمس موران)، الشرطي السابق والقسّ الحالي، بما حدث، لكنّ جايمس لم يُبدِ اهتمامًا كبيرًا بالأمر.

مع ازدياد مدة اختفاء العائلة، لم يستطع إدوين أن يهدأ. قرّر هو وصديقه (مدرس آخر) التوجه إلى المنزل للتأكد من سلامة العائلة.

في السابع من ديسمبر عام ١٩٧١، حدث ما أثار قلق الجيران مجدّداً. فقد لاحظوا رجلين واقفين أمام المنزل، يتلصصان من النوافذ ويتجوّلان حوله بحركات مشبوهة. على الفور، اتصلوا بالشرطة.

وصل ضابطان من الشرطة إلى المكان، واستمعا لشكوك إدوين وخوفه على مصير العائلة. قرّر الضابطان اقتحام المنزل، فوجدوا نافذة يمكن الدخول من خلالها دون الحاجة إلى كسر الباب.

وبمجرد دخولهم، هبّت في وجوههم رائحة كريهة، كأنّها تُخبرهم بحكاية مأساوية حدثت بين جدران ذلك المنزل. لقد تأخّروا كثيرًا في اكتشاف الحقيقة المُرّة.

لم تكن الرائحة الكريهة هي الغريبة وحدها، بل سمعا نغمات موسيقى جنائزية تتردد داخل أروقة المنزل، بينما كانت جميع الأنوار مُطفأة سوى مصباح وحيد. خطواتهم الحذرة قادتهم عبر ممرات الظلام، مستعينين بضوء كشافاتهم، حتى وصلوا إلى غرفة

أشبه بقاعة رقص، ستائرها مسدلة على المدخل. وفجأة، ازدادت كثافة الرائحة عند ملامسة الستائر، ليكشفوا عن مشهد مروع هزّ أركان القصر.

أمام أعينهم، رقدت أربع جثث هامدة على أكياس النوم، مُغطاة كل منها بقطعة قماش. الضحايا كانوا: هيلين، السيدة صاحبة المنزل والتي تبلغ من العمر ٤٥ عاماً، وابنتها باتريشا ذات الـ ١٦ عاماً، وابنها جون جونيور ذو الـ ١٥ عاماً، وآخرهم فريدريك الذي لم يتجاوز عمره ١٣ عاماً.. ونقش بالدماء على الأرض رقم ٢١.. بدا واضحاً أنهم لقوا حتفهم منذ زمن بعيد، حيث بدأت أجسادهم تتحلل.

على الفور، بدأ تمشيط المنزل بحثاً عن أي أدلة. وبينما كانوا ينقبون في كل زاوية، عثروا على خطاب من جون، عبارة عن رسالة اعتراف مؤلمة تتكون من خمس صفحات. كشفت كلمات جون سرّاً مروعاً، اعترف جون بقتل والدته إلما، العجوز صاحبة الـ ٨٤ عاماً، والتي تُقيم في الطابق العلوي. لم يتمكن من إنزال جثتها إلى الأسفل لدفنها مع باقي أفراد العائلة لثقل وزنها. كما عُثر على سلاح الجريمة، ليكتمل بذلك مشهد الجريمة المروعة.

لكن ما الذي دفع جون لارتكاب هذا الفعل البشع؟ لمعرفة ذلك، علينا العودة بالزمن إلى الوراء، وتحديداً إلى يوم ٩ نوفمبر من عام ١٩٧١. كان جون حينها يبلغ من العمر ٤٦ عاماً. استيقظ من نومه كالمعتاد، وأيقظ أطفاله للتوجه إلى المدرسة. جلسوا معاً على مائدة الإفطار، ثم جهزوا أنفسهم وانطلقوا إلى المدرسة. بعد ذلك، توجه جون إلى عمله، أو بالأحرى ما كان يُفترض أن يكون عمله، لولا

أنه كان قد فُصل منذ أسابيع. تراكمت الديون عليه، وبات هاجس الإفلاس يطارده، مما جعله يفقد الشجاعة لمواجهة أسرته وإخبارهم بحقيقة وضعه المتردي.

ازدادت معاناته عندما اكتشف إصابة زوجته هيلين بمرض الزهري، والذي انتقل إليها من زوجها الأول. أخفت هيلين مرضها عنه، بينما كانت تُدمن الكحول والمهدئات، لدرجة فقدانها الوعي أحياناً. كما لاحظ جون ضعف بصرها في عينها اليمنى بشكل ملحوظ.

أما ابنته باتريشا، فقد كانت تحلم بأن تصبح ممثلة، وهو ما اعتبره جون مهنة مليئة بالخطايا تقود صاحبتها إلى الجحيم. لقد عانت العائلة خلال فترة السبعينيات من وساوس شيطانية، حسب وصفه، فما العمل؟

هنا، لمعت في ذهن جون فكرة قاتمة: قتل عائلته بأكملها «إنقاذاً لهم من الخطايا» التي سئلقي بهم في الجحيم، على أمل لم شملهم في الجنة! هكذا برّر جون فعلته في تفكيره المُضطرب. الانتحار لم يكن خياراً، فهو يعتبره خطيئة لا تُغفر، بينما هو في نظره «يُنقذ» عائلته من مصير أسود.

خرج الصبية من بيتهم في ذلك اليوم عازمين على المدرسة، تاركين وراءهم أمّا هادئة تجهز إفطار العائلة. لم يدر أحدٌ في ذلك الحين أنّ هذا اليوم سيكون شاهداً على مأساةٍ هزّت أركان ذلك البيت، وأنّ الأمان الذي سكنه قد تحوّل إلى مسرحٍ لجريمةٍ بشعة.

فما هي إلا لحظاتٌ قليلة حتى هبط الظلام على ذلك البيت، عندما باغت الزوج زوجته الغافلة برصاصةٍ قاتلة أودت بحياتها من الخلف،

تاركاً جسدها هامداً على الأرض. لم يكتفِ بذلك، بل قام بلف جثتها في كيسٍ و شدها بلا رحمةٍ إلى قاعة الرقص

لم يمضِ وقتٌ طويلٌ حتى طالت جريمته ضحيّةً أخرى، فصعد إلى الطابق العلوي حيث كانت والدته تتواجد، و أطلق رصاصةً استقرت فوق عينيها، فأجهز عليها في الحال. لم يُبدِ أيّ شعورٍ بالندم أو الأسى، بل قام بتغطية وجهها بملائة الفراش وترك جسدها مرمياً على الأرض، كأنّها لم تكن يوماً ما جزءاً من عائلته.

نزل القاتل إلى الطابق الأرضي، وبدأ تنظيف آثار جريمته في المطبخ، وكأنّه لم يرتكب أيّ فظاعةٍ قبل لحظات. جلس على نفس الطاولة التي تقاسما عليها الإفطار قبل ساعاتٍ قليلة، وبدأ بتناول الطعام بشهيةٍ غريبة، وكأنّ شيئاً لم يحدث.

بعد أن انتهى من طعامه، قام بكتابة رسائلٍ إلى مدرسة أطفاله وبعض معارف العائلة، يخبرهم فيها بأنّه سيأخذ والدته المريضة لرحلة علاجية في كارولينا الشمالية. حرص على إرسال هذه الرسائل عبر البريد، وإلغاء خدمة توصيل البريد والصحف إلى المنزل، خوفاً من أن تثير تراكمها الشكوك. كما قام بسحب جميع الأموال من حساب والدته.

اتصلت به ابنته باتريشا خلال ذلك اليوم، تخبره بأنّها مريضة و تطلب منه أن يأخذها من المدرسة مبكراً. وافق الأب على الفور، وذهب لإحضارها. وبمجرد دخولها المنزل، أطلق عليها رصاصةً في مؤخرة رأسها، فارقت على إثرها الحياة. قام بنقل جثتها إلى قاعة الرقص، تاركاً إياها بجانب جثة أمها.

كان فريدريك، ابن القاتل الآخر، هو التالي على قائمة ضحاياه. فما إن وطأ قدمه عتبة المنزل، حتى أطلق عليه رصاصةً قاتلة في رأسه، فارق الحياة على الفور. شد جثته هو أيضاً إلى قاعة الرقص، ليكمل مأساته المروعة.

ولكنّ مأساة هذا الرجل لم تنتهِ عند هذا الحدّ، ففي مشهدٍ يدلّ على مدى وحشيته و خلوّه من أيّ مشاعرِ إنسانية، ذهب لمشاهدة ابنه جون جونيور يلعب كرة القدم بعد المدرسة. شجّعه و هتف له وكأنّه أبٌ حنون، بينما كان في داخله يخبئ نيةً خبيثة.

بعد انتهاء المباراة، اصطحب الأب ابنه إلى المنزل، و هناك قام بفعلته الشنيعة للمرة الثالثة، فأطلق رصاصةً في رأسه من الخلف. لم يمت الابن على الفور، بل ظلّ يصارع الموت، فقام الأب بإطلاق تسع رصاصاتٍ أخرى عليه حتى تأكد من موته. جرجر جثته هو أيضاً إلى قاعة الرقص، ليكتمل مشهد الجريمة البشعة.

بلا ذرة ندم أو تأثر، نفذ جون فعلته الشنعاء. صلّى فوق جثث ضحاياه، ثمّ شرع بتنظيف آثار جريمته بِرَوحٍ هادئة. جهز عشاءه، وتناوله وحيدًا على مائدة ملطخة بالذكريات. غسل الأطباق وأعادها إلى أماكنها، قبل أن يعتلي درج السلم متجهًا إلى غرفته في الطابق العلوي. همس لنفسه: «هذه هي الليلة التي سأنام فيها قرير العين لأول مرة.. من أجل القاهر نضحي، حتى يتسلح الأعظم ويسود». بينما كان يعلم جيدًا أنّ جثث عائلته ملقاة أسفل قدميه.

مع حلول فجر اليوم التالي، ملأ جون أرجاء المنزل بضوء الشمس، وشغل الموسيقى بأعلى صوت، ليُوهم أيّ عابر سبيل بأنّ الحياة

تسير كالمعتاد داخل هذه الجدران. خفض درجة حرارة القصر للحفاظ على سلامة الجثث ومنع انبعاث رائحة كريهة قد تكشف جريمته.

انكبّ جون على كتابة رسالة اعترافه، مُوجهًا إيّاها إلى القسيس. جمع كلّ الصور العائلية التي تواجد فيها، عازمًا على محو أيّ أثرٍ يدلّ عليه. سعى جاهداً لقطع أيّ صلة تربطه بالماضي، حرصًا منه على منع الشرطة من العثور على صور تُسهّل مهمة تعقّبه ونشر ملصقات تبحث عنه.

أغلق جون الباب خلفه ورحل. لم تكتشف الشرطة الجريمة المروعة إلّا بعد مرور شهر كامل. منح ذلك لجون مهلةً كافيةً للهرب والتخفّي عن أعين العدالة. كرّست الشرطة جهودها للبحث عن أيّ دليلٍ يقودهم إليه، واستجوبت كلّ من له صلة بالعائلة دون جدوى.

ومع مرور الأيام، لفتت سيارة جون أمام مطار جون ف. كينيدي الأنظار. لم تُثبت مراجعة حجوزات السفر ما إذا كان قد غادر البلاد بالفعل، تاركًا وراءه علامة استفهامٍ كبيرة تُحير المحققين.

وبعد شهرٍ من اكتشاف الجثث، شبّ حريقٌ هائلٌ في قصر عائلة جون. وعندما طالت ألسنة اللهب السقف الزجاجي لقاعة الرقص، كشفت عن مفاجأةٍ مذهلة: كانت تلك الجدارية لوحةً فنية أصلية للفنان الأمريكي الشهير لويس كومفورت تيفاني، مؤسس شركة Tiffany & CO.، وقدّرت قيمتها في ذلك الوقت بِمائة ألف دولار.

أدرك جون أخيرًا أنّ مفتاح خلاصه كان أمام عينيه طوال الوقت. كان ثروته المدفونة تكمن في قاعة الرقص نفسها التي اتّخذها

مسرحًا لجريمته البشعة.

ظلّت الشرطة تبحث عن جون لسنواتٍ طويلة دون جدوى. حاولوا نشر قصته في وسائل الإعلام، عسى أن يُساهم أحدٌ في كشف مكانه. لم تثنِهم صعوبة المهمة عن مواصلة السعي وراء العدالة، حتى عام ١٩٨٩، أي بعد مرور ثمانية عشر عامًا على اختفاء جون.

في ذلك العام، عرض برنامج "America's Most Wanted" المختصّ بملاحقة المجرمين الهاربين، قضية جون التي عرفت بقضية يد الشيطان. تواصلت الشرطة مع طاقم البرنامج سعيًا منهم لعرض تفاصيل الجريمة، لكنّ رفضًا قاطعًا قابَلَ طلبهم بدعوى أنّ القضية قديمة

ولكن لحسن الحظ، لفتت القضيةُ انتباهَ جون والش، مقدمَ البرامجِ الجنائيةِ الشهيرِ، المحققِ الجنائيّ، والمدافعِ عن حقوقِ الضحايا. فما أن علمَ بالقضيةِ حتى هبّ للدفاعِ عن ضحايا القاتلِ المتواري، وقرّرَ كشفَ هويتهِ وتقديمَه للعدالةِ.

ولكن كيفَ سيفعلُ والش ذلك؟ لقد مرّ على الجريمةِ ثمانيةَ عشرَ عامًا، ولم يَعُد لدى أحد صورةٌ حديثةٌ لجون ليست، أو أيّ دليل

ريتشارد والتز لشخصيةِ جون.

ولم يكتفِ بيندز بذلك، بلْ درسَ شخصيةَ جون لِيستَ بدقّةٍ، حتّى أنّهُ اشترى نظّارةً ذاتَ إطارٍ سميكٍ بناءً على تحليلهِ لشخصيةِ جون، المُحبِّ للشعورِ بالأهميةِ والنجاحِ. كما اهتمّ بيندز بأدقِّ التفاصيلِ، فصنعَ لِجونِ تمثالًا ذا شعرٍ متراجعٍ وعلاماتِ صلعٍ واضحةٍ.

وعرضَ البرنامجُ التمثالَ على الجمهورِ في الحادي والعشرينَ من مايو عامِ ألفٍ وتسعمائةٍ وثمانية وثمانينَ. وتابعَ البرنامجَ حوالي اثنينِ وعشرينَ مليونَ مشاهدٍ، من بينهم امرأةٌ وابنتها تعرّفتا على الفورِ على ملامحِ جون لِيستَ في التمثالِ، فاتّضحَ لهما أنّه جارهما السابقُ «بوب كلارك".

أبلغتا الشرطةَ الفيدراليةَ باكتشافِهما، فداهمت منزلَ «بوب كلارك» في الحادي عشرِ من يونيو عامِ ألفٍ وتسعمائةٍ وثمانية وثمانينَ. واجهَته الشرطة باتّهامِهِ بأنّهُ جون لِيست، فأنكرَ ذلكَ بشدّةٍ.

ولكن لم ينفعه الإنكار، فقد أثبتت بصماته مطابقتها مع بصماتِ القاتلِ في مسرحِ الجريمةِ. وبعدَ أشهرٍ من الإنكارِ، اعترفَ «بوب كلارك» أخيرًا بأنّهُ جون لِيست

وفي سجن قاتم، أصدر أخصائي الطب النفسي حكمه القاطع: «مُصاب باضطراب الوسواس القهري». حاول محاميه جاهداً التخفيف من وطأة الحكم، مُدعيًا غياب وعي موكله واضطرابه العقلي، كدافعٍ وراء جريمته البشعة - قتل عائلته.

لكن هيئة المحلفين لم تُصغِ لِهذه الادعاءات. فما خطط له جون

لم يكن وليد لحظة عابرة أو هفوة طائشة، بل كان مسرحية مُتقنة حاكها خيطًا بخيط على مدار شهور. حتى هو بنفسه اعترف، بلسانه المُتلعثم، بأنه سأل أفراد عائلته قبل أسابيع من قتلهم عن رغباتهم في الدفن أو الحرق، وعن مراسم جنازتهم.

في الثاني عشر من أبريل عام ١٩٩٠، نطق هيئة المحلفين بكلمة الفصل: «مذنب». أدين جون بخمس تهم قتل، ونال عقوبة مُستحقة: خمسة أحكام مؤبدة متتالية.

ولكن المأساة لم تنتهِ عند هذا الحد. فقد ظل جون مُقتنعًا بأنه تصرف من منطق «الخير». توهم أن قتله لعائلته كان رحمةً لهم، طريقًا مُمهدًا لدخولهم الجنة. هكذا، عاش جون مُعذّبًا بأفكاره المُضللة، مُعتقدًا أنه أنقذهم من فخ الفقر والفساد، كبطلٍ يمضي في مهمةٍ نبيلة.

وعندما سئل عن دوافعه، لم يجد مبرّرًا سوى القتل، مُتجاهلًا خطيئة الانتحار التي حرمها الدين.

عام ٢٠٠٨، لقي جون حتفه في السجن عن عمر يناهز ٨٢ عامًا، إثر إصابته بالتهاب رئوي حاد.

وما أثار الدهشة، هو ردة فعل جون عند مشاهدة حلقة تلفزيونية تتناول جريمته. فقد جلس هو وزوجته الجديدة، ديلوريس، يشاهدان البرنامج، وفُجع جون بالشبه المُذهل بينه وبين تمثال القاتل المُعروض. خوفًا من اكتشاف زوجته لِسرّه المُخيف، حاول إخفاء هلعته، لكن ديلوريس لم تنتبه، أو ربما اختارت ألا تُصدق عينيها، رافضةً الاعتراف بأن زوجها الحبيب هو القاتل المُرعب الذي

تتحدث عنه الحلقة.

تزوج جون وديلوريس عام ١٩٨٥، لكن سرعان ما انفصلت عنه عام ١٩٨٩، بمجرد كشف حقيقته المُظلمة.

ألهمت قصة جون العديد من الأعمال الفنية، حيث تجسدت شخصيته المُعقدة في أفلام مثل "The Usual Suspects" و "The Stepfather".

يبقى السؤال معلّقًا في الهواء: ما الذي خلق وحشًا كهذا؟ هل كانت التعاليم الدينية المُغلوطة هي السبب؟ أم أن ولادته في ظروفٍ قاسية جعلته وحيدًا مُنعزلًا، عرضةً لأفكاره المُظلمة؟

***

حكاية أخرى عشوائية عن قاتل مختل! لا.. لن أشبه هذا الفصل بأحد الألعاب العالمية، فقد سأمت من هذا الأمر، لم يعد له طائل على أي حال، بجانب أنني أشعر بشيء مختلف تلك المرة!

لا أشعر بالخوف أو أن هناك من يراقبني مثل المرة السابقة، ولا حتى بالتردد إن كان فعلي الأخير هذا صائبًا أم هو محض عناد صبياني. بل أشعر بالقوة! إنه أغرب شعور قد ينتابني بعدما أنهيت لعبة من صنع الشيطان

نهضت من مجلسي أتحقق من أمر ما طاف بذهني، لأجد نفسي قادرًا على الوقوف بكل أريحية دون أي ألم بسبب خشونة ركبتي! جربت أن أترجل في أنحاء المنزل قليلًا، وذهلت أنني أتحرك بكل سلاسة العالم، دون أن أعرج أو أستند على عكازي البغيض!

لا أصدق هذا! لقد شفيت؟ أشعر أنني أكثر رشاقة من راقصي
الباليه ملاعب الباليه مجتمعين! كما لو إنني لم أكن مريضًا يومًا. ما
ل تلك اللعنات التي تشفي الأمراض، لماذا لا يتعثر المرء بلعنة كل
؟ ليتني عثرت على تلك اللعبة منذ زمن، لكانت حايتي بأكملها قد
رت

للت أثب كالأطفال حين يبصرون ألوان قطع الحلوى الزاهية،
ح بساقي يمينًا ويسارًا كما لو إنني أتأكد إنها تعمل بكل كفائتها!
ثرت من شدة حماسي وفقدت توازني، يبدو إنني قد أطلت فترة
ئي على العكاز لدرجة أنني نسيت كيف أسير بدونه. فصدمت
ي بالحائط دون قصد

دت أسب غبائي الأرعن وأنا مغلق لجفون عيناي، فها أنا سأكسر
ي بعد أقل من دقيقتين على شفائها بفعل معجزة، لا أريد أن
ر أي مصيبة حققتها لتوي. هل ستقبل اللعبة إعادة ترميم ساقي
تلك الفترة القصيرة؟ مهلًا.. لماذا أتعامل مع ساقي على أنها جهاز
ي داخل نطاق الضمان، وأنا في الأصل لا أشعر بشيء!.. ليس
د ألم أو أي نوع من الوجع، كما لو إنني صدمت ساقي بالهواء
س الحائط. هل يعقل إنني أوقفت ساقي في اللحظة الأخيرة
أن ألمس الحائط؟

حت عيني ساعيًا لإبصار سبب هذا اللغز، وملخصًا على نفسي
التفكير، لأصدم بلغز آخر أكثر تعقيدًا؟ لقد اخترقت ساقي
دار، محطمة كل ما كان أمامها من طوب أسمنتي! أي عبث
طاني هذا؟ اللعبة لم تعالج إعاقتي فحسب، بل جعلتني أشبه

بالرجال الخارقين!

مهلًا لحظة، لقد زاد الأمر عن حده.. أنا لم أطلب هذا! بل في الواقع، أنا لم أطلب شفاء ساقي من الأساس. منذ هنيهة قلت، إني لو عثرت على تلك اللعبة منذ مدة وشفيت ساقي لكانت حياتي تغيرت.. تغيرت لماذا؟

فطوال سنوات عمري، لم تكن ساقي عائقًا أمامي، فهي لم تكن السبب في فشلي الرياضي واعتزالي الملاعب، أو حتى لي ذكرى بأن إحدى الشركات رفضت تعييني لديها بسبب عجزي، فأنا لم أحب الرياضة يومًا سواء ممارسة أو حتى متابعة، ولم أقدم على أي وظيفة في حياتي، حتى إن وظيفتي الحالية كناقد للألعاب لا تحتاج مني أي مجهود بدني!

إن ذهني ليس مستقرًا، لقد أسكرتني فرحتي الزائفة بساقي شيئًا مهمًا.. وهو الثمن

ما الثمن الذي علي دفعه من أجل الظفر بتلك الساق المعدنية، أم أنني دفعته بالفعل!

هناك شعور جديد يتسرب بين عروقي.. لقد تعلمت من تلك اللعبة الكثير، كما لو إن المقصد من جعل فصولها على هيئة أحرف هو الدراسة مثل تعلم مختلف أنواع الأبجدية.. أبجدية القتل المتمثلة في طبيب الموت وفينس لي ونانسي بروفي.. أبجدية اغتصاب الأطفال مثل كين وباربي وميرا هيدلي ويطبق علي بالنهاية قانون ميجان.. أبجدية الاحتيال على الناس بقدرتي المذهلة الجدية مثل ظاهرة طاهر بك وعائلة فوكس ووجوه منزل بيلمر.. أبجدية

اختطاف الأبرياء مثل ما حدث مع هاورد سودر وغابة هويا باكيور ولغز القطار الإيطالي.. أربع أنواع من القضايا المختلفة وتم ختمها بالقتل.. إن تلك هي أبجدية الجريمة التي تشربت منها الكثير، وحان الوقت لتطبيقها

لم تكن المرحلة الأخيرة في اللعبة هي الأكثر رعبًا أو سادية، بل اللعبة كلها هي المادة الخام للشر، لا أنكر أنها كانت مختلفة، فقد جمعت كافة العلامات التي رأيتها في المراحل السابقة، حيث امتلك البطل كتاب القانون واعتنق ديانة الثيليما وردد شعار الشيطان ونقش وشم الواحد والعشرين على جسده، ناهيك إن اللعبة لازالت تتوقع أحداث مستقبلية ليس بوسعي التأكد من صحتها بعد. لكنها لم تكن صاحبة الفضل في هذا الشعور.. إن آخر ضربات الحطاب بفأسه ليست هي ما أسقطت الشجرة، بل كافة الضربات السابقة هي صاحبة الفضل فى هذا

[redacted]

عبة قد تحولني لعابد ثيليما، لم يأت بذهني
لأحد الأحرف في اللعبة، ستعرض جرائمي
هدون على تطبيقي لتلك الأبجدية. سأكون
لقب المرحلة ما بعد الأخيرة في اللعبة،
ا إلا قساة القلوب أو رجال العصابات، رغم
ء لن يقدروا على مواصلة متابعة الأهوال

وقت لأهدره، يجب أن أشرع في تطبيق
ي) وصائدي الثيليما هم الأنسب لتنفيذ أول

وأنا من كنت أظن إن الل
على الإطلاق أن أتحول
على اللاعبين الجدد ويش
الأبشع بينهم، سأستحق
والتي لا يجرؤ على فتحه
إنني أظن إن حتى هؤلا
التي سأرتكبها.

ليس لدي المزيد من ا
الأبجدية، وأشعر أن (فكر

جرائمي عليهم. إن لهم الشرف أن يكونوا المراحل الأولى في قصة حياتي الجديدة، التي ستنافس أساطير الإغريق وخرافات العصور. لقد كنت في القدم إنسانًا تافهًا ليس له قيمة تذكر، أما الآن فأنا أرقى، ليس من نسختي القديمة بل من العالم أجمع، لقد ترقيت إلى مرحلة قاتل، يستمتع بصراخ الضحايا ويلتهب شوقا لنهب الأرواح

لكن مهلاً.. بعد تفكير أرى أن حتى القاتل ما هو إلا مرتبة دنيا في هرم الحياة، أنا أكثر تطورًا من هذا.. بل أنا مجرم، أتقن جميع أساليب تنفيذ الجريمة الكاملة، وأحتار أيهم سأختار في جريمتي القادمة.. أنا في قمة نشوتي الآن وأنا أحيك لفرائسي الخطة التي ستحكم الخناق عليهم

لن أكتفي بتطبيق الأساليب التي تعلمتها من اللعبة، بل سأختلق أساليب جديدة لتنفيذ جرائمي، سيقص عنها التاريخ قصائد ومعلقات، وستخلد باسمي.. الآن حان الوقت لصنع أبجديتي الخاصة.. أبجدية الجريمة.. فلتبدأ اللعبة.

GAME OVER

النهاية

عن الكاتب

خريج كلية الهندسة قسم التشييد بالجامعة الروسية المصرية

صدر له:

-رواية (المقايض)

-رواية (صندوق الموتى)

-رواية (المتربص)

-رواية (الشيطان الواحد والعشرون)

-رواية (عزبة التفاح الفاسد)

-رواية (أبجدية القتل)

-ترجمة رواية (شيرلوك هولمز وإرث جاك السفاح) للكاتب البريطاني (ديفيد ستيوارت ديفيز)

-ترجمة رواية (غابة الهلاك) للكاتب البريطاني (ألجيرنون بلاكوود)

-ترجمة رواية (الآثر اليهودي) للكاتب البريطاني (آرثر كونان دوييل)

-ترجمة رواية (رعب دانويتش) للكاتب الأمريكي (هاورد فيلبس لافكرافت)

-ترجمة رواية (الطاعون القرمزي) للكاتب الأمريكي (جاك لندن)

-ترجمة نوفيلا (أختطاف رئيس الوزراء) للكاتبة البريطانية (أجاثا

كرستي)

-ترجمة رواية (شيطان إستر كوكس) للكاتب الأمريكي (والتر هابل)

-ترجمة رواية (رجال العدالة الأربعة) للكاتب البريطاني (إدجار والاس)

-ترجمة قصة (اللعبة الأكثر خطورة) للكاتب الأمريكي (ريتشارد كونيل)

-ترجمة رواية (سقوط منزل آشر) للكاتب الأمريكي (إدجار ألان بو)

الانجازات الأدبية:

-مركز أول بمسابقة صلاح هلال الأدبية للقصة القصيرة عن قصة (اللوحة الملعونة)

-القائمة القصيرة لجائزة إبداع ٨ عن رواية (قضية ثمرة الكمثرى) دورة (لطيفة الزيات)

-جائزة التفوق الأدبي من الجامعة المصرية الروسية في فرع القصة القصيرة

-معد برنامج (حنيكة فارغة و السبرتاية) على اليوتيوب مع المذيع يحيى عزام

-معد برنامج (الصندوق) على اليوتيوب مع المذيع محمود خيري

-معد برنامج (حياة بوك وحكاية أصلي) على اليوتيوب والعديد من القنوات الأخرى

ما بعد النهاية

استيقظت وأنا أشعر أن هناك زلزالًا يهز جلبات جسدي! قلبي يخفق بقوة وحدة تؤلم صدري ذاته كما لو أنه طبل يعلن عن بدأ الحرب، أتصبب عرقًا كما لو إن الشمس تركت بقاء العالم وقررت التمركز فوق جسدي، أشعر بأن حرارة جسدي مرتفعة كما لو كنت بركانًا ثائرًا ولا أستبعد أن تخرج الأدخنة من أذني في أي لحظة، بالكاد أستطيع التقاط أنفاسي كما لو أن رئتاي قد نسيت كيفية العمل.. ما كل تلك التشبيهات؟ لم أتحدث بتلك الطريقة المعقدة؟ أين أنا على أي حال

طالعت المكان من حولي، لأبصر امرأة تهرول صوبي، ومن خلفها عدة أفراد، ميزت اثنين منهم يرتديان ملابس المسعفين أو الممرضين، أما الباقون فهم يرتدون ملابس مدنية عادية، وقلة منهم يرتدي فوقها معاطف طبية بيضاء، لقد كانوا على وشك الرحيل وتركي وحيدًا في الغرفة، لكن استيقاظي المفاجئ هو ما جعلهم يتراجعون عن الأمر.. ولكني لا أعلم أيًا منهم

قالت المرأة بنوع من القلق الحقيقي:

-هل أنت بخير؟ أخبرني بم تشعر؟ لم يكن من المفترض أن تستيقظ الآن، لم يمر سوى دقيقة أو اثنتين؟

-مممم.. مممم.. مممن.. أأأ.. أنت؟

أعتقد أن أحدهم لم يفهم حرفًا واحدًا مما نطقت به.. حيث خرجت الكلمات من حنجرتي مؤلمة، كما لو إنها قطع من الزجاج تشتهي تمزيق أي شيء يعترض طريقها. إن حلقي جاف كما لو إنه حرمت

عنه المياة منذ قرون.. ما بال تلك التشبيهات؟ أنا لم أتحدث بتلك الطريقة من قبل ولا أعرف كيف تنساب مني بتلك العشوائية

فطنت المرأة بألم حلقي، فأمرت أحد الواقفين بإحضار بعض الماء، في حين إنها ساعدتني على الاعتدال على الفراش الذي كنت نائمًا عليه. تناولت منها قارورة المياة وتجرعت نصفها دون تفكير في الأمر. لا أنكر إن هذا ساعد على تخفيف وطأة توتري بعض الشيء، لكنه لا يزال غير كافيًا، فقمت بإلقاء ما تبقى في القارورة على وجهي، عسى أن يساعدني على استعادة وعي

أخرج أحد المسعفين سماعة طبية ووضعها على صدري من الجهة اليسرى، ثم قال وعينيه تزداد اتساعًا من هول ما سمع:

-قلبه يدق بسرعة رهيبة، ناهيك عن حرارته المرتفعة، يجب أن يأخذ بعض المهدأت ونجري فحصًا على أجهزته الحيوية

فقالت المرأة بقلق شديد:

-ماذا حدث معك يا (كيرلس) أثناء المحاكي؟

فأجبت بصوت أقرب للوضوح تلك المرة:

-هل تتحدثين معي؟ إن (كيرلس) هذا ليس اسمي؟

ردت المرأة بنوع من الطمأنينة:

-اللعنة عليك.. لقد أثرت هلعي.. توقف عن المزاح الآن وأخبرني لماذا أفقت بعد دقيقتين؟ من المفترض أن تقضي نصف ساعة على الأقل؟

-أنا لا أعلم من أنت كي أمزح معك.. أنا حقًا لا أدري عن ماذا تتحدثين، يبدو أنك تخلطين بيني وبين شخص آخر

عادت ملامح القلق لوجه المرأة مرة أخرى. ابتعدت عني في فزع كما لو أن ماسًا كهربيًا قد صعقها ثم سألتني:

-ما هو آخر شيء تتذكره؟

وأخيرًا سؤال جيد.. دعينا نرى.. ما هو آخر ما حدث لي؟ لا أذكر الكثير، ذهني مشوش بعض الشيء. الآن فحسب أدرك شعور ما بعد العمالة الشهير الذي سمعت عنه كثيرًا رغم إنني لم أشرب الخمور أو أي نوع من المخدرات قط.. لماذا يؤلمني رأسي كلما حاولت التذكر؟ كما لو إن هناك جدارًا ناريًا، يحرقني كلما حاولت الدنو من ذكرى معينة.. فأجبت بعد عناء وأنا أجز على أسناني محاولًا كبت هذا الألم:

-آخر شيء أتذكره هو إنني كنت موشكًا على لعب المرحلة الأخيرة من اللعبة، ولكنني لا أذكر حقًا إن كنت لعبتها أم سلمتها ل(فكري) وصائدي الثيليما

ازداد اتساع حدقتي المرأة، ولم يختلف وقع كلماتي كثيرًا عن باقية الحاضرين، فأكملت سؤالها:

-هل يمكنك أن تخبرني ما هي وظيفتك؟

-أنا ناقد ألعاب

لا أدري لماذا.. لكن يبدو أنني هويت بقنبلة على مسامع الحاضرين بجملتي تلك، فهناك من أسقط ما كان يحمله بين قبضتيه، وهناك من

صرخ في جزع وهو يتراجع خطوتين للوراء، وهنالك من شهق وهو يخبط بكفه على صدره. أعتقد إنني لو كنت أعلنت مسؤليتي على حادث إرهابي لكانت ردود الأفعال أهون من هذا.

في الغالب حين أُعلم أحد بوظيفتي، لا أجد في المقابل إلا نظرات التعجب لأنه لا يفهم معناها أو الاستهزاء لأنه يظن أنها محض هواية وليست عمل حقيقي أجني منه مال وفير.. لكن تلك كانت المرة الأولى التي أبصر فيها هذا الفعل.. من هؤلاء القوم على أي حال؟ يبدو من أعينهم أنهم يعلمون من أنا ويخشون على سلامتي الصحية، ولكن كيف آل بي المطاف إلى هنا؟

فسألت محاولًا كسر حالة الذهول التي حلت بهم تلك:

-من أنتم؟ وكيف جئت إلى هنا؟

نظت لي المرأة وهي صامتة لثوان، كما لو إنها تستجمع شجاعتها للرد على سؤالي أو محاولة اقتناء الألفاظ المناسبة لحديثها، ثم قالت:

-اسمعني جيدًا يا (كيرلس)..

-هذا ليس اسمي

-بل هو اسمك.. أنت (كيرلس عاطف).. تعمل مهندسًا مدنيًا وتحترف كتابة روايات الرعب.. وأنا (ماريا) صديقتك منذ الطفولة

تدعي تلك المرأة -التي أراها للمرة الأولى في حياتي- إنها كانت جارتي حين كنت لازلت طفلًا، لكنها هاجرت مع ذويها إلى الولايات المتحدة، كعادة هؤلاء المحظوظين الذين تأتي أسماؤهم في قرعة

السفر. استمر كلا منا في حياته حتى نسيتها تمامًا، وبعد ما يقارب من العشرين أو الخمسة وعشرين عامًا تواصلت معي عن طريق إحدى وسائل التواصل الاجتماعي وأخبرتني إنها عادت إلى مصر، وتريد مقابلتي

أخبرتي (ماريا) أنها تخرجت من كلية الحاسب الآلي، قسم برمجة ألعاب الفيديو ومنصاتها، وهي الآن تعمل لدى شركة sony لتطوير ألعاب الفيديو، فشركة Sony هي المالكة أو مخترعة أجهزة ال playstation كما يعلم الجميع. وقد أثبتت كفاءة مذهلة في تطوير الألعاب لدرجة أنها كان أحد العاملين على تطوير أجهزة ال5 playstation.

وفي الأونة الأخيرة، قررت شركة sony الخروج من حيز إنتاج الألعاب هذا، وتوسيع نشاطها بعض الشيء.. لقد قرروا إنتاج منصة ألعاب جديدة.. فمنصات الألعاب رغم تنوعها وكثرتها في الأسواق وخاصة مواقع التسوق الإلكترونية، لكن المشهور منها أو الذي حقق استحسان لدى الجمهور في مختلف بقاع العالم، هي أجزة محدودة، مثل xbox و Nintendo switch وgameboy ونظارات الvr وأجهزة الarcade

وهنا قررت شركة sony صناعة منصة ألعاب جديدة، تدمج بين نظارات الvr وجهاز ألعابها الأصلي وهو الplaystation.

ما هي مشكلة ألعاب الvr، رغم أنها تدمج بين حركة اللاعب وتفاعلة الحيوي مع بيئة اللعبة؟ الجواب هو رداءة المحتوى، فكل ألعاب تلك المنصة إما تتمحور حول محاكي لألعاب طفولية، أو

التجول في ألعاب رعب ساذجة ذات مساحات محدودة. لا أحد ينكر أن تقنيات الvr حققت ثورة في مجال صناعة الألعاب، وجعلت جهاز الwii يختفي بشكل كامل من الأسواق، ولكن التطور في هذه الصناعة محدودة جدًا، فاللاعبون يريدون الحركة بحرية في عالم مفتوح، يشتهون قتل الأعداء أو المسوخ، يتشوقون لاكتشاف الكهوف وتطوير أسلحتهم، يطمعون لقصة عميقة مليئة بالسحر والمشاعر. ولكن هذه الأمنيات أكبر من أن تحققها نظارات الvr المحدودة، ناهيك عن غرفتك الضيقة التي بالكاد يمكنك فيها اللعب بالنظارة دون أن تصدم يدك بالحائط أو تتعثر في حافة الفراش

لهذا أوكلت شركة Sony تلك المهمة إلى (ماريا)، بأن تقود فريقًا كاملًا لتطوير منصة ألعاب جديدة. فكرة الجهاز الجديد ليس إقحام عيني اللاعب فحسب في اللعبة، بل وعي اللاعب بأكمله. الأمر أقرب لأفلام الخيال العلمي، لكن يبدو أن العالم قد تطور تكنولوجيًا لتحقيق هذا الخيال.

فكرة الجهاز -أو نموذجه الأولي على أقل تقدير- هو عبارة عن كرسي أقرب للفراش، كل ملي متر من الكرسي عبارة عن مستشعرات عصبية تستقبل إشارات المخ وتحولها لحركة في اللعبة. فلو مثلًا أردت أن ترفع ذراعك اليمنى، ستفعل هذا في اللعبة دون أن تحرك ساكنًا في الحقيقة، ولو أردت الركض بأقصى سرعتك، ستقوم شخصيتك الخيالية في اللعبة بذات الشئ دون أن بذل أي مجهود

لو نجح النموذج المبدأي من الجهاز، سيعملون بعدها على تقليص حجمه بعض الشيء، مثلما حدث لأول حاسوب في العالم والذي كان

حجمه في حيز غرفة كاملة، سيحولون هذا الكرسي إلى خوذة وربما الى نظارة، ومن يعلم، قد يستطيع البشر في المستقبل على إدخال الشرائح الإلكترونية في أجسادهم، ويصبح الجهاز مجرد رقاقة إلكترونية

وبالفعل استطاعت (ماريا) تطوير الكرسي، وأطلقت عليه اسم المحاكي، ولم ينقصها شيء سوى اللعبة التي ستحكم على نجاح المشروع من فشله.. ليس باستطاعتها جلب أي لعبة من الأسواق، بل هي تحتاج إلى لعبة مبرمجة خصيصًا للعمل على المحاكي

وحينها تذكرتني؟ أو تذكرت (كيرلس عاطف) هذا الذي تتحدث عنه. فعلى حد قولها إنها كانت تتابع صفحتي على مواقع التواصل الاجتماعي، وكانت تقرأ القصص التي أنشرها عليه من حين لآخر، بل واشترت آخر أعمالي وهي رواية (أبجدية القتل) التي فتنت بقصتها

تواصلت (ماريا) معي حينها، وعرضت علي تحويل رواية أبجدية القتل أو الجزء الثاني منها للعبة فيديو، وستكون اللعبة الأولى التي سيتم إصدارها على جهاز المحاكي بشكل رسمي!

رأت (ماريا) أن أنسب لعبة يتم افتتاح جهاز المحاكي بها، هي لعبة تحقيقات خطية لا تحوي على الكثير من التعقيدات، كي يختبروا بها استقرار المحاكي وتفاعله مع اللعبة، ولو نجحت التجربة سيقومون بتكبير اللعبة إلى عالم مفتوح، وينوعون تصنيفات الألعاب مثل الرعب أو المغامرات أو التصويب

وبالطبع أنا وافقت على هذا العرض، فلماذا أعترض من الأساس، فسلسة روايات the witcher لم تعرف النجاح يومًا إلا عقب

تحويلها لسلسلة ألعاب شهيرة وظفر الجزء الثالث منها بجائزة لعبة السنة عام ٢٠١٥

بل وأشرفت على فريق إخراج اللعبة بنفسي، وتطوعت أن أكون اللاعب الأول لجهاز المحاكي. وها أنا قد استيقظت بعد دقيقتين من تجربة اللعبة!

ما هذا الهراء بحق الجحيم! وأنا من كنت أظن إن حديثي مع (فكري) حول الشيطان الواحد والعشرين هو أكثر حوار خيالي قد خضته في حياتي

نظرت حولي لأجد أنني بالفعل جالس على ذلك الكرسي الذي تحدثت عنه، ونظرًا إلى شعار sony المنقوش في كل حدب وصوب، فأنا بغرفة ما داخل مقرهم.. ذكرني هذا الأمر بلعبة.. بلعبة..

مهلًا.. أنا لا أتذكر!.. لا أتذكر اللعبة التي تحاكي هذا الموقف فحسب، بل لا أتذكر أي شيء عن الألعاب، كما لو إنني لم ألعب أي لعبة فيديو في حياتي.. هنالك شيء خاطيء

-اسمعي يا سيدتي.. ليس لدي فكرة عن أي شيء نطقتي به منذ ثوان.. لو كانت تلك حيلة من عابدي الثيليما لأعطيكم اللعبة بنهاية المطاف.. فتفضلوا خذوها على طبق من ذهب.. أما الآن فأنا أريد أرحل من هنا

-توقف أرجوك عن هذا الحديث.. أنت (كيرلس عاطف) وليس هنالك لعبة وعابدين للثيليما.. كل هذا خيال من تأليفك

-أخبرتك أن هذا ليس اسمي

أخذت نفسًا عميقًا، تحاول أن تهدأ فيه من نفسها بعد هذا الانفعال ثم قالت بهدوء:

-حسنًا.. لا بأس.. أنت لست (كيرلس عاطف).. هل يمكنك أن تخبرني باسمك

-بكل سرور أنا اسمي...

اسمي...

لا اعلم ما هو اسمي؟ كيف هذا؟ أي هراء شيطاني هذا؟ يمكن للمرء منا أن ينسى آخر وجبه تناولها أو يغفل عن تذكر عدة تواريخ رغم أهمية ذكراها في حياتنا.. ولكن كيف ينسى اسمه الذي يمثل تاريخه وشخصيته

فقالت المرأة بعدما تحسست التردد في عيني:

-دعك من أمر الاسم هذا، هل يمكنك أن تخبرنا بأي عام نحن؟ أو حتى عنوان منزلك؟ أو ما اسم تلك اللعبة التي تدعي أن عابدي الفيليما يسعون خلفها؟

كيف لم ألحظ هذه الأمور من قبل؟ بالفعل أنا لم أذكر أيًا من تلك المعلومات طوال الفترة الماضية، وكنت دومًا ما أشير إلى اللعبة باسم (تلك اللعبة) فحسب. رغم أنني قرأت اسمها، ورأيته بعيني عدة مرات وأنا أفتحها، ولكنني لا أذكر شيئًا عنها

هل يعقل أن تكون تلك المرأة صادقة وإنني أنا (كيرلس عاطف) ربما هذا يفسر تلك الطريقة الروائية المعقدة التي أتحدث بها.. ولكن كيف؟ أنا لا أتذكر شيئًا عن (كيرلس عاطف) هذا، وكل ما أذكره هو

-هل تعلم لماذا لا تعلم عن تلك الأشياء معلومة واحدة؟ لأننا لم نبرمجها في اللعبة بعد.. ليس هذا وقت الكلام.. يجب أن تنهض معنا لنجري عليك بعض الفحوصات، أنا واثقة إن خلل الذاكرة هذا سيزول بعد أن تعود لمنزلك وتختلط بأسرتك

قامت بأمر اثنين من الممرضات بإسنادى، لأذهب معهما لغرفة الكشف الطبية، وهنا لاحظت أن ساقي اليسرى سليمة، ليسة خارقة تستطيع ثقب الجدران، ولا أعرج بسببها ولا هي مبتورة عن بكرة أبيها، بل أنا سليم.. سليم فحسب

ماذا لو كانت تلك المرأة صادقة وكاذبة في الآن ذاته، أي أن كل ما ذكرته عن المحاكي حقيقي ولكنني الآن داخل اللعبة وليس خارجها كما تدعي، وإن حياتي كناقد ألعاب تنتظرني على الجانب الآخر من المحاكي

أم إن هذا هو الجحيم، يبدو أن لعبي بتلك اللعبة التي لا أذكر اسمها جعلني أقدم روحي للشيطان الواحد والعشرون، وها هو الآن يقهقه على هذا الكابوس الذي أسرني فيه

خطوت مع الممرضات وأنا ذهني مشتت، ماذا أفعل؟ يجب أن أخذ قراري الآن قبل فوات الأوان.. لقد سمحت لغيري في التحكم بمصيري لفترة ليست بالهينة، لقد خضت مع اللعبة تجربة استمرت لشهرين وتلك ال(ماريا) تدعي أنني لم يمر على رقدتي في المحاكي سوى دقيقتين؟ من المستحيل أن تزرع دقيقتين حياة كاملة داخل عقلي وتمحو شخصيتي الأصلية

أنا ناقد الألعاب.. ولست الكاتب (كيرلس عاطف)

وحتى لو كان هذا جسد (كيرلس عاطف) بحق وأنا مجرد خيال من تأليفه الخصب، فاعذرني يا كاتبي العزيز، يبدو أنك ابتكرت وحشًا أنانيًا يسعى للنجاة بنفسه، أو أنك أتقنت وصف خصالي لدرجة أنك زرعت في كينونتي رغبة النجاة دون أن تقصد.. يبدو أنك لم تحسب يومًا كهذا حيث تنقلب فيها أفكارك ضدك وتحاول الاستحواذ على جسدك أو ربما حياتك بأكملها

يبدو أن خياراتي السابقة كانت جميعها خاطئة، وإلا ما قد أودت بي الظروف إلى تلك النهاية، لهذا يجب أن أصحح أخطائي.. لا أعلم إن كنت في الجحيم أم داخل لعبة المحاكي، لكنني واثق إن هذا ليس عالمي الحقيقي

فصرخت وأنا أسحب ذراعي من يد الممرضة:

- لا.. هذا ليس حقيقيًا.. يجب أن أخرج من هنا

حاولوا إيقافي لكنني ركضت صوب جهاز المحاكي من جديد. لقد كنت سريع لدرجة أنني بلغته في أقل من ثانية؟ أم أن تلك سرعة الأشخاص الطبيعيين الذين لا يعانون من أي إعاقات.. كيف أذكر سرعتي وأنا أعرج ولا أذكرها وأنا سليم البنيان؟ إنهم كاذبون لا محالة

أنا ناقد الألعاب الذي يتكئ على العكاز بسبب العرج، ولست الكاتب (كيرلس عاطف)

استلقيت بجسدي على كرسي المحاكي، وأنا أحاول اكتشاف

كيفية عمل هذا الشيء، فصرخت (ماريا) محذرة:

- انتظر يا (كيرلس).. جسدك ليس مستقرًا بعد

فصرخت بها:

- اسمي ليس (كيرلس)

ظللت أضرب بيدي على كل كافة الأزرار التي وجدتها على كرسي المحاكي متابعًا:

- هل تسمعيني؟.. أنا ناقد الألعاب

بدأ المحاكي يعمل، راحت الأضواء تبعث منه بعشوائية لكني لم أرحل عن هذا العالم بعد، فتابعت الضرب بقبضتي على أي زر بكل غضب

- هذا الموقف يذكرني بلعبة ما.. يجب أن أتذكرها

شعرت بحرارة جسدي تزازد، كما لو إنني إناء وضع على نار الموقد لفترة طويلة حتى تبخرت كافة المياة.. ما هذا التشبيه المعقد.. هذه ليست شخصيتي.. أنا ناقد الألعاب البسيط وليس الكاتب (كيرلس عاطف) المعقد

- أنا أعرف كل الحبكات.. لا يوجد نهاية يمكنها مفاجأتي

حاول بعض الحاضرين دفعي من فوق جهاز المحاكي، لكنهم شعروا بصدمة كهربية انبعثت من جسدي إلى سواعدهم.. لقد تحول جسدي إلى قنبلة صغيرة، يحمل في طياته أطنان من الحرارة والكهرباء معًا

وأخيرًا بدأ الظلام يسيطر على عيني، للمرة الأولى أرحب بالعتمة بهذا الكم من الود والتقدير، أنا أفقد وعيي تدرجيًا راحلًا عن هذا العالم الكاذب وها أنا أعود لموطني الأصلي.. هنا سمعت (ماريا) وهي تصرخ باكية بعد أن انهارت أرضًا:

- أرجوك توقف يا (كيرلس).. خلايا عقلك لن تتحمل هذا الجهد من المحاكي.. أنت تنتحر أو تمسح ذاكرتك بيدك.. فليوقفه أحدكم.. أو يفصل الكهرباء عن الحجرة

قلت بكلمات متقطعة وآخر ما تبقى لي من وعي:

- قلت لك.. أنا لست (كيرلس).. بل أنا..

لماذا يسود اللون الأحمر الموجودات وليس الأسود؟ هل هذه دماء؟ إنها دمائي؟ ياللهول أنا أنزف! أشعر بمذاقها الثقيل في فمي، ولكن من أين تأتي؟ تبًا.. أنها عيني التي تنزف، فأنا لا أشعر بها! بل لا أشعر بأي عضو أو عضلة في رأسي وأكاد أجزم أن الدماء تسيل من كل ثقوب رأسي.. هل أنا أموت حقًا بفعل ضغط الدماء؟.. من أنا في الأساس؟.. وكيف جئت إلى هنا؟.. ولماذا هؤلاء القوم يصرخون من حولي؟ لا أتذكر أي شيء عن نفسي أو عن أي شيء آخر.. كما لو إنني ولدت الآن! ولكن لا أظن أن نهايتي بعيدة، فأنا لا أشعر بأي شيء على الإطلاق.. هل أنا بشري من الأساس يولد ثم يحيى ثم يموت.. أم أنا نوعًا من الفطريات او الفيروسات التي نحيى لهوان ثم تموت ويولد من فنائها الكثير؟

إنه الخواء المُطلق المُعلِن عن النهاية.. نهاية اللعبة.. و نهاية حياتي

تمت...؟

كيرلس عاطف!